بين الشعر والحقيقة

ان الشعر ، كسائر فنون الادب، فرع من فروع المعرفة ، بل هو المعرفة كلها بطريق الاحساس والحدس .

هذا حق لسنا بحاجة الى عقلانية الفلسفة كي نعلل صحته . ولسنا كذلك بحاجة الى تجريبية العلم كي نؤمن باصالته . فصحة هذا الحق واصالته مستمدتان من اعماق القلب واغوار النفس وآفاق العقل على حد سواء .

الا ان المعرفة ، أية معرفة ، لا قيمة لها بحدذاتها . انها بحكم العدم ما لم تتحرك او تتجسد، أي تجد سبيلها الى قلوب الآخرين ونفوسهم وعقولهم .

وقد كانت اللغة ، منذ كان الانسان ، هي ذلك السبيل . فباللغة يتم للمعرفة ان تغدو كائنا ماديا ، ان تتبلور في نتاج محسوس . وسواء عندنا أكانت هذه اللغة بسمة على ثغر حبيب أم نغما في حنجرة طائر ، او كانت رمزا في حجر ام حرفا على ورق ، او كانت بيتا من الشعر ام قنبلة نووية !

من هنا كان الشعر ، وهو صدى الحدس والاحساس ، اروع فنون الادب ، لانه اصدقها . وكان الادب اسمى فروع المعرفة ، لانه اوسعها شمولا . فهو دون ريب قمة تنتهي اليها الحضارة حينما تبلغ ذروة ازدهارها .

فأين شعرنا من الادب ، وأين ادبنا من المعرفة ، بل اين شعراؤنا وسائر ادبائنا من تلك الذروة التي تترامى النجوم في احضانها ؟

ذلك في اعتقادي هو موضوع الناقد الاصيل ، الناقد المرتجى ، بعد ان كثر النتاج ، وقل المنتجون حقا .

اما مستوردو المقاييس والموازين ، ومخططو المفاهيم والمناهج ، فهؤلاء لا يدخلون ملكوت هذه السماء ... لانهم عاجزون عن الخلق والانشاء .

وخير من ان ينصبوا انفسهم حكما ... بين الناس ، ان ينصرفوا الى ما استعدوا له من تجارة يتقنون اساليبها ، ودعاوة يبرعون فيها ، واهداف اخرى ... يتزاحمون لبلوغها ، ولو على جثة المعرفة الخلاقة ، والحقيقة المتجردة .

المعرفة لا تحتمل الدجل ، والحقيقة لاتهضم الزغل . فالمعرفة ، والادب منها ، مباءة للقلوب المؤمنة ، والنفوس المبدعة ، والعقول الرسولة .

وكذلك الحقيقة ، فانها تختنق تحت مسوح الدجالين واقنعة المخادعين .

هكذا فهمت الامم الخيرة رسالة المعرفة... والشعر منها ، فكان شعراؤنا ، وسائر الادباء، هم المخلدين بعد ان يطوى ذكر غيرهم من العظماء !

وكان الخلود ، على الاطلاق ، وقفا على ابناء الحق والخير والجمال ، بل وقفا على ابناء الحقيقة وحدها . فالحقيقة هي الحق بالذات . واما الخير فهو حركتها الدائمة . واما الجمال فهو سكونها المتناهي !

رشاد دارغوث

فلسفة التربيـة

بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج

*

الباب الثالث : في الوليد ، في سني المهـد

ولـد الطفل . ها هو في عالم الناس يرفل بالنور . لقـد غدا تحت نظام الشمس والقمر . ينام ليلا ويقـوم نهارا . صار واحدا من البشر الذين يعيشون على وجـه الارض ... واحدا من الاحياء ، الذين يموتون بعض الموت ، يوما بعد يوم .

ماذا تعني تلك الولادة ؟ ماذا يفيد ذلك الاطلال ... ذلك العبور من عالم الغيب الى عالم الحاضر ؟ هل تدل هذه الولادة على ان تكوينه قد بدأ فور خروجه من احشاء امه ؟ انه قد اخذ بتسجيل وقائعه ، وحوادثه ، منذ السـاعـة التي رأى فيها ضوء هذه الحياة ؟

من الخطأ اعتبار الولادة بدء تكوين الانسان . الولادة ليست بداية . هي امتداد لمرحلة دامت تسـعـة اشهر ، قضاها الطفل في احشاء والدته . يرجع التكوين ، والحالة هذه ، الى الجنين ... الى الفترة التي بدأت الانسجة فيها تأخذ شكلا معينا . برهان ذلك ؟ لقد انعكف الطب على دراسة الاطفال ، الذين ولدوا بصورة غير عادية ، اي قبل انتهاء شهور الحمل التسعة . ماذا دلت نتائج البحوث ؟ دلت ان الطفل قادر على السلوك ، في الاحشاء ، قبـل شعور الام بحركة منه اثناء الحمل . ان قلب الطفل يخفق في الاسبوع الرابع . وان رأسه وجذعه يتحركان بعض الشيء في الاسبوع الثامن . وان اليدين يثنيان في الاسبوع الثاني عشر . وان الصدر يتنفس ، وفق توقيع منظم ، في الاسبوع الثاني والعشرين . وان هناك عمليات كثيرة أخرى ، تتعلق بالهضم والعرق ، تكون على وشك مزاولة وظيفتها ، قبل موعد الوضع .

ولد الطفل . ها هو بين ظهرانينا . لقد اصبح مـن عداد الناس . نعلم انه يزعق ، اذ يخرج من احشاء والدته . ماذا يعني هذا الزعيق ؟ لقد كتب الكثير عنه . منه ما جاء شعراً ، ومنه ما جاء علما . فشوبنهور ، مثلا ، يرى في الصياح الاول خيبة امل . يرى فيه تعبيرا عن جنايـة الانسان حين يولد ، كما يرى الشاعر العربي في قبض يد الطفل اشارة الى الحرص الذي فطر عليه المرء منذ البداية . يصرخ الطفل تذمرا من هذه الحياة الدنيا التي جاءها . انها لا تعادل قيمة حيثكان . هي وادي البكاء . وادي الفشل . لقد كان مطمئنا في عالم الغيب . كان هانئا دافئا . اليس في وضعه ارتكاب اثم ... فعل جريمة ... ما دام كل شيء يؤول الى السلب ؟ يصرخ الطفل وكأننا به قد علم انه دخل عالما ابتر .

لا شك في ان هذا القول مفعم بالمغازي الوجدانية ... مليء بالادب الرومانسي . لكنه غير مرتكز على ثبت صحيح . انه بعيدكل البعد عن اسانيد العلم . وهو عائد الى الرواسب الفاحمة ، التي تكونت في قرارة شوبنهور ، نتيجة مـا قاساه من الفشل . لقد كان متشائما في وجوده ،، بسبب دمامته ، وانكساره في اكثر من مشروع . الا ان الطب الحديث لا يأخذ بتلك الاعتبارات الرومانسية ، التي تستند الى الواهمة . نعلم ان مناخ الاحشاء غير مناخ الطبيعة . مناخ الاولى دافىء ، مناخ الثانية بارد نسبة . ثم يحصل الانتقال المفاجيء ، فيزعق الطفل نتيجة عبور الهواء بسرعة على الحبال الصوتية . لقد تسلل الى الدم وحدات هوائية جديدة ، مما حدا الرئتين على المط . على التوسع . على الشهيق الذي هو ردة فعل محض . هذا العبور السريع للهواء ، في الحنجرة ، لم يألفه الطفل ضمن الاحشاء . من هنا واجب التناسق ، والتكيف ، والتوافق ، مع الجـو الخارجي . اذ ذاك يحصل الاصطدام . تحدث الرجفـة . يقع الاختلاج والارتجاج ، فتكون الصرخة . وهي جـد خطيرة ، من وجهة اللغة ، لانها اول مظهر من مظاهرها العديدة

نستطيع القول ان الطفل المولود لا يختلف كثيرا ، في الاسابيع الاربعة الاولى ، عن الحيوان المولود . هـو كتلة اعضاء لا تتمايز . لم يبدأ بعد كل عضو منها بمزاولة وظيفته الخاصة . لا فرق البتة ، ههنا ، بين وظائف النفس والجسد . ان هي الا عملية نوم ، وغذاء ، وفرز . عـلى الام اذن ان تعتني كل الاعتناء ، في هذه المرحلة المبكرة ، بنوم طفلها وغذائه وفرزه . ان ينام ، وان يأكل ، وان يفرز . ثلاث عمليات يجب ان تحصل بصورة طبيعية . عادية . ذلك لان الاسابيع الاربعة الاولى امتداد للشهور التسعة ، التي يكون الطفل قد قضاها مطمئنا في احشاء امه .

انه في شبه غيبوبة . لا يقبض على اشياء الخارج . ولا يقوى على الانتقال بمفرده . ان هو الا كتلة قابليات . الا مجموعة قوى كامنة ، رابخة في لطيفته ، تنتظر النمو كي تتمايز ، ثم تنطلق . معنى هذا ان نشاطاته المختلـفة ، المتنوعة ، غير مركزة . غير معينة . يستجيب استجابات عامة . هو عاجز عن تثبيت نظره . عاجز عن متابعة الشيء المتحرك بتحريك عينيه . انه غامض . كل ما يحس بـه ، عن طريق العين والانف والاذن ، يشبه الخضم المتداخـل . يشبه الليل المدلهم . انه مهوش . كل جزء منه في كل جزء . هو واحد لم تتنوع اجزاؤه . يحس بالاشياء رمة ، ويشعر بها جميعا دون وعي . اذا اثير اي جزء ، في بدنه ، اجاب الجزء الاخر ، او استجاب البدن كله . مثلا على ذلك ؟ مص ثدي امه . ان حركة المص لديه تبدأ غير واضحة . الطفل السليم لا يزاول مص ثدي امه ، فقط ، بل يحدثـه عنـد ملامسة شفتيه لاي شيء مغاير ، باعتباره ردة فعل او نوعا من الاستجابة لاثارات اخرى . ولكن هذا لا يعني ان حركات الاعضاء مختلطة كلها ، دون بعض التنوع فـي البداية . ان وظيفة المص تكون محددة اكثر من سواها ، واذا قرص الطفل في قدمه ، وكان يمص حلمة المطاط ، تأثر مباشرة ووقف عن المص ، ثم استأنف العمل . زبدة الكلام ان سلوك الطفل عام في هذه الفترة البادئة . يأتي ولا يجلب معه الا عددا محددا من التصرفات المائعة ، التي هي استطالات لفترة النمو الحاصل قبـل الولادة . يأتـي ولا يجلب معه الا ما يساعده على العمليات الواجبة للحياة المباشرة .

ويتوالى النمو الحركي . ففي الفترة الواقعة ، بـين الاسبوع السادس عشر والاسبوع الرابـع والعشرين ، يتمكن الطفل من الجلوس . يتمكن من تثبيت رأسه ، ومن رفعه ايضا ، اذا القي على بطنه . ويتمكن من تسديد نظراته

نحو هدف معين ، اذا القي على ظهره . ويتمكن ايضا من الاتكاء على ذراعيه ، والتقلب على جنبيه ، اذا القي على الارض . ان النمو يبرز – اكثر ما يبرز – في الجذع ، واليدين ، وحركة الراس . ثم تأتي الفترة الواقعة ، بين الاسبوع الرابع والعشرين والسادس والثلاثين ، حيث يتوصل الطفل الى الجلوس بمفرده ، والاعتماد على رجليه بعض الاعتماد . وفي الربع الاخير من السنة الاولى يتمكن الطفل من ان يحتفظ بتوازنه . فيحول جلسته اذا اراد ، ولا يقع الا نادرا وهو جالس ، ويلقي بنفسه على البطن ، ليزحف الى منتصف الطريق . وفي اوائل السنة الثانية ، يقف ويمشي اولا بمساعدة ، ثم بدون مساعدة . اما النمو الحساسي ، فينحصر اكثره في البصر والسمع. العين تبدأ بالتحديق ، والاستجابة للاضواء المتنوعة . ثم تقوى حركة العين يمنة ويسرة ، في سبيل مرافقة الشيء المتحرك . السمع اقل بروزا من البصر . ولكن الثابت ، الذي لا شك فيه ، هو ان الطفل يستجيب للاصوات العالية بحركة انتفاضية ، تسري في جسمه كله . ويستجيب ايضا للاصوات اللينة ، فيغمض عينيه . وقد يكون في هذا الاستسلام ، الى الصوت الناعم الهادىء ، سبب حدو الامهات على الغناء ، بغية تنويم اطفالهن .

قد يظن هنا ان الطفل ، عبر هذه المرحلة البادئة ، هو في قبضة حتمية الغريزة . الواقع ان الحيوان وحده يتصرف تصرفا غريزيا تاما ، رغم الشبه الكائن بينه وبين الطفل ، في اول الامر . اما طفلنا فهو قابل للتعليم فور ولادته . اذ القوة التي يحملها بين جنبيه ، منذ بدايته ، هي غير قوة الحيوان . قوة هذا الاخير ملتصقة بالفعل . وقد تقع مع الفعل في آن واحد . لهذا جرم زمانيا على غرار الزمان الآدمي . اما قوة الطفل فهي بعيدة عن الفعل. تنتقل الى الفعل عبر الزمان ، بل هي الزمان عينه في انتقالها فعلا حاضرا . ومن هنا كونها طبيعة ، اي قابلة التعلم . اجل ... ان الام قادرة على ان تنيخ طفلها ، في الاسبوعين الاولين ، لنظام تغذية معين . الرضاعة مثلا كل ثلاث ساعات . وهكذا يعتاد الطفل هذه الطريقة الخاصة ، حتى اذا طرا بعض الخلل ، اضطرب واحتج زاعقا . وقد ينناخ سواه للرضاعة كل اربع ساعات ، حتى اذا طرا بعض الخلل، اضطرب واحتج زاعقا . ان ظاهرة التعلم تبين ، اذن ، منذ البداية . وهي دليل على ان الطفل كتاب مفتوح ، بادىء بدء ، الى الكثير من الوحدات الصوتية ، والبصرية ، والسمعية . يتكيف سلوكه وفقا للحوادث التي تتوالى عليه ، كل يوم ، وترتبط في النهاية ارتباطا وثيقا بتصرف الوالدين . ومن هنا القول بان مزاج الطفل يتأثر ، الى حد بعيد، بشخصية ابيه وامه . فقد يكتسب ، منذ البداية ، نزعة الى الاصرار على الصراخ ، كي ينال ما يريده ، اذا شعر بان والديه ينزلان عند رغبته . وقد يكتسب عكس ذلك صفات اخرى ، اذا كان الوالدان دقيقين في المحافظة على تنفيذ ما يأمران به .

الى هنا والنمو لم يتجاوز عتبة قريبة . اما المهم في هذه المرحلة الاولى ، فهو المشي واللغة . ان القدرة على المشي هي اخطر الظاهرات التي تستند اليها شخصية الطفل . بالمشي يزاول استقلاله ، لاول مرة ، اذ يصبح قادرا ان يعتمد على نفسه . بالمشي يتفلت من امه ، او حاضنته ، ويطل على العالم الخارجي . ها هو ذاهب اليه، ليكتشف مجاهله . ليتصفحه ورقة ورقة . اجل ... بالمشي يدرك عالم الاشياء ، ويحتك بعالم الاشخاص . هو بدء تعرفه على المادة ، اذ به يتناول المواجيد البرانية .وهو بدء حياته الاجتماعية ، اذ به يكتسب نوعا من التصرف حيال الاخرين . بالمشي يخترق المسافات . يقف حيال موضوعات في الخارج . يقف ازاءها وجها لوجه . يلمسها مباشرة . لقد بدا ارتباطه باشياء الطبيعة . بدا يزاول الابعاد ، طولا ، وعرضا ، وعمقا . بدا يقبض على الاشياء، باعتبار انها علاقات به ، وعلاقات فيما بينها . بدا يحتك بالاشخاص ، باعتبار انهم بعيدون او قريبون ... باعتبار انهم علاقات .

ظاهرة اللغة لا تقل خطورة عن ظاهرة المشي . هي ايضا من اخطر الظاهرات ، التي تستند اليها شخصية الطفل . وهي تقتصر على الانسان فقط . اذ لا لغة للحيوان على غرار اللغة البشرية . ان الفرق بينهما فرق طبيعة لا فرق درجة . وقد حاول العلماء كثيرا سد تلك الثغرة ، فكانت النتيجة سلبا في كل مرة . اللغة ، على انها ارسال معنى ، هي من خصائص الانسان ، دون سائر الكائنات الحية . ويبدا الطفل بالمناغاة ، وهي لغة خاصة به ، قبل ان يلتحق بالمجتمع الذي يعيش فيه . والقدرة على اللغة فطرة يرثها من النوع البشري ، واما التكلم بهذا اللسان او ذاك ، فهو اكتساب من البيئة التي يعيش فيها . واللغة كالمشي تساعد على ربط الوليد بسواه . يشعر بالحاجة الى التعبير ، فيسأل ، ثم يتلقى الجواب ، فيعلم ان هناك من يشاطره الوجود . وهي ايضا (اي اللغة) تقيم العلاقة بينه وبين غيره . اكثر من ذلك ان اللغة ذاتها علاقة .

لا نغالي اذا قلنا بان العقل يبدا بالمشي واللغة . اجل هو بادىء بالقوة ، منذ الولادة ، بل قبل الولادة ايضا ، لان الطفل انسان . والانسان عاقل بالاساس . ولكن العقل يأخذ بالتبرعم الصريح ، بعد ان تحصل ظاهرتا المشي واللغة . ولا نعني بالعقل هنا ، ذلك الوعي المحاسب الذي يتحلى به الراشد ، والذي يكون قد نضج النضوج الكافي. وانما هو تصرف تلقائي يرجع به الانسان الخاص الى العام ... اي الى روابط ثابتة ، وعلاقات متينة . هذا الادراك للامور ، على ضوء علاقة بعضها ببعض ، هو ما يسمى بالعقل . وهو غير كائن عند الحيوان ، الذي يلتصق بالشيء ذاته رمة ، ولا يزاوله الا كوحدة ، لا علاقة له بغيره من الاشياء المجاورة . اما الانسان فهو يمارس علاقات ، اكثر مما يمارس اشياء . اذ لا تحديد للشيء ، في حد ذاته ، الا على ضوء سواه . لا تعريف له الابالنسبة الى الاشياء الاخرى ، التي تتفق معه او لا تتفق . ويعود هذا الى ان الاشياء لا تتكسر . لا تنفصل . هي علاقات فيما بينها . والعقل البشري هو تلك القوة اللاقطة ، في الانسان ، التي تدرك العلاقات . وما العلاقات الا نواميس. فيوم يبدا الطفل بالمشي ، تظهر العلاقة على مسرح الوجود. ويوم يبدا باللغة يبين التجريد . العلاقة والتجريد اساسا العقل البشري .

نصل الى السلوك الاجتماعي عند الطفل . هذا السلوك يتركز حول الذات في المرحلة الاولى . يحافظ الطفل ، بادىء بدء ، على ذاته فقط . يستأثر بكل شيء في سبيل ذاته . يقبض على كل شيء . ويجلب نحوه كل شيء . لا يريد اللعب الا لذاته ، وان كان يحب

اللعب مع الاخرين . فهو يحتكر كل ادوات اللعب ، ويرفض الاشتراك مع الغير ، بصورة فعلية . هذا النشاط الجاذب امر طبيعي ، في اول النمو ، نتيجة شغف الطفل للاحتكاك بالاشياء . انه نهم للاحاطة بكل شيء . كل شيء هو جديد بالنسبة اليه . والجديد جذاب . أضف الى ذلكان الالفاظ لا تعني له شيئا بعد . انه عاجز عن التمييز بين انا وانت.. بين ضميري المتكلم والمخاطب . هذا التمييز هو الذي يكون حياة اجتماعية ، اذ يعينه على الفصل بينه وبين الناس ، فعلى وعي الروابط والعلاقات . الحياة الاجتماعية حياة روابط وعلاقات . ولهذا كانت اللغة شرطا من شروط انخراطه في المجتمع . وكان الانخراط في المجتمع شرطا من شروط اللغة .

نستطيع القول ، بعد هذا ، ان مقدار التعلم في الطفولة المبكرة ، ضخم جدا . هذه المرحلة الاولى جد خطيرة ، لان البذور الاساسية توضع فيها ، وتكون فاتحة مستقبل الرجل. هذا هو معنى قولهم الطفلوالد الانسان. اجل ... كثيرا ما توضع مداميك شخصية الانسان وبصورة نهائية ، في هذه المرحلة البادئة . ومن هنا الاعتناء ، الذي يجب ان يبذله الوالدان ، بغية وضع الطفل على الصراط القويم . ان الذي يهمل البداية يخرب النهاية . ولذا قيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر . ان الانسان ، في الطفولة المبكرة ، طواعية سمحاء . يأخذ السلوك الذي يفرض عليه . ومتى اتخذ مسلكا من المسالك يصعب من ثم الغاؤه . ان للتوجيه اثرا بعيدا في تكوين شخصية الطفل . هذا هو سبب خطورة التربية ، وضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين . ومن هنا قول ابن سينا ما يأتي : اذا فطم الصبي عن الرضاع بدىء بتأديبه ، ورياضة اخلاقه ، قبل ان تهجم عليه الاخلاق اللئيمة ، وتفاجئه الشيم الذميمة . فان الصبي تتبادر اليه مساوىء الاخلاق ، وتنثال عليه الضرائب الخبيثة فما تمكن منه من ذلك غلب عليه ، فلم يستطع له مفارقة ، ولا عنه نزوعا ، فينبغي لقنم الصبي ان يجنبه مقابح الاخلاق ، وينكب عنه معايب العادات بالترهيب والترغيب والايناس والايحاش ، وبالاعراض والاقبال ، وبالحمد مرة وبالتوبيخ اخرى ما كان كافيا (١)

ومع كل ذلك فالانسان لا يتذكر ، في آخريات حياته تلك المرحلة اللاواعية التي هي أساس التعليم الواعي . قليلون جدا هم الذين يتذكرون بعض حوادث ما قبل السنتين الاولين . في الثالثة من العمر يكون الوليد قد سار شوطا بعيدا ، في مدى الحياة ، واستشرف آفاقا كثيرة . يكون قد ملك قدرا كبيرا من مفاتيح اللغة . من معمياتها . من بضع مئات الالفاظ ، التي تساعده على المشافهة مع غيره ، وعلى تكوين ثروة عقلية في مبتدى وجوده . اضف الى ذلك ما يكون قد حصله من المهارات البادئة ، والانفعالات ، والميول والاذواق ، والاهواء . رغم كل هذا يعفي النسيان على تلك المجموعة الضخمة من الاختبارات ولكنها تبقى راسخة في اللاوعي . ولقد اصبحت هذه المنطقة المبكرة ، اللاواعية ، مدار علم تحليل النفس الحديث . ان انحرافات وجدانية كثيرة تعودجذورها الى ما قبل السنة الثالثة . هذه المرحلة الاولى لينة جدا ، وطيعة ، تتقولب وفق ارادة المربي . ولذا كان من الخطر اهمال الطفل ، على اعتبار انه غير قابل للتربية .

في سني الحضانة

تتراوح هذه المرحله بين اثالثة والخامسة . هنا يدخل طفلنا في تناسق مع دنيا الاشياء ودنيا الاشخاص. ها هو في بداية الثالثة . يجهل المحيط الخارجي كل الجهل . ولكنه توق شديد الى معرفته . لهذا نراه عظيم الشوق للاحتكاك به . انها دعوة المعرفة ، فيه ، التي تحدوه على مد يده نحو الموضوعات الخارجية . ان العقل في بدء تبرعمه . هذا التبرعمانطلاق . من هنا ازدياد العلاقة بينه وبين الطبيعة .

لقد انفتحت شبابيك الحواس ، واخذ العالم الشيئي يتسلل الى باطن النفس . والنفس تواقة الى التلقي . انها محض قوه لاقطة في اندفاقها الى الخارج عبر الحواس . أهم تلك الحواس العين ، والاذن ، واللمس . واعظمها ، في الطفولة المبكرة ، اللمس . اللمس أشد الحواس حماوة . ان داخل الوليد فارغ ، بعد ، الا من القوة الرابخة . هذا الفراغ كالصمغ يكمش كل ما يمر امامه . يندفع نحو الخارج بشوق . ويجذب نحو الداخل بنهم . وهو يتميز بالحركة العضلية ، عن طريق اليدين والساقين . ولذا يجبان نفسح المجال للوليد ، في هذه المرحلة ، كي يمارس الاشياء بحرية تامة دون ما اعتراض . ذلك لانه مدفوع نحو لمس الموضوعات الكائنة في العالم الخارجي . ان عقله في حركة يديه ورجليه . ان ذكاءه يستمر في اطراف اصابعه .

بان الشق في ذات الوليد . لقد انفلق الى ذات وموضوع . موضوعه ، الان ، الطبيعة . فبقدر ما تنمو الذات ، تندفع جبرا الى الموضوع في الخارج . سيماوانها بكر بعد. ها هو حيال الطاولة. ازاء لعبة صغيرة. ابمقدوره ان لا يمد يده ليقبض عليها ، ويجلبها نحوه ، ويمعنالنظر فيها ؟ كلا . ان شخصيته كلها في هذه الحركة . ولذا يشعر بالغبطة المتناهية عندما يقبض على الاشياء . انه يفرح فرحا كبيرا . انه يكتشف. من هنا اضطرابه الذهني، وانفعاله النفسي ، امام بعض المواجيد . ان الوالدين الذين يجهلون ما للحركة العضلية من خطورة ، في هذه المرحلة ، يقفون عادة حجر عثرة حيال اطفالهم . ولا شك انها مرحلة مزعجة للراشدين ، ولكنها جد ضرورية للطفل الذي يريد ان ينطلق في شاسعات الكون . اذ لا سبيل الى اكتشاف الكون الا بالحركة اولا . لا سبيل الى انماء العقل الا باعطاء الحرية للحواس ، اولا ، كي تزاول وظائفها وفق ابعادها الطبيعية . هكذا يبدأ العقل .

وقد دلت الابحاث النفسية ان الطفل يشعر بلذة فائقة عندما تنفلش حواسه بارتياح . فهو شغوف بلمس الاشياء . بتذوقها . بشمها . بالنظر اليها . بكسرها وتخريبها . شغوف بالجري ، والعدو . شغوف بالركض ، والتسلق ، والقفز . ان العقل لم يتمركز بصورة نهائية ، في اعالي الراس . ما زالمنبسطافي الحواس . ولا سيما اليدين ، والرجلين ، والعين . فرغبة الطفل في القبضعلى الاشياء تعبر عن تفتح عقلي . العقل لا يجردبعد . ولكنه يختلج في كل عضو من اعضاء الجسم . ومن المستحسن

(١) ابن سينا : السياسة . (مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب) المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١١

ان لا تكون الاشياء ، التي يزاولها ، متجانسة كل التجانس فيما بينها . ذلك لان العقل ينهد الى وعي الصفات المختلفة اكثر مما ينهد الى وعي الصفات المشتركة . ولهذا كان من الواجب ان نضع امامه اشياء متنوعة الطول ، والعرض ، واللون ، والحجم ، والشكل ، لكي يعمل ذهنه في ادراكها . اما الاعمال التي تتطلبدقة في المزاولة اليدوية ـ اي المهارات النحيفة ـ فانها لاتشبع رغبته كبير اشباع. هذه المهارات تستلزم بعض الحضارة العقلية . بعض الصقل فيالاصبع والعين . بعض الشفافة الادراكية . على حين ان الطفل لا يبتغي الا مزاولة الحركة العضلية ، رمة ، لتفجير قواه الكامنة . ومن هنا ضرورة وضعه في الهواء الطلق .

نلاحظ ايضا ان اكتشاف الوليد للعالم الخارجي لا يحصل فقط عن طريق الحركة العضلية . لا شك في ان الحواس تلعب دورا خطيرا ، خلال هذه المرحلة . الا انها ليست الركيزة الوحيدة التي يقوم عليها العقل . العقل يبدأ بلمس الشيء ، عن طريق اليد ، في سبيل تجريده . ولا تجريد الا بالالفاظ ، اي باللغة . نشاط اللغة يواكب نشاط الحواس ، ويسانده في نموه الصاعد . عندما يمد الطفل يده ، ليقبض على شيء ، يميل في الوقت نفسه الى التلفظ باسمه . باللمس يتميز الشيء في المكان . يتميز عن سواه ، ويكتسب اطاره الخاص . وبالكلمة يترسخ في الذهن ، فيبين اطاره اوضح مما كان . بالكلمة ينتقل من الخارج الى الداخل، ليصبح مفهوما من مفاهيمالعقل المجرد

تبدأ اللغة اصواتا بسيطة . ومن ثم تتدرج في النوع باضافة حروف ساكنة . واخيرا تنتهي الى الاصوات المقطعية . عبر الثالثة فما بعد ، ينطق الوليد كلمات ، يتلقاها من الاخرين . فهو يلمس الطاولة ، مثلا ، او يراها ، وفي الوقت ذاته يلفظ اسمها عاليا . وقد دلت البحوث التجريبية ان اللغة تنمو من الحروف المتحركة ، الى السواكن ، فالمقاطع ، ثم الكلمات ، والكلمات المشيرة الى جمل ، واخيرا الجمل ، ثم الجمل الاخبارية فالاستفهامية . ونحن نلاحظ في هذا السلم المتعالي ، ان التطور يذهب من الحس الى العقل . من الحرف الذي هو مجرد صوت ، الى الجملة التي هي مجرد روابط كلمات بعضها ببعض . فبقدر ما تنتقل الاشياء عن طريق الحواس الى عالم النفس ،تتحول مفاهيم ذهنية هي في نهاية الامر كلمات مجردة .

وثمة نظريتان في شرح نمو اللغة . احداهما تقول بان الاصوات تبدأ بالبسيط وتنتهي بالمركب . وهي تفرض على الطفل بالوراثة . والثانية تبنى على بحوث ايجابية ، هي اقرب الى العلم منها الىالخيال . تقول هذه النظرية ان الطفليحمل بالقوة فيه ، بادىء بدء ، اصواتالا يمكن عدها. كل الاصوات . فهو قادر على ان يلفظ جميع الاصوات، مهما كان نوعها ، نظرا لطواعية حنجرته . ان حباله الصوتية لينة . ثم يأخذ الطفل من لغة محيطه ما يعطي جهازه الصوتي قالبا خاصا ، ويهمل ما عداه من القوالب الاخرى . وهذا يعني انالوايد لا يتكلم جبرا لغة والديه ، عن طريق الوراثة ، بل عن طريق البيئة . البيئة هي التي تفرض اللسان على الوليد . ايا كان والداه فهو يتلقناللسان الذي يتكلم به محيطه . قد يكون الوالدان افرنسيين ، وابنهما عربي اللسان ، اذا سلم الى حاضنة عربية ،وعاش في جو عربي . اجل ... ان الطفل مهيأ بالقوة لان يتعلم أية لغة يسمعها من الذين يحيطون به .

من الخطأ القول ، اذن ، بان الوليد لا يعرف هنا الحياة العقلية . لقد بدأ العقل يتكون صراحة بالمشيواللغة، ولكن على نطاق ضيق للغاية . هو منضغط في ثلاثة قموع: الاحساس ، الحركة ، اللغة . هذا العقل ما زال فويق الارض . يسرح ويمرح بين الجزئيات ، لان محصولهاللغوي لم يعزز بعد ، ليرتفع نحو الكليات . هو ينصب في المشاعر والتخيلات ،ويلتذ كلما قام بفعل واحد نحو شيء واحد . انه رخص العود ، كي يعبر الهوة الواسعة القائمة بينه وبين عالم الكليات المطلقة . انه عاجز عن التجريد الصحيح . ولكن هذا لا يعني انه قابع مكانه. لقد انتقل منسني المهد. خطا الخطوة الاولى في النمو . ها هويمشي ، ويركض ، ويلمس بارتياح الموضوعات الخارجية ، ويدير لسانه على تعريفها بالفاظ متقطعة ، وجمل مركبة . وهي خطوة جد خطيرة في تكوين وظائفه العقلية العليا . ان شبابيكنفسه لم تعد مغلقة .

اما حياته الانفعالية فرجراجة كالزئبق . ينتقل الطفل بسرعة من عاطفة خاصة الى عاطفة مضادة . من الحزن الى الفرح . من البكاء الى الضحك . من الخوف الى الاستكانة . هذا الانتقال المفاجيء رمز الى ان الحيوية الانفعالية قوية جدا . ولكنها حيوية قصيرة الموجات . قصيرة المدى في كل حالة . وهو الدليل الساطع الى انها لم تتخمر كفاية بالعقل ذي النفس الطويل . العقل لا يعرف الترجرج . لا يعرف الانتقال السريع بين الاضداد . ديدنه الاستقرار والثبات ، وعدم التحيز . ولذا نرى حدة الانفعال تزول شيئا فشيئا ، كلما تكاملت الانسجة النفسية عند الطفل ، واشتدت اضلاعه ، وسددت فنارات العقل الى مساكه ، واصبح قادرا على ان يربط الاجزاء فيما بينها

برباطات ثابتة . الاشياء والاشخاص تتحول بسرعة . اما الروابط فيما بين الاشياء ، والاشخاص ، فهي متينة . والعقل لا يدرك اشياء في حد ذاتها ، واشخاصا في حد ذواتهم ، بمقدار ما يدرك علاقات فيما بين الاشياء والاشخاص . العقل يدرك نسبا ، ومن خصائص النسب ان لا تتغير بسرعة .

يبقى ان هذا التطور من الخاص الى العام ، الذي يقوي مفاصل الانفعال ، لا يقضي مطلقا على العاطفة . ومن الواجب ان لا يقضي . اذ الانسان لا يدور على مدماك العقل وحده . هناك مدماك القلب ، الذي يلعب دورا خطيرا في تكوين اللطيفة البشرية الواعية . ولذا يجب ان تغذى الوحدات الانفعالية . ولا شك في ان اول عاطفة تتكون ، عند الطفل ، هي تلك التي تتركز حول الام ، او حول من يقوم مقامها من الراشدين المعتنين به . وقد رأينا ، فوق هذا الكلام ، شدة العلاقة الرحمية التي تربط الابن بالام . تلك العلاقة هي ذاتها الحنان . ولعل هذا الامر هو الذي يحدو على القول بوجوب معالجة الامهات انفسهن تربية اطفالهن . وذلك لسببين هامين . اولا ، ان وجود الام دائما بجانب طفلها يعينه كثيرا على تكوين وحدة انفعالية مستمرة ثابتة ، صافية ، هو بامس الحاجة اليها في بداية حياته . هذه الوحدة الانفعالية المستمرة توفر عليه عددا كبيرا من الحالات السالبة كالقلق ، والخوف ، وما الى ذلك من الاضطرابات النفسية المخربة . ثانيا ، الطفل بحاجة الى الحنان . الى حماوة العاطفة الصادقة .. وهذا يصعب ايجاده عن غير طريق العلاقة الرحمية . عاطفة الام ركيزة بادئة ، في حياة الانسان ، واجبة الوجود . عليها ترتفع فيما بعد اعمدة العقل الضخمة . فاذا فقدت تلك العاطفة ، التي لا بد منها ، دب الخلل حتما في الاساس ، وبان الانحراف يوما بعد يوم ، كلما تكاملت خبرات الانسان . لا شيء يقوم مقام عاطفة الام . لا شيء يعطي حرارة ذراعيها وجمره صدرها . فاذا توافرت تلك العاطفة ، استقرت الوحدات الانفعالية ، ونمت الشخصية بصورة معتدلة .

اما شعوره الاجتماعي فهو يتراوح بين الاستقلال وعدم الاستقلال . مستقل بالنسبة الى سني المهد ، ولا سيما الاولى . لقد اكتسب وجودا خاصا به ، فاصبح له عادات ومسالك تعود اليه . صار قادرا على الاصغاء والتعبير عن ارائه . قادرا على خلع ثيابه ، وارتدائها ، دون الالتجاء الى والدته . ها هو ياكل وحده ، ويمشط شعره وحده ، ويرتب غرفته وحده ، ويروح ويجيء وحده . انه زعيم دنياه ، وان كانت صغيرة . ولكن هذا لا يعني ان شعوره بالاستقلال هو شعور تام . ما زال سريع العطب . سريع الاندحار . لذا يعي ، اكثر من كل وقت اخر ، انه بحاجة الى عضد الوالدين . هو لا يستطيع ان يقدم على فعل ذي خطورة ، الا بمعونة والديه . الدليل الى ذلك ؟ خوفه من الظلام ، وارتعابه من كائنات خيالية لا وجود لها ، كالغول والتنين وما شاكل .

من هنا تأليه الولد والديه ، في المرحلة الواقعة بين الثالثة والخامسة . هو يشعر ، بصورة لاواعية ، انه بحاجة اليهما . بحاجة الى راشد يعضده بحاجة الى مرجع يكون ثقته . ولهذا نراه يندفع بالسليقة الى تصديق كل ما يفوه به الوالد ، او تفوه به الوالدة . ما يعلنه الوالدان منزل من السماء . من الصعب ان نجد ، خلال هذه المرحلة ، وليدا يشك في اقوال والده او والدته . هما معصومان من الخطأ . اكثر من ذلك . انهما تلك السلطة المعصومة . من الواجب ، اذن ، ان تنطبع معاملة الراشدين للاولاد بطابع الجد ، والثبات ، والرصانة ، والاستقرار . الرخاوة في سلوك الوالدين يعطيان مثلا عاطلا . وكثيرا ما يصبح الوليد ضعيف الثقة بنفسه نتيجة للمعاملة المتراخية . فمن المستحسن ان يحزم الوالد والوالدة متى اصدرا امرا . ان ثبات الاباء يخلق ارادة قوية عند الابناء .

نصل الى روابطه بالاولاد ، الذين هم مثله . هذه الروابط اجتماعية صحيحة . لقد تحرر من النزعة الفردية في اللعب . هو لا يلعب وحده . لا يستاثر بادواته . ومن هنا التوصية ان لا يبقى الوليد وحيدا . ذلك لانه يميل بالفطرة الى ان يلعب مع رفاق له . والا اضطر في جو بيته ان ينضج قبل اوانه ، فيترصن ، ويهدأ ، ويستكن ، في غير وقته . اذن يجب وضعه في محيط من رفاق له . انه ينهد الى الاجتماع بهم . يشعر بالتعاطف مع الغير . بمشاركة الغير في لعبه . ولكن هذه النزعة الاجتماعية تتميز بطابع خاص ، وهو حب السيطرة على الاخرين . هو قائد وزعيم . يحب اللعب مع الغير في سبيل ارضاء نزعة له . هو يقود ويتزعم . يقود الاخرين ، ويتزعم حركتهم . ولا شك في انه صادق . صادق في الدور الذي يلعبه ، لان عقله لم ينشط بعد كفاية حتى يفصل الحقيقة عن الخيال . ليس اهون على الوليد ، في هذه المرحلة ، من ان ينقاد خلف الواهمة . ذلك عمر الحكايات . أيجوز لنا ان نقتل فيه روح القيادة والزعامة ؟ وروح الاندفاع نحو الخيال ؟ كلا . ان التزعم يقوي فيه الثة بالنفس ، والسيطرة في المستقبل على مجاريات الايام . بهذه الروح يتسلطن على الحوادث ، ويعمل دائما على ان يكون الفائز والقائد . اما روح الاندفاع نحو الخيال فهو جد ضروري ، شرط ان لا يتطرف به ، لانه يغذي فيه ملكة الاكتشاف ، والغياصة على الاشياء الجديدة . الاختراع هو دائما وليد الخيال . ولا يستطيع المرء ، في هذه الحياة ، ان يعيش وجوده بدون خيال .

من الواجب ان يستغل المربي هذه النواحي الايجابية عند الطفل . فهي تساعده على فهم حقيقة المجتمع في اسمى معانيه . وقد توصل الكثيرون من المربين المحدثين الى كشف الغطاء عن الفوائد الناتجة عن مثل الشعور بالزعامة . فعلى المدرسة ان تيسر جوها بصورة معتدلة ، لتنمي عند الطفل القدرة على ربط علاقات اجتماعية مع غيره من الاطفال . لا زعامة الا في مجتمع ، اذ لا زعامة حيث لا مجتمع . والزعامة ، بمفهومها الواسع ، من اقوى الادلة على ان الوليد اصبح يميل الى الاستقلال . وغاية التربية الصحيحة تغذية هذا الميل ، اي تدريب الانسان على الحرية . وليس ادل على الحياة الاجتماعية من ظاهرة التزعم . ذلك لانها تتناول ، في حياة الوليد ، ظاهرة من اهم ظاهرات التربية ، وهي اللعب .

لا يحدث اللعب الا في جو من التزعم . واللعب ، كما سنراه فيما بعد ، من اهم الفصول في كتاب التربية . هو من لزوميات انماء شخصية الانسان . ان اكثر انواع اللعب يحتاج الى الزعامة . المباراة في كرة القدم مثلا .

رئيس الفرقة هو دائما زعيم . بدونه لا يجري اللعب بنظام ، وانسجام ، وتسديد قوي نحو غاية واحدة ، هي الفوز . مثل مجتمع الاطفال كمثل مجتمع الكبار الراشدين . لا يتطور الا بالزعامة . فمن واجبات المدرس الحكيم ، القدير أن يتلمس مواضع الزعامة ، عند تلاميذه ، حتى اذا رأى لدى احدهم تلك الموهبة ، عمل على صقلها ، وابرزهــا ، وانحجب هو لكي تأخذ زعامة الوليد مجراها الطبيعي .

ومن الخطأ ، عبر هذه المرحلة ، ان يفرط الاستـــاذ في التوبيخ . الوليد عزيز الجانب كثيرا ، كريم الخصال ، لا يريد ان تكون زعامته مكسورة الانف . ولهذا رؤي ان المعاملة المهذبة افضل من المعاملة الخشنة . الامر الصارم ، والنهي التعسفي ، لا يوصلان الى نتائج تربوية مرضية . من المستحسن ، اذن ، ان يعتمد على المديح والتشجيع في تربية الطفل ، اكثر مما يعتمد على الذم والتقريع . التأنيب المفرط يميت الحماسة . يقتل الحيوية . يشل الزخم . في حين ان الاطراء هو من غرائز الطفل واستعداداتـــه الفطرية . يقول ابن خلدون : لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة اسواط ...وقال: اما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للبأس بالكلية ، لان وقوع العقاب به ، ولم يدافع عن نفسه ، يكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه بلا شك . واما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت في ذلـــك بعض الشيء ، لمرباه على المخافة والانقياد ، فلا يكون مدلا ببأسه . ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد بأسا ممن تأخذه الاحكام . ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التأديب والتعليم، في الصنائع والعلوم والديانات ، ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ، ولا يكادون يدفعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه (1)

في سني الرياض

تتراوح هذه المرحلة بين الخامسة والسابعة . وهي بداية حياة الوليد الاجتماعية . بداية انخراطه في محيط أوسع من بركار جسده . اوسع من دائرة عائلته . الحواس تتطاول هنا بصراحة نحو الخارج . كل ما فيه ينهد الـــى هناك . لقد نضج كفاية ، واصبح بامكانه الاستغناء عـــن المعونات المباشرة . ها هو وحده تحت سقف غير بيته . لم يعد يدور في دنيا امه . لم يعد صغيرا بحاجة الى مـــن يداديه . لم يعد البيت عالمه الاكبر . صـــار قادرا عـــلى الخروج بعيدا ، والاشتراك في مجتمع آخر ، هو اوســـع مدى ، وارحب آفاقا ، واغنى لونا ، وشكلا ، ونوعا . هذا المجتمع الاول ، بعد البيت ، هو حجرة صغيرة للدراســـة البدائية . هو اللعب مع الاخرين تحت مراقبة حاضنـــات مدربات . لقد خرج من دنيا البيت الى دنيا المدرسة . من دنيا العائلة الى دنيا المجتمع . هنا ينفلش نموه بصورة افعل في نواحيه الثلاث : الجسمية ، والنفسية ، والاجتماعية . اصبح يدرك ما هو فحوى الموقف ، اي فحوى ان يقـــف الانسان حيال ذاته ، او حيال غيره . اصبح يدرك ما هـــو معنى الازائية ، اي ما هو معنى ان يكون الانسان ازاء ذاته، او ازاء غيره . ان العالم ، الذي بدأ يعيش فيه ، يتيـــح له الان ان يسأل ويتساءل . يتيح له ان يواجه سواه ، لا كما كان يواجه امه المدللة . انه في دنيا العلاقة . وما العلاقة الا الاساس ، الذي يرتكز عليه الواجب .

نبدأ بجسمه . لقد قويت حركته العضلية ، بصورة عامة ، ولا سيما حاسة اللمس . ان هاتين الحاستـــين ، العضلية واللمسية ، تبلغان في قوتهما عند الوليد ضعف ما تبلغه الحواس الباقية عند الانسان الراشد . ولا عجب. فالنمو الحاسي ، في غير اللمس والحركة العضلية ،يتطلب الكثير من التجريد . من الدقة. من التدريب. من الجدارة . وهذا لا يحصل الا في وقت متأخر من العمر . ان حاستي السمع ، والبصر ، من النشاطات الجمالية – اعني الفنية – التي تستلزم بعض الصقل في مزاولتها . اما اللمس فمدى زخمه قصير جدا . ولهذا ينمو بسرعة اكثر من غيره . وهو يصل قبل غيره من الحواس الى نهاية شوطه من النمو. وهكذا قل عن الحركة العضلية ، التي تبدأ بالتفجر قبـــل سواها ، وتدرك مداها الاخير قبل سواها . وعلى الرغم من ذلك يجب الا نبالغ في نمو حاسة اللمس ، والنشــاط العضلي ، في هذه المرحلة . ان كل حركة تتطلب دقة في المزاولة واجادة في الممارسة . تلك اللباقة في الحركة مــا زالت ضعيفة بعد عند الوليد . هو عاجز مثلا عـــن تحريك اصابعه باتزان على اوتار عود ، بحيث يخرج النغم المتوخى صحيحا . هو عاجز عن المسك بالقلم جيدا ، ومعالجتـــه باتقان ، وخفة ، والفة ، بحيث يخرج الخط آية في الابداع. هذه الحركات مهارات فائقة . ونشاطه الحركي يقف عند حد اعطاء القوة العنيفة ، التي لا تحتاج الى الدقة ، والاجادة ومن هنا القول بضرورة توجيه الحركة العضلية ، والحاسة اللمسية ، الى التحكم فقط بالحركات الكبيرة ، اعني بالتي لا تستلزم براعة فنية .

قلنا فوق هذا الكلام بان الوليد يكون قد نضج كفاية، مهيئا ، ليدرك ان الاشياء مرتبطة فيما بينها بعلاقات صارمة لقد بدأ يتحسس العلاقة الكائنة بين الموضوعات الخارجية . بدأ يعلم ان الطاولة ليست موجودة بمعزل عن الشباك . وان السقف ليس موجودا بمعزل عن الحائط . قد يصف طفل الثالثة ما في الصورة من اشياء . فاذا عمر الى الســادسة ، اصبح قادرا على وصف ما فيها مستعينا بالاسماء والافعال. انه يدرك ما هو حادث فيها . والحدث دائما علاقة مـــن العلاقات . وهو دليل وعي دينامي عند الوليد ، يـــوم يتوصل الى وصفه بالتسمية . واذا عمر الى السابعـــة استطاع ان يدرك العلاقات الفضائية الكائنة في الصورة . استطاع ان يحيز . ويمكن . ماذا يعني هذا التطور من ادراك الشيء ، في حد ذاته ، الى ادراكه مرتبطا بغيره ... الى ادراكه علاقة بينه وبين سواه ؟ هذا التطور معناه ذهاب النفس العاقلة من الموضوع الفرد الى الناموس الكلي. معناه ارتفاع من الجزئيات الى الكليات . من الوجود الى الجوهر. لقد بدأ يدرك العالم الخارجي كوحدة متماسكة الحلقات . وبذلك يخطو خطوة حاسمة نحو البحث عن العلة . ها هو فعل السببية في الظهور . لكن هذا النمو لا يتجاوز الحدود القريبة . لم يضرب بعد في الاعماق .

ينبغي الا ننسى ان عملية اللغة تحتل هنا مكانا هاما

[التتمة في صفحة ٦٩]

كمال يوسف الحاج

(1) المقدمة الباب الثاني الفصل السادس

قضايا ادبية معاصرة

بقلم وديع فلسطين

اثيرت في الاوان الاخير قضايا ادبية شتى ، انقسم فيها الكتاب الى شيع واحزاب، وانتقلت حلبات النقاش من صفحات الصحف الى ندوات الادب الى موجات الاثير الى معاهد العلم العليا الى المنابر العامة . ففريق يتحزب للعامية، وفريق يتشيع للفصحى ، وفريق يدعو الى الشعر الحر ، وفريق يلتزم الشعر الموزون المقفى ، وفئة تدعو الى ترجمة المصطلحات العلمية ، وفئة اخرى تقول باستخدام الالفاظ اللاتينية الشائعة ، وقوم يقولون بتيسير قواعد اللغة العربية ، وقوم ينادون بالتعسير والتزمت ، ومذهب يرى ان تكتب اللغة كما تنطق فتضاف الى الكلمات الحروف التي حذفت منها اقتضابا ، ومذهب يرى ان لا تمس الكتابة بسوء فتبقى على ما توارثناه عن السلف المتقدم ، ودعاة يقولون بنبذ الحرف العربي واستخدام الحرف اللاتيني بعد تطويعه لمقتضيات القراءة العربية الصحيحة ، ودعاة اخرون ينادون بالحفاظ على الحرف العربي فهو من المقومات الاصيلة للغة الضاد ، وفرقة تقول ان الادب يجب ان يكون ملتزما فيعالج قضايا الجماعة ، وفرقة تعتقد ان الادب يجب ان يكون طليقا من كل التزام يوجهه الكاتب حسبما يتفق مع هواه دون تقيد باداء رسالة معينة تفرض عليه ، وادباء يشيدون بشعر المهجر ويرفعونه الى اعلى درجات الشاعرية وادباء آخرون ينكرون على هذا الشعر كل شيء ويرمونه بالمروق .

كل هذه قضايا تستأهل المناقشة من جانب حملة الاقلام رجاء ادراك قدر من الاتفاق في صددها . فلنعرض هذه المعارك الادبية مبدين فيها الراي .

معركة العامية والفصحى

واولى هذه المعارك هي المعركة الناشبة اليوم بين دعاة العامية ودعاة الفصحى ، وقد ظهر اخيرا عنصر جديد فيها دان بسياسة التوسط في الامر ، وهو عنصر جديد يتزعمه محمود تيمور ويطلق على دعواه اسم « العامية الفصحى » اي العامية التي تتقبلها الفصحى وترحب بها ولا تنفر منها او تزهد فيها .

والذي لا ريب فيه انه ليس ثمة ما يسمى « اللغة العامية » ، فالعامية ليست لغة ، بل هي لهجات جرت على الالسنة مجرى غير مرهون بقاعدة او بمنهاج ، فجاءت عفو الخاطر والبديهة واكتسبت مع الوقع كيانا هو كيان من « العنعنة » لا من الادب المسطور المكتوب . فالقول بان هناك « لغة » عامية تصاول اللغة الفصحى وتطاولها قول فيه كثير من التجوز ، لان اللغة الوحيدة التي نعرفها هي اللغة التقليدية النظامية الفصحى ، وما عداها لغو منسوب الى العامية لا يقومه صرف ولا يخضعه لسطوته نحو ، ولا يعتد به في بحث او يستشهد به في مقام استشهاد .

والعامية لهجات لا ضابط لها ولا صلة بينها ، وهي بغير ماض ادبي عريق او غير عريق . والتفاهم بالعامية بين اقطار العروبة متعذر ، فاللهجة المغربية تختلف عن اللهجة الصعيدية المصرية ، واللهجة الصعيدية تختلف عن اللهجة المتداولة في دلتا النيل ، وهذه وتلك تختلفان عن اللهجة السورية ، وهذه بدورها بعيدة كل البعد عن اللهجة العراقية . وكل هذه غير ذات صلة باللهجات الشائعة في جزيرة العرب . فكيف يمكن ان تنشأ رابطة قومية بين شعوب هذه رطاناتها ، اللهم الا ان تجمعها اللغة العربية الفصحى بماضيها المجيد وحاضرها التليد وغدها المرجو .

وهنا يعرض لنا استفهام : فهل عز على اللغة الفصحى ان تعبر عن رأي او عن قصد مما يقال ان العامية تحسن التعبير عنه ؟ والجواب على هذا الاستفهام لا يمكن الا ان يجيء مقررا قدرة الفصحى على التعبير عن خلجات النفس جميعا ومقاصد الانسانية كلها تعبيرا صادقا يزيد في بلاغته على ما تتسع له العامية من الفاظ ذات سقم . فليس في الفصحى قصور عن الوفاء بحاجة الحوار ، وانما القصور قصور اولئك الذين لا يريدون ان ينهلوا من المنبع العذب ، مؤثرين عليه الماء الآسن الراكد في جدول دان .

فالدعوة للعامية دعوة الى امتهان اللغة العربية وامتهان التفكير العربي عموما ، وهي ردة في التفكير لا تصدر الا عن قوم عاجزين ، كالمرضى اذ يألفون صحبة الداء فلا يعودون يطلبون منه برءا ، او كالارقاء اذ يألفون حياة الاستعباد فينفرون من الحرية ويجزعون منها وينقمون عليها .

وكل دعوة الى العامية هي دعوة الى خراب . واذا كان اهل السياسة يعرفون مذاهب هدامة تهدد الجماعة بخطرها الوبيل ، فان اهل الادب لا يميزون في الدعوة الى العامية الا انها مذهب من هذه المذاهب الهدامة التي يتعين مكافحتها قبل ان تفشو فتفسد علينا ادبنا وتفكيرنا ومنهاجنا الثقافي السليم .

وقد جاء محمود تيمور اخيرا براي بين بين ، فقال ان في العامية كثيرا مما يرتد الى اصل عربي عريق فصيح، وقد لاكته الالسنة فحرفته او اخرجته عن معناه الدقيق . فمثل هذه الالفاظ ترحب بها الفصحى كل ترحيب وتقبلها في حظيرتها دونما تحفظ او معاندة . وهذه الالفاظ ، وان تكن عامية تتداولها الالسنة في غير تحرز ، فهي فصيحة تؤديها اللغة السليمة ولا تتنكر لها . ومن ثم اطلق عليها تيمور اسم « العامية الفصحى » . وهذا الراي مقبول لا اعتراض عليه ، فسواء رددنا الى الفصحى ما صدر عنها اصلا ثم نالته ايدي التحريف والتزييف ، او ادخلنا في العامية الفاظا فصيحة تؤدي عين ماتؤديه الفاظ العوام من معان دقيقة ، فلن يكون ذلك منا الا دعوة خالصة الى الفصحى ، فهي الاصل والمنبت ، وما عداها لكنات ورطانات مطعون في سلامتها .

الشعر الحر المرسل والشعر الموزون المقفى

ومن المعارك الادبية التي احتدم اوارها معركة الشعر، فقد جاءت شيعة من الشعراء المحدثين بثورة على الوزن والقافية ، وحررت النظم من هذه القيود ، وارسلت الكلام ارسالا لا تتوخى فيه الا ان يكون ذا وقع في الاذن ، وذا جرس يتردد في الحين بعد الحين .

وحتى هؤلاء الشعراء المحدثون ، تطرف بعضهم حتى طلق جميع قواعد النظم ، بينما تحفظ البعض الاخر مقتصرا على التجديد في الاوزان وفي العروض .

ولسنا ننكر الدعوة الى التجديد ، فالحياة بجميع

مرافقها ومرابعها ومراتعها ينبغي ان تتجدد كل يوم ، ولن يستطيع احد ان يوقف حركة التجديد ، سواء لجأ الى اسلوب الاقناع او عمد الى اسلوب البطش . فتيارالتجديد كالنهر العاتي لا يصد ، وهو سنة من سنن الحياة لاينكرها حتى خصوم « داروين » .

ولكن التجديد ينبغي ان يتناول القالب لا الجوهر ، والا عد انحرافا عن الاصل وافتئاتا على الشعر نفسه . فالشعر ان فقد خصائصه الاصيلة لم يعد شعرا ، بل يصبح شيئا آخر للمرء ان يسميه نثرا مشعورا او شعرا منثورا او مرسلا ، ولكنه لن يكون شعرا بالمعنى الذي عرفته اللغة العربية والادب العربي .

واللغة العربيةتتسع كذلك لايواء هذا اللون المتحرر من الوان الادب ، لا باعتباره نظما وشعرا ، بل باعتبارهنثرا. واذا كان النقاد لا يعترفون بالمنفلوطي شاعرا في نظراته وعبراته وقصصه ، مع ان اسلوبه شاعري النزعة والاداء ، واذا كان ميخائيل نعيمة في كتابه « كرمعلى درب » لا يسلك في عداد الشعراء على الرغم من ان على عباراته مسحة الشاعرية الوضاءة ، فكيف يقال عن كل من يرص الكلام رصا وينثره على الورق نثرا دون تنضيد انه شاعر مفلق ؟

ومما لا جدال فيه ان الشعر الموزون المقفى ليسباعثا على الطرب كله ، ولا جيدا على اطلاقه ، ففيه ما يجمع النقاد على استحسانه ، وفيه ما يكادون يجمعون على استهجانه . والشعراء طبقات ، فيهم الفحول وفيهم الاقزام، بل فيهم من قال شعرا موزونا مقفى دون ان يحسب في عداد الشعراء لضعف اداته وادائه او عامية تفكيره او تفاهة مادته .

فاذا كان هذا صحيحا في ما يتعلق بالشعر النضيد بوزنه وقافيته ، فانه يصح كذلك على الذين ينتمون الى المدرسة المتحررة من « الشعراء » . فبين افراد هذه المدرسة من نالوا استحسانا لتجويدهم وابداعهم ، وبينهم من لقوا استهجانا لاسفافهم وقلة عدتهم .

والخلاف على التسمية لا غير . فهذا الكلامالحرالمرسل هل يسمى شعرا او يسمى شيئا آخر ؟ فان سمي شعرا انكره الادب العربي بقديمه وحديثه وعده ناكصا ناقصا ، وان سمي نثرا مشعورا ، فعندئذ تفتح له الضاد صدرها رحبا ، ولا سيما ان اتسم بالجودة واتصف بحسن الاداء وكان منتقى اللفظ بادي العناية بسائر قواعد اللغة .

معركة المصطلحات العلمية

وتدورحول المصطلحات العلمية معركةحامية الوطيس مشتعلة الاوار . فهناك فريق يراسه سلامه موسى يطالب بالكف عن ترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة العربية واستعمال المصطلحات اللاتينية كما ترامت الينا . وهناك فريق اخر لا يأخذ بهذا الراي على اطلاقه ، بل يدعو الى الترجمة ان كان هناك سبيل اليها ، والى التعريب ان جاز التعريب ، والى النحت ان هانالنحت ، والى استحياء المصطلحات القديمة ان وجدت سائغة ، والى استبقاء المصطلحات اللاتينية ان عز تعريبها او ترجمتها . ومن دعاة هذا الراي الامير مصطفى الشهابي ، وقد جلاه في كتابه عن المصطلحات العلمية وفي مقالات شتى نشرها في المجلات العلمية ثم في معجمه النفيس « معجم الالفاظ الزراعية » بعد ان زيده ونقحه وطبعه ثانيا . ولعل هناك فريقا ثالثا ، من اعلامه اسماعيل مظهر ، يدعو الى ترجمة جميع المصطلحات العلمية الى اللغة العربية رغبة في اغناء اللغة بتعبيرات جديدة تطوع للمشتغلين بالعلم ان يكتبوا بها بسهولة ويسر .

ومن طابع العلماء الا يتعصبوا تعصبا اعمى ، ومن طابعهم كذلك ان يناقشوا امور العلم بكثير من الحلم فلا يحتدون او يشتطون كما يفعل سواهم .

والذي لا ريب فيه ان اللغة العربية ، على غناها في ابواب الادب والقانون والاجتماع والفلسفة ، لا تزال فقيرة في ابواب العلوم البحتة ، ولا سيما الحديثة ، كعلوم طبقات الارض والطبيعة والاحياء والنبات والعلوم النووية والهندسيةوالميكانيكية والكهربائية وكذلك الطبية. ولكثيرين من العلماء المتقدمين والمعاصرين فضل في تغذية اللغة العربية بالمصطلحات العلمية ، منهم فان ديك وفارس نمر ويعقوب صروف وامين المعلوف ومحمد شرف ، ومنهم فؤاد صروف ومصطفى الشهابي وسلامه موسى واسماعيل مظهر وغيرهم .

وقضية المصطلحات العلمية هي من القضايا التي يحلها الزمن ، فالزمن وحده هو الكفيل باقرار المصطلحات، يأخذ منها ما يأخذ لصلاحيته ، ويدع منها ما يدع لعيب فيه . والمصطلحات كالعملة التي يتداولها الناس ، فان كانتجيدة لم يقف في سبيل تداولها شيء ، وان ظهرت بها علة رفضت وكانت منبوذة .

ويقول سلامه موسى انه اذا اريد لنا ان نكون على صلة بتقدم العلوم والفنون في الخارج ، وجب ان نستعمل المصطلحات اللاتينية التي تكاد تكون عالمية يؤخذ بها في جميع اللغات الحية . ولكن العيب الرئيسي في هذهالدعوة هو ان الصلة مقطوعة بين اللغتين الاتينية والعربية ، مما يجعل تبسيط العلوم متعذرا على من يجهل اللغة اللاتينية وما انشق عليها من لغات . ومعروف ان الشرق العربي لا يزال متخلفا تخلفا شديدا في مضمار اجادة اللغات الاجنبية . ثم ان النسبة الى هذه المصطلحات والاشتقاق منها يغدوان متعذرين في اللغة العربية ، لان تطويع هذه المصطلحات الاجنبية لقواعد اللغة العربية امر غير عملي .

بل اننا نلاحظ ان العلماء اليوم جروا على استعمال لفظة « الذرة » بدلا من لفظتي « الجوهر الفرد » عند بحثهم العلوم النووية ، مع ان « الجوهر الفرد » أصح من « الذرة » تعبيرا وادق معنى من ناحية اللغة . وفي هذا دليلعلى ان الزمن وحدههو الفيصلفي اختيار المصطلحات العلمية ، فان وجد « الذرة » اسلس من « الجوهر الفرد » واخف ، تداولها واشاعها ، ولا حرج .

ولكن يحسن في الاوان الحالي ان يقرن كل مصطلح لاتيني امكن ترجمته او تعريبه بما يقابله من معنى عربي . فان درست العلوم في الجامعات بالانجليزية او بالفرنسية، فهذا لا يمنع من ان يوجه الاستاذ نظر الطلاب الى ماوضع بالعربية من مصطلحات تقابل نظيراتها الاعجمية . وبهذا نبقي على صلتنا بتطورات العلوم الحديثة ، ونحاول في الوقت عينه اننزيد لغتنا العربية غنىوثروة في المصطلحات الجديدة .

ويجدر في هذا المقام التنبيه الى ان الصحافة ، ما

كان منها عاما او خاصا ، تعتبر خير وسيلة لنشر العلوم وتعميم الفاظها ومصطلحاتها فان بقيت الصحافة على صلة باهل العلم وببحوث اهل العلم ، افادت كثيرا في اشاعة الالفاظ العلمية واذاعتها على اوسع نطاق .

معركة قواعد اللغة العربية

ومن المعارك التي لا تخبو ، معركة قواعد اللغة العربية وفي قيام هذه المعركة اقرار بان المدرسة لم تفلح في تعليم النشء الجديد قواعد اللغة بحيث يخلو الكلام المكتوب او المقول من اللحن والخطأ فاما ان هناك عيبا في اسلوب التعليم ينبغي علاجه ، واما ان هناك صعوبة في قواعد اللغة العربية يتعين تذليلها . فان اجتمع هذا العيب الى تلك الصعوبة ، خرج جيل من الشباب يجهل لغته ولسانه ، ويعز عليه ان يكتب كتابة تخلو من خطأ او ان يتكلم كلاما يبرأ من سقام .

ويمكن تقسيم قواعد اللغة العربية الى قسمين : قواعد متداولة كثيرة الاستعمال ، وقواعد قليلة التداول تضاف اليها الشواذ ، وهذه لا يستعملها الا المتبحرون في اللغة الباحثون عن متونها واصولها .

اما القواعد المتداولة التي يحتاج اليها المرء في حياته اليومية حين يكتب خطابا او تقريرا او يلقي كلمة او يتلو رسالة او يطالع صحيفة ، فهي القواعد التي ينبغي ان تعطى اولوية في التدريس ، فتختفي تبعا لذلك الاغاليط الفاحشة التي يقع فيها السواد الاعظم من خريجي الجامعات والمعاهد العليا ، تلك الاغاليط التي ترجع الى جهل الكاتب او القارىء بقواعد النحو والصرف من رفع الفاعل الى نصب المفعول به الى معرفة اخوات ان وشقيقات كان والى متابعة تأثير احرف الجر والجزم والنصب في الجمل ، وغير ذلك من بسائط النحو .

وهذه القواعد المتداولةهي من السهولة واليسر بحيث لا تحتاج الى مزيد من التبسيط او التيسير : ولو انفق المرء في دراستها قليلا من الوقت ، لامسك بناصية اللغة ، وامتنع عن ايراد الفاحش من الاخطاء مما هو معهود في النشء الجديد وفي خريجي المعاهد الجامعية العليا .

اما القواعد غير المتداولة كالعروض واوزان الشعر وبحوره والشواذ في اللغة وغير ذلك مما اتت عليه « الفية ابن مالك » فهي قواعد لا تعوزالا المتخصصين في اللغة الذين يبحثون قضايا النحو بتعمق وتوسع وتبحر لا يقوى على شيء منه الرجل العادي .

فالذي ننشده ، وهو اضعف الايمان ، هو ان تختفي من صحف الادب ومن الكتب المقروءة ومن احاديث الاذاعة ومحاضرات الجامعة والمنابر العامة ومن الصحف اليومية ، تلك الاخطاء النحوية الدالة على جهل مطبق بقواعد اللغة المتداولة . فالتذرع بصعوبة القواعد امر غير مقبول ، ومن لا يعرف لغته ، فخير له ان يثني قلمه عن الكتابة ويلجم لسانه عن الكلام لانه غير اهل لكتابة او لكلام .

فالمعركة حول قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها، معركة موهومة لا وجود لها . والقول بصعوبة قواعد الضاد قول مردود . فالقواعد المتداولة ابسط من ان تحتاج الى تبسيط ، وفي وسع الصبية في المدارس الابتدائية ان يلموا بها الماما يعصمهم في الغداة من زلال الاقلام والالسنة . ومن جهل هذه القواعد المتداولة ، على يسرها ، فكيف يعتد بما يكتب او يعالج من معضلات المسائل التي تتناول جميع مناحي الحياة من علم وسياسة واقتصاد وهندسة وقانون وطب ، بل من قصة وشعر ومقال افتتاحي ونهر ثابت في صحيفة ذائعة الانتشار ؟ فكيف يؤتمن محام على قضية وهو اعوج اللسان عليل العبارة؟ وكيف يؤتمن صحفي على جريدة وهو سقيم التفكير لا يقوى على تعبير ولا يحسن كتابة ولا يتجنب مواطن الزلل ؟

فما وضعت القواعد الا لتصون اللغة وتكفل لها الاداء الصحيح السليم . ومن استعصت عليه قواعد اللغة ، فليطرح قلمه جانبا وليصمت صمت القبور . وقديما قيل : « لا يزال الرجل مهابا حتى يكتب او يخطب » . فان كتب او خطب فضح جهله ان كان جاهلا ، وذهبت عنه الهيبة الى غير رجعة .

معركة الهجاء

وبقواعد اللغة تتصل اشكال الكتابة اي هجاء الكلمات . فكتابنا لا يخطئون في القاعدة وحسب ، بل يخطئون كذلك في الهجاء خطأ غليظا . وقد طلع علينا الدكتور طه حسين اخيرا بمنهاج جديد في الهجاء يدعو فيه الى كتابة الكلمات وفقا لمنطوقها . فأضاف الى طه ألفين وصيرها « طاها » ، وجرى على هذا النحو في اعادة الاحرف المستترة او المحذوفة الى الكلمات العربية . ف « هذا » تكتب « هاذا » و « على » تكتب « علا » و « مصطفى » تكتب « مصطفا » و « يس » تكتب « ياسين » وهلم جرا .

ولو كان طه حسين جادا في دعواه هذه لتمسك بها ولم يتخل عنها بعد تجربة واحدة اقتصرت على مقال نشره للترويج لها . فلا اثر لهذه الدعوة في الفصول الاخيرة لطه حسين ولا في كتبه الحديثة ، بل انه يراعي في هذه وتلك اشكال الهجاء كما توارثناها واصطلحنا عليها .

واذا كانت دعوة طه حسين هذه قد اسفرت عن شيء ، فذلك الشيء هو ما احدثته من بلبال بين جمهرة الادباء والمتأدبين ، طوع لكل ضعيف الاداة عليل التفكير ان يعبث باللغة كما يشاء بحجة التجديد ، وعذره ان عميد الادب العربي والعضو الخالد في مجمع اللغة العربية قد طالب بالتحلل من قيود الكتابة السليمة .

وفي اللغة العربية، شأن اللغتين الانجليزية والفرنسية، حروف زائدة وفيها كذلك حروف ناقصة . فالالف في « مائة » زائدة ، والالف والياء والنون ناقصة في « يس». وفي الفرنسية تحذف اواخر الكلمات عند النطق او تدغم في ما بعدها . وفي الانجليزية حروف زائدة ايضا تحذف عند النطق ، كما ان فيها حروفا ناقصة في الكلمات . ومع هذا بقيت هاتان اللغتان على حالهما ، فلم يناد احد من المجددين بكتابة الكلمات حسبما تنطق ، اللهم الا في الولايات المتحدة الامريكية حيث اجيز حذف الحروف الزائدة في الكلمات وعدل الهجاء تبعا لذلك . وهذا « الاصلاح » الامريكي لا يزال غير مقبول من سائر المشتغلين بالادب الانجليزي اللسان في انحاء العالم المختلفة .

وما يقال عن القواعد يقال عن الهجاء . فمن اراد ان يشتغل بالكتابة ، وجب عليه ان يعرف كيف تكتب الالفاظ والكلمات . فان جهل الهجاء ، كان غير اهل لهذا العمل ، ولا يمكن بالتالي ائتمانه على اداء رسالة ما ، وخير له ان يهجر

الكتابة الى غيرها من الاعمال .

معركة الحروف اللاتينية

وكانت هناك معركة حول الحرف اللاتيني وهل يصلح للحلول محل الحرف العربي في لغة الضاد . وكان اول داعية الى الكتابة بالحروف اللاتينية هو المرحوم الدكتور عبد العزيز فهمي الذي وضع في هذا الباب سفرا بسط فيه دعواه . ولكن وفاة صاحب هذه الدعوة عاجلت الدعوة نفسها ، لولا ان سلامه موسى لا ينفك يرددها من آن الى آن

ومعروف ان الصلة مقطوعة تماما بين اللغة العربية واللغة اللاتينية القديمة ومشتقاتها الحديثة . فمحاولة انشاء صلة بين اللغة العربية واللغات اللاتينية الاصل لا يمكن ان تتم الا على حساب التراث العربي كله ، لان الاخذ بالحرف اللاتيني يقطع كل صلة بين الضاد وتراثها القديم ، وقد ينشىء لها صلة بالاداب اللاتينية وهو امر تكتنفه الريب الكثيرة .

والحرف هو من مقومات اللغة ومميزاتها ، فان انفصل عنها تهالكت اللغة وتداعت وصارت حطاما .

ومما نفهمه ونقبله ان يدعو داع الى اضافة حروف جديدة الى اللغة العربية تسد ما فيها من ثغرات ، كحرف الباء ذي النقاط الثلاث مثلا ، او حرف الفاء المثلث النقاط ، او حرف الجيم المخفف غير المعطش . ولكن مما لا نفهمه او نقبله ان ندع حروف الهجاء العربية جميعا ونحاول استبدالها بحروف هجاء لاتينية ، ثم لا نكتفي بذلك ، بل نحرف هذه الحروف الابجدية الجديدة مضيفين اليها حروفا اخرى منتفية منها كالخاء والظاء والعين والغين والحاء وما اليها .

بل ان مما نفهمه ولا نقبله ان يدعو داع الى هجر اللغة العربية بحروفها وقواعدها وتراثها الى لغة اخرى كالتركية الحديثة مثلا صار لها تراث وكيان مستقلان عن اللغة التركية القديمة .

ومما نفهمه ولا نقبله ان يدعو داع الى هجر اللغة العربية هجرا تاما الى غيرها من اللغات اللاتينية الحية ذات التراث المجيد كالانجليزية او الفرنسية لانهما لغتان عصريتان متطورتان تتسعان للعلم ومصطلحاته والفاظه . اما ان يدعو داع الى ابتداع لغة جديدة حروفها خليط من اللاتينية وغير اللاتينية وقواعدها عربية محرفة وتراثها معدوم وكيانها متروك للاجتهاد الفردي ، فهذه دعوة لا نفهمها ولا نقبلها .

ثم ، اليس مما يعطل ركب الثقافة ان نقف حيث نحن ثم نبدأ نتعلم هذه اللغة الجديدة ، ثم متى احدناها وتمكنا منها شرعنا في اصدار كتب وصحف ومجلات بها ، وبعد ذلك نضيع العمر في اعادة كتابة التصانيف القديمة كلها بهذه اللغة ؟ اليس هذا مضيعة للوقت ؟ وخير منه واجدى وابدى ان ننفق هذا الوقت في البحث عن الاساليب التي تجعل اللغة العربية لغةعصريةمطواعة للعلوم غنيةبالترجمات عن الآداب الغربية والشرقية جميعا .

فالحرف اللاتيني قد يساعد على تقويم النطق ، ولكنه يقضي على اللغة العربية قضاء مبرما . ولو حلت قضية القواعد على النحو الذي بيناه في ما تقدم ، لما كانت هناك حاجة الى تقويم النطق او ضبطه ، لان النطق يهون على من يعرف القواعد ويراعيها .

معركة الالتزام في الادب

وهناك معركة اخرى تدور في ساحة الادب هي المعركة التي سماها مثيروها « الالتزام في الادب » ، اي التزام الاديب بمعالجة قضايا المجتمع ، والا عد ادبه ترفا لا حاجة اليه او لغوا لا جدوى منه .

وليس لدينا اعتراض على ان يعالج الاديب مشكلات الجماعة من الزاوية التي تروق له ، فالحياة عامرة بالمشكلات التي ينبغي ان يتصدى لبحثها كل مفكر وكل صاحب قلم على النحو الذي يحسنه وتسعفه فيه وسائله .

ولكن محاولة قصر الادب على معالجة مشكلات المجتمع هي محاولة لافراغ الادباء جميعا في قالب واحد لا يشذ عنه احد . فالشعراء جميعا يجب الا يتغنوا بالحب والعشق والفتنة ، بل عليهم ان يعالجوا مشكلات التشرد والفقر وانتشار الكلاب واكتظاظ المدن بالسكان وكثرة حوادث المرور ومشكلة اضراب الباعة الجوالين . وكتاب القصة جميعا يتعين عليهم ان يكفوا عن معالجة المسائل العاطفية والانسانية ، وحسبهم من القصة ان يتناولوا الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصراع بين الطبقات والحياة في الازقة والمنعطفات . ومن شذ عن هذا القالب الموحد ، فقد صار بعيدا عن الانتساب الى الادب ، فبهذا قضى دعاة الالتزام .

والواقع ان الاديب او المشتغل بالفن هو ثمرةظروف خاصة وجدت فيه الموهبة فجعلت منه ذلكم الاديب اوهذا الموسيقي او ذلك الشاعر . وقد تطلب من شاعر ان ينظم قصيدة في موضوع معين فينظمها مجاملة او طلبا لكسب ، ولكن هذه القصيدة لن تبلغ في روعتها وخلودها روعة قصيدة انطلقت ابياتها تلقائية وتفجرت عباراتها من ينبوع العبقرية دون ضابط او املاء ، فكتب لها الخلود . واجمل الشعر واعذبه هو ما انطلق مع السجية وعبر عن خلجات الشاعر الصادقة دون زيف او رياء . اما الشعر الحتمي ، اي الذي يحتمه دعاة الالتزام ويجعلونه فرضا واجبا على كل شاعر ، فلن يكون ابدا محلقا ما لم يكن ثمرة سليقة فطرت على ذلك .

وحسن ان يكون الاديب على دراية بمشكلات زمانه ، وان يحس كما يحس زملاؤه المواطنون ، وان يستجيب لدواعي الجماعة عند الاقتضاء ، ولكن ليس من المقبول ان تنتقل جميع مشكلات الجماعة الى فنون الادب فتفسدها وتجعلها انعكاسا لما في الحياة من معضلات وضائقات . فالادب يمثل لونا من الوان الترف الذهني ، شأنه في هذا شأن الموسيقى الهادئة التي تريح الاعصاب وتدخل على النفس سلوى . فان جعلت الموسيقى كلها صاخبة صخب الحياة نفسها ، فقدت عذوبتها وانحسرت عنها آيات الفتنة فيها .

فليعالج الادباء والشعراءما يشاهدون من موضوعات، سواء اتصلت بالعاطفة او بالجماعة ومشكلاتها او بالخيال

دميـة

✳

أخطأت في عدِّ السنين
هرولت اسرع بعدها
بالعصا أقطع وصلها
أنا قلت : من وهمنا الدرب
أنا قلت : من غمِّنا العمر
ما عهدت في الدنى الا سواي
كنتُ بالامس لا أعرف أمسي
والغد أرقدته في الرمس
رحت أكوِّم التراب من الحول
أتلهَّى ‥ أتلهَّى ‥ أتلهَّى
وأهنة الرعد
صدى أخرسته
غاب الصدى
ثقيلاً حملته
ما عرف به الورى
ولا أنا
كالدمية تراكم فوقها البلى
حملت الريشة
أزيِّن خدَّها وعينين
أرسم أحرفاً في قلبين
دمية أنتِ هل تعرفين ؟
أنتِ أنتِ بين يديَّ

لا تعرفين
في طفولتي ترقَّبت السنين
غداً يشتدُّ ساعداي
أصنع منهما دميتي
شعرها من رموشي
لونها من شحوبي
عيناها من عينيَّ
غداً أتيه على الدنى
وعلى الشقيقة
مشت تهزأ من فراغي
تضمُّ دميتها الكبيرة
تمنَّيتها منذ الطفولة
وصحوت أسأل عن وهم مضى
وهم الطفولة
وصحوت أبحث عما بقى
عن أشلاء دميتي
وريشتي
مع قسوتي
أداعب في أنملي مُرَّ السنين :
شُبَّحة
وأنا كبيرة

ثـريا ملـحس

ولو كان مجنحا مشتطا . وليلونوا اعمالهم الادبية بمـــا يطيب لهم من الوان وظلال . فالادب الذي يكتب اليوم يقرأ كذلك بعد جيل وجيلين وعشرة اجيال . وحكمنا عليه اليوم يختلف عن حكم الادباء عليه غدا . وهذا وذاك يختلفـــان عن حكم ادباء قرن مقبل عليه . والادب أبعد ما يكون عـــن الحكر ، فهو لا يحتكر موضوعا واحدا ، وان فعل ، فـــلن يستطيع ان يحتكره العمر كله . والاديب الذي يكتب لا يريد بديلا لحريته ، فهي التي يستوحي منها أدبه ، وبهـــا يجلو هذا الاديب ، وبفضلها يتميز هذا الادب بصـــدق الاداء وروعته .

فليترك الادباء احرارا يلتزمون ما يشاءون من مناهج واتجاهات ، وليكن الحكم الاخير للقراء اولا ، ثم للزمـــن في ما بعد .

بقيت قضية الشعر المهجري ومنزلتـــه في الادب المعاصر ، وهي تحتاج الى بحث قائم بذاته .

القـاهـرة **وديـع فلسطـين**

قصة سورية

العودة الى الروضة

بقلم فاضل السباعي

كان عليه ان يتوجه ، مع هذا الصباح القارس ، الى المحكمة ليرى الدعوى التي رفعها باسم موكلته على مطلقها يطالبه فيها بالنفقة ومؤجل المهر وبالتعويض عن الطلاق الذي كان محض تعسف

كان يغذ السير ، والمحفظة في يسراه ، في غير ونى لا يحس ببرد او صقيع . انه في الحق لم يلامس كفه اي من قروش موكلته ، الا انه كان يعمل لها برغبة وحماسة على هدي الامل الكبير الذي دغدغ احلامه بالامس القريب .. انها دعوى رابحة ؛ رجل طلق زوجته بدون مسوغ قانوني ، وانها لتدعي عليه تطالبه بما منحها القانون من مميزات تقيل بها عثرتها بعد ان اصبحت ولا حول لها ولا طول .

انها دعوى رابحة . ذلك ما يدور في خاطره . ولسوف يكون حصيلتها مبلغ من المال وفير تحظى به الموكلة من مطلقها حقا خالصا غير مشوب .. وان له في ذلك نسبة مئوية اتفقا عليها كأتعاب محاماة . انه في مسيس الحاجة الى المال . لقد انقطعت ابنته الصغيرة عن « روضة الاطفال » منذ شهر وعشرين يوما على وجه التحديد .. طلبت منها المعلمة ان تذكر ماما بالقسط ، فكان ان حجبها من يومئذ في البيت لا تغادره .. ما تفيدها الروضة ؟ انها طفلة بعد ، ولزومها البيت لن يفوت عليها سوى تزجية الفراغ بوسائل العصر الحديث ، ولكن دوامها الى الروضة مع القسط يأتي على جانب من دخل الاسرة الصغيرة .. انه محام ناشيء وامين معا ، وما كان ينال دخله الضئيل الا بشق النفس والضنى .. بضع دعاوى في الشهر لا تتجاوز « اتعاب » بعضها الليرات القليلة ، في حين يخص بعضها الاخر الاقارب والاصحاب ، وهؤلاء يربؤون بالقرابة والصداقة ان يبلغا حد ان يدفع احدهم له مبلغا من المال كمقابل لما يقوم به نحوهم من خدمات في ساحة القضاء !

وانه الان - وهو في طريقه الى المحكمة - ليذكر يوم دلفت الى مكتبه سيدة في مقتبل العمر على محياها مسحة من حزن وفي خطواتها غير قليل من التهيب والحياء .. ولقد تفاءل اذ بصر بها تقتحم حجرة كبيرة ورجا ان يكون بين يديها بعض الفرج لحاله المتازمة المعسرة .

قالت انها مظلومة ؛ فاحس تجاهها بالعطف والرثاء ، لانه مثلها مظلوم .. قالت بصوت الملتاع وهي تنتحب : « لقد تجنى علي من غير ذنب جنيت ! .. » فما خالج فؤاده في هذا القول شك او ريبة ؛ لانه طيب .. ولانه ناشيء وامين .. وقالت ليس لها من اهل ؛ فاحس نحوها بالاسى وبالعطف يغمر جوانحه ؛ لانه مثلها من غير اهل اقربين ... وتمنى ان يفعل من اجلها الكثير ..

كانت اخت مأساة .. بطل مأساتها رجل ... كانت تملأ حياة زوجها عهد ان كان في غير يسارة . حتى اذا واتاه الثراء من غير حساب، انكفأ الى النساء يمتع فيهن غريزة هوجاء طال عليها الكبت والعناء ، فانطلقت من عقالها شررا لاهبا يحرق ولما يحترق . ولاذت التعيسة بالصمت على ذلك مرغمة ، لا تجسر حتى على مجرد الكلام . فان هي ضاقت يوما بالذل ترخي عليها سدوله ، وتنحنحت بين جوانحها كرامة الانثى المهيضة ، هددها بان يرمي بها الى عرض الطريق . فكانت تستكين متصبرة وهي تسقى اكؤس الهوان مفعمة ولا يرتفع لها مع ذلك حس من حلقها او نأمة . وكأنما اطمع الرجل رضوخها الذليل ، فاذا هو يسفر عن رغبة في ان يفسح في الدار غرفة لمعشوقة هي اخر من علق بها قلبه ! .. هنا تمردت فيها كوامن غريزة الانثى على قيود الصمت والهوان ، فهتكت استاره وكشرت عن ناب الثائر الطعين .. فكان ان نبذها في طلاق لا رجعة فيه

قالت وهي تجهش :

- كل ذنبي اني لا اهل لي الوذ بهم .. ليس لي سوى عمة عجوز اقيم عندها اليوم واولادي الثلاثة الى ان ينجلي امري على يديك ... قالوا : انك طيب وشريف ، وان قلبك لله .. ولهذا اقبلت اليك ..

ولم يكن ثمة ما يحول دون ان يدعي لها على مطلقها على وفق ما تنص عليه القوانين ، غير آبه لمقدم اتعاب يناله منها يفرج به بعض ازمته فهي - فيما عرف جيدا - تعيسة قدر تعاسته او ابعد مدى ، وانه سينال نصيبه في اخر المطاف ، ولسوف يكون نصيبا وافرا فيه بعض الفرج يحسر عن قلبه الضيق الخانق ويمكنه على الاقل من ان يعيد البنت الى الروضة تزجي ايامها الغريرة كما يزجي اولاد الناس الايام

على ان ما استرعى انتباهه وشغله عن امره الى وقت ، ان اسم المطلق المدعى عليه لم يكن غريبا عن ذاكرته وان له في خاطره اصداء غامضة متباعدة ، ما لبثت ان اتضحت له فعرف فيه صديقا قديما ايام الدراسة .. وجعل يأسى على ان واحدا من اصدقاء المدرسة الاحباب قد بات يحمل نفس الذي لا يرعى عهدا ولا يستنيم في ضميره وفاء . وتمنى لو امكنه السعي الى التوفيق بين الموكلة والصديق الذي كان ، فلعل السعي يتوج بالصلح تعقد رايته بين المتخاصمين .

على انه ما توانى ليلتها عن تدبيج « استدعاء » الدعوى ، شارحا فيها ما قارف الزوج في حق المجتمع من اثم تشتتت في عقباه اسرة من زوجة وثلاثة بنين . وجهد ان يكون يوم المحاكمة في اقرب ما يكون من موعد فهو حريص على ان تبلغ الدعوى نهايتها سريعا فيكون له منها نصيبه المشروع .

ثم انه قد اقبل الى المحكمة في تلك الجلسة التي مضت .. فبصر بموكلته في مقاعد النظارة ، وعلى مقربة منها الصديق المدعى عليه . ولقد اشاح هذا بوجهه عندما تلاقت الاعين وازور بنظره عنه . ولعل ذلك ، لان صديق الامس قد راى

اليوم فيه محاميا يحمل راية الدفاع عمن يراها هو عدوا له لدودا يستكثر عليها اي قدر من المرحمة والاشفاق

وقد سأل القاضي صديقه عما اذا كان يضمر لمطلقته بعض الحب يعيدها معه واولادها الى منزل الزوجية فذلك ارضى لله وخير وابقى؟ فابدى هذا اتم الاستعداد لان يدفع لها ما يقضي به القاضي من حق ، ولكنه يأبى كل الاباء ان يعيد الى بيته امراة سفيهة لا يخلو لسانها من طول وبذاءة لا تفتأ يوما تنال به منه .. وقال في حماسة المعنى :

— لم يعد بوسعي ان اقضي معها اكثر مما قضيت .. انها امراة فاجرة يا سيدي القاضي !

فانبرى يدفع هذه الفرية الكاذبة تلصق بموكلته بهتانا ، وهو من طهرها وبراءتها في كل يقين . انطلق يقول متحفزا :

— يا سيدي القاضي .. ان كل ما ورد على لسان الخصم الساعة ان هو الا محض بطل وافتراء . ان موكلتي لتتمتع بصفات الوداعة والنبالة والدماثة الى ابعد الحدود ، وانها لم تحد عن ذلك منذ بنى بها هذا الرجل من سنوات طويلة خلت .. وهي لو كانت على مثل الصفات التي ادعى ، فما الذي يجعله يرضى بمعاشرتها طوال تلك السنوات وينسل منها الولد اثر الولد ؟ ! .. الم يفطن الى سوء خلقها المزعوم الا اليوم ؟ !

وازدرد ريقه ، والتفت الى موكلته يستمد من انكسارها قوة عارضة وبيانا مشرقا :

— نعم ، يا سيدي القاضي .. انه قد بات يرى فيها من العيوب ما هي بريئة منه والله ، وذلك بعد ان ايسر واثرى ! ... كانت في عينه فيما مضى من ايام — اذ كان فقيرا — الزوجة المخلصة تملأ حياته بالبهجة والسعادة فانجب منها ما انجب من ابناء .. حتى اذا اصاب من الغنى ما اصاب ، تبدلت الدنيا في ناظريه غير الدنيا ، وغدت الزوجة المخلصة اخرى في غير اخلاص لا يطاق معها العيش يوما .. قاتل الله الغنى ، وقاتل الله النفس التي انعدمت فيها المحبة والاخلاص والعواطف الانسانية الكريمة . يا سيدي القاضي . لقد انكفأ هذا الرجل من يومئذ الى بائعات الهوى يتسقطهن حيثما ثقفهن ، فاهمل البيت والزوجة والولد . فصمتت المراة الوديعة دون ذلك وصابرت ، عل الله يرد الضال الى جادة الهداية والحق . ولكن المصابرة ما زادت الاثيم الا جنوحا عن الحق والا تماديا وطغيانا ولججا . تصوروا .. لقد وصلت به الحال الى حد ان فرض على زوجه ان تقبل في بيتها واحدة من النسوة اولئك تشاطرها السكنى وكانها زوجة قد عقد عليها وفق احكام الدين الحنيف ! .. أاشد من هذا نكرا وعسفا واستبدادا ! ! وابت عليه الزوجة هذا الصنيع ، فكان ان نبذها وحرم اطفاله الثلاثة الصغار من الرعاية يسبغها عليهم ما اقاموا في كنفه .. وبعد ذلك ، لا يتورع عن الزعم بان امراته سفيهة ، وانها فاجرة ، وانه لم يعد بوسعه ان يقضي معها اكثر مما قضى ! .. وان لدينا — يا سيدي القاضي — على الباعث على هذا الطلاق التعسفي قرائن وشهودا من الجيرة والاصدقاء نلتمس من المحكمة الموقرة دعوتهم بواسطتها ليدلوا بما يمليه الوجدان اليقظ والضمير الحي .

وانه قد قرأ بعد هذا الدفاع المجيد آيات النقمة تلهب نظرات خصمه يصوبها اليه ! .. لا بد ظن به المعاداة يوثق عراها دونه وانه تنكر للصداقة التي كانت تنكرا ما كان ليدور في خلده . مظلومون معشر المحامين ، يحسبهم الناس اشرارا ، وانما الشر والظلم والبغضاء في جبلة الناس انفسهم ، يطغى بعضهم على حقوق الاخرين ، فلا يكون ثمة بد من ان تتدخل في الخصومة طائفة من الناس تهيأت لان تاخذ بناصر الضعيف في مواجهة القوي السادر في تعديه ، فيحقد القوي لتقليم اظفار طغيانه زاعما في المقلم الافتئات والظلم والعدوان وما هو في واقع الامر من ذلك في شيء

ولقد رأى — في ختام الجلسة — ان يلقى الخصم الصديق على انفراد ، مبينا له خطل رأيه ذاك الذي يدور — لا ريب — في باله والذي تنطق به نظراته القاسية لا يفتأ يرميه بها في عداء سافر . وكذلك فقد ناداه ، اذ انطلقوا جميعا من قاعة المحكمة ، فما رد الصديق ولا تلفت من فرط ما داخل نفسه من عاطفة المقت . فما كان الا ان مد في خطاه . وادركه في البهو قبل ان يروغ ، وابتدره يقول في لهجة اقرب الى الود

— لعلك لا تظن بي الظنون !

فظل الصديق في صمته محمر العين لا يدري مع المبادرة ما يقول . في حين تابع هو قائلا :

— الواجب غير الصداقة .. على ان اتناسى معرفتي بك ما دمت لسان موكلتي امام القضاء ، لادفع تلقاءك بما يمكن ان يدفع به اي من المحامين لو اتخذ موقفي هذا . بيد اني — من قبل ومن بعد — احبذ المصالحة تجمع ما بينك وبين ام اولادك ، فالصلح سيد الاحكام ، وابناؤك الثلاثة ثروة انسانية اثمن من ان تلقي بها الى احضان الاهمال وسوء الرعاية ومطلقتك على ما تعرف من رقة حال ، وتربية الرجل لبنيه ليست كتربية المراة لهم بحال . ما ترى في ان اسعى الى التوفيق من قبل ان نوغل في الخصومة فتعب القلوب من الحقد والعناء ؟ ..

فجمجم الخصم بكلام لا يفهم منه سوى الازورار وعدم الارتياح . اجل انه — فيما يبدو — على غير استعداد لان يهادن ؛ فالخليلة — لا بد — قد تملكت قياده فشلت فيه موطن التعقل والحنان .

ولقد وقعت عينه — اذ انفلت هذا من امامه في طريقه الى الشارع — على موكلته ترقبه على بعد خطوات وفي عينيها ريبة ما شق عليه ان يطالع معانيها .. انها هي الاخرى تذهب بها الهواجس والظنون مذاهبها . لقد علمته الايام ان ليس ادعى الى اثارة الهواجس في نفس الموكل من اتصال المحامي بالخصم . ولكنه يعرف كيف يرد الى نفسها الطمانينة المسلوبة . انه لاهون عليه ان يموت جوعا من ان يخون موكلا وثق به والقى امره بين يديه في طواعية واختيار . وانها قد سألته — اذ ذاك — عما دار بينه وبين مطلقها من حديث ؛ فاجابها بانه صديق له قديم وقد عرض عليه الصلح قبل ان يمضي في الدعوى ولكنه ابى وراغ .

على انه يذكر الان — وهو في طريقه الى المحكمة — ان هاجس الريبة لم تخب ناره في عينيها الذابلتين . مسكينة موكلته ! . انها تجهل ما يتحلى به من نزاهة واخلاص . ولئن خانه ان يصيب

قناعتها بذلك يوم امس القريب ، فانه لواصل الى غايته في ختام المحاكمة يوم ان يتوج جهده حكم على مطلقها يقضي لها بما وعدها به وبما تصبو اليه نفسها من آمال .

واحس بالبرد القارس ينفذ الى لب اصابع يسراه يخدرها . فامتدت يمناه الى المحفظة تحملها عنها قليلا . بينما اندست اليسرى في جيب بنطاله مضمومة الاصابع في شبه شلل .

انها دعوى رابحة . ولسوف يكون له من نصيبه منها ما يزيل بعض اعساره . سيستمع في المحكمة الى شهود الحال بعد قليل . هم اربعة . سيفيدون بان موكلته لم تكن على ما زعم مطلقها من صفات ، وبانه تشاطره اليوم سكنى الدار امراة شقراء متبرجة تخرج معه كل مساء ولا يأويان الى البيت الا في موهن من الليل .

وطرق سمعه نداء بائع الكستناء على باب قصر العدل ينادي برخيم صوته على فاكهة الشتاء . ووقعت عينه على بائع العصير منهمك في تلقيم عصارته انصاف البرتقال المشطور ليتناول الاكؤس من تحتها مترعة يدفع الى الظامئين المتحلقين حوله . ورأى الى « كتاب الاستدعاءات » ينتبذ كل منهم مكانا على الرصيف وقد انطمر بين ابسماله وقبع على كرسيه القش الواطيء وبين يديه صفحات من ورق ابيض .

ولما دلف الى البهو ، كان طنين المراجعين يدوي في الارجاء كطنين النحل تتخلله صيحات الحجاب على المتخاصمين باصوات مختلفة النبرات ممطوطة الاخر .

واخذ الدفء يتمشى في اوصاله اذ اتخذ له مكانا في قاعة المحكمة . كان القاضي على قوسه مهيبا في عمامته البيضاء يقضي بين متخاصمين امامه من رجال ونساء ، في حين انصرف الكاتب على يساره الى الاوراق البيضاء امامه تتطاير عليها يده الخفيفة بالقلم يسود ناصع بياضها .

وحانت منه التفاتة الى جانب ، فبصر بموكلته تجلس بين النساء وقد اطرقت الى الارض لا تغير من وضعها هذا شيئا . ثم رأى الخصم الصديق في جانب اخر من القاعة يرقب القاضي بعين لا يتخفى فيها القلق .

ونهض من موضعه بعد فترة انتظار قدر انه آن بعدها دوره . ودنا من القوس ، وطلب من القاضي ان يفتتح له الجلسة في دعواه . واسترعى انتباهه بين الاوراق فيها وكالة جديدة ، فما شك في ان الخصم قد ابرزها الجلسة موكلا فيها احد المحامين . وداخلته الرغبة في ان يعرف من من الزملاء اوكل . فتناولها وامر على سطورها عينا لهيفة .. فاذا هو يحس كان كفا لئيمة تهوي على قلبه وكرامته .. لقد اوكلت موكلته غيره محاميا ! ! ..

واطبق اضبارة الدعوى وردها الى موضعها بين الاضابير . ثم ارتد الى حيث كان يجلس قبل قليل ، وطفق يفكر ... ابلغ هاجس الريبة بموكلته ــ السابقة ــ هذا المبلغ البعيد ، حتى صنعت به هذا الصنيع ؟ . اما تدري انه مخلص ونزيه ؟ اما تعلم انه لا يخون ولا يمين ولو ملكت يمينه كنوز الارض ؟ .. ولكن ، من اين لها ان تدري ؟ . لو سمعت فقط ما قال لخصمها بالحرف الواحد ، اذن لما قارفت في حقه هذه الخطيئة الشنعاء ! وما احب ان يعاتبها ويلومها على سوء ظنها ، بل ما طاق أن يرى اليها في موضعها مطرقة في لؤم لا ترفع بصرها عن الارض ! ..

ولما كان في البهو ــ وقد اتضح في سمعه من جديد طنين النحل ونداءات الحجاب ــ كان يفكر في طفلته التي لن يقدر لها ان تعود الى الروضة عما قريب ... وجعل يسال نفسه حيران غير مصدق ــ وهو يشق لنفسه طريقا في الزحام ــ عما اذا كان قد ارتكب خطأ اذ كلم الخصم يوما ــ على مرأى من موكلته ــ بغية ان يصل معه الى صلح يعيد المرأة وبنيها الثلاثة الصغار الى كنف الاب السادر في غوايته ؟ !

حلب فاضل السباعي

بوح

مسكينة أنت فما ضائري	أن لا تكوني بعض احلامي
ما همَّي والحبُّ اسطورة	من نسج آمالي وآلامي
أنْ تجحدي ـ هيهات أنْ تجحدي	يا طالما ردَّدتِ أنغامي
من كان مثلي لا يرى ظامئا	والراح ما تجري بها جامي
أظما وكوبي في يدي مترع	أروى وكوبي في يدي ظامي
تحلو لي اللذَّات ممزوجة	بالوهم واشوقي لاوهامي
لا تخجلي بالبوح : أنْ حبَّني	لولاكِ ما احببت آثامي

وديع ديب

شاعر الآلام والعنفوان

نديم محمد

بقلم عيسى الناعوري

> **يا بنت ! ما شعري سيوفا ، او رماحا للشجار**
> **شعري عناقيد اللآلىء في مصابيح الدراري**
> **وعواطفي ماء وانسام وطل في صحاري**
> **أنا لم احطم « خير » آنيتي على « شر » الحجار**
> **ابقيتها لزنابق بيض كأجنحة النهار**
> **لبنفسج وقرنفل ، للياسمين وللبهار**
> **وفم يقبلها طرٍ ، ولمعصم ترف السوار**
> **ابقيتها للفن ، لم أعدل بها صنم النضار**
> **[نديم محمد]**

منذ شهور ـ منذ مؤتمر الادباء الثاني في بلودان ـ وانا احاول ان اكتب عن نديم محمد ، صاحب (آلام) و (فراشات وعناكب) ، الذي عرفته هناك في القمة الخضراء اخضر القلب والشعر معا . ومنذ شهور وانا اعود الى ديوانيه الانيقين ، اقرأ واعلق الحواشي ، واهم بان اكتب شيئا ، ثم يعود الديوانان يستندان الى طرف مكتبتي ازاء الحائط ـ كأنما يستدفئان من برد الشتاء الشديد ـ وانا اتهيب الكتابة عنهما في هذه الاونة من عمر اليقظة العربية ، على كثرة ما كتبت قبل اليوم عن شعراء ودواوين .

فمنذ شهور واصابع   التي كنا معها دائما في نضال   رهيب متواصل منذ عشرات السنين ـ تعبث   بصفاء الحياة في بلادي ، وبمقدرة الناس على التلذذ بمتع الفن والجمال في بلادي ، فما عاد يطيب لقلم ان ينفث قطرة حبر في غير اللهيب   وحيث يعشش الشر والجريمة ، تموت لذة الفن ، ومتعة الاحساس بالجمال والتعبير عنه ، او على الاقل تنكمش وتنزوي الى امد

ولهذا ما تزال امتي فقيرة جدا في ادبها وفنها ، وما يزال الاديب فيها بعيدا عن المشاركة في تراث الانسانية الخالد الذي يصلح للحياة في كل بيئة وكل زمان . فلكي يكون الادب « انسانيا » عاما صالحا للحياة الطويلة ، يجب ان يكو نتعبيرا عن حقيقة الانسان الخالدة ، وعن مشاعر الانسانية العميقة ، لا مقيدا باحداث الساعة وحوادث البيئة وحدها .

ان الادب الذي يتقيد باحداث الساعة يموت بزوال تلك الساعة وتلك المناسبة او يفقد بزوالها عمق اثره في النفوس ، ويصبح شيئا للذكرى والتاريخ ، لا للادب والفن والجمال ، وكذلك الادب الذي ينحصر في حوادث البيئة ، لا يتجاوز ـ في الاغلب الاعم ـ حدود بيئته وحدها في تأثيره .

وامتي ما يزال ادبها ـ برغمها ـ مقيدا باحداث الساعة وحوادث البيئة ، وهي احداث وحوادث تفرض نفسها فرضا على قلم الاديب ، وخيال الشاعر ، فلا يملك الخلاص من ربقتها اديب ، واذا اراد الخلاص ، واطلق لخياله العنان، ولقلمه الحرية ، ليجولا في عوالم الانسانية الواسعة ، بعيدا عن وقائع   بلاده ، لم يعد يجد بينه وبين بلاده واهل بلاده ـ ولاحتى بينه وبين نفسه ـ شيئا من التجاوب الشعوري ، الذي هو عماد الرابطة بين الاديب والناس .

هذه الحقيقة الواقعة التي تعيش فيها امتنا العربية اليوم ، وهي في بدء يقظتها وعنفوان نضالها لاجل الحرية والاستقرار والسيادة ، هي المثبط الاكبر عن المساهمة الحية في آداب الانسانية الباقية . ففي مثل ظروفنا الواقعة لا بد ان يكون القلم في يد الاديب رفيقا للبندقية في يد الجندي ، لكي تتمكن الامة من الوقوف على اقدامها ، في وجه الاحداث الخطيرة التي تجابهها وترمي الى قهرها وقتل وثبتها المتحررة .

نقول هذا ونحن نعلم ان هذه الحقيقة قد جعلت الغث من انتاج الاقلام عندنا يطغي على السمين ، حتى اصبح الفن الحقيقي في حالة انكماش وحياء في اغلب الاحيان ، والجأت عددا من الادباء ، الذين يهمهم الفن بمقدار ما يهمهم مسايرة واقع الحياة ، الى الانزواء من وجه العاصفة، وجعلتنا نقرأ كل يوم ، في الصحف وفي الكتب ، كلاما مكرورا متشابها في مواضيع معينة واحداث واحدة ، حتى لقد يبلغ بنا الامر في أحيان كثيرة الى الملل من القراءة ، والى النفور مما تكتبه الاقلام ، ونكاد نبكي من فساد الذوق في بعض ما ينسب الى الادب والشعر من هراء وسخف .

من الامثلة على ذلك ما نظم من شعر وما كتب من نثر منذ ان بدات ثورات التحرر في تونس ومراكش ثم في الجزائر . فقد زاد عدد القصائد في هذه الثورات على عدد المعارك التي جرت فيها ، ولعله زاد على عدد ضحاياها من الجانبين . ولكن كم كان عدد القصائد الجيدة ـ او على الاصح عدد الابيات الجيدة ... ـ في كل ذلك الانتاج الهائل ؟! وكم كان عدد الشعراء الذين لم يتخلوا عن جمال الفن الى جانب تمجيد البطولة والثورة ؟!

وفي مأساة فلسطين لا يختلف الامر عنه في ثورات المغرب ، وكذلك لا يختلف الامر في معركة العروبة الاخيرة في بورسعيد .

الواقع ان الادب اصبح عندنا « غيرة وتقليدا » . يقع حادث في بلد عربي ، فيصبح واجبا على كل من يملك عدة الكتابة ، ومن لا يملك منها شيئا ، ان يقول فيه شعرا او نثرا ، ولا اهمية للقيمة الفنية في ما يقوله .

وفي هذا المضمار انساقت الصحافة الادبية ايضا الى حد بعيد ، فلم تعد تملك زمام التوجيه الادبي ، بل اصبحت تساق بموجة الاقلام الجارفة الى حيث تشاء او لا تشاء . ولعلها لا تملك الوقوف امام هذه الموجة لو ارادت انتحتفظ لنفسها بمستوى أدبي وفني عال .

غير ان هذه الحقيقة نفسها ايضا ، لا تمنع من ان تكون هناك فراشة جميلةترفرف من حين الى اخرباجنحتها الرقيقة على الازاهير والاعشاب النامية على ارض الدماء ، وعصفور تصدح حنجرته على الاشجار التي تشرب عروقها من نجيع النضال . وهذا العصفور وتلك الفراشة هما اللذان يجعلان الحياة تبدو لنا جميلة حلوة ، ويبعثان في نفوسنا دفء الجمال ، وعذوبة الموسيقى ، ويجددان فيها لذة النضال لاجل البقاء السعيد .

ان هناك ادباء لم ينخرطوا في المعركة الا بحدود ، ولكنهم وهبوا الفن والعاطفة الانسانية شاعريتهم وحياتهم ، وراحوا يسكبون على اقدام محرابهما خلاصة مواهبهم وبراعتهم ومشاعرهم ، فلم يسفوا في شعرهم او نثرهم ، ولا انساقوا مع موجة التقليد والغيرة العامة ، ليبتذلوا لاجلها الجمال والفن الخالدين مسايرة للاذواق العامة .

ولست أعتبر هؤلاء الادباء منهزمين من تادية الواجب في ميدان النضال ، بل اعتبرهم روادنا الحقيقيين في ميدان الفكر الانساني ، الذين يركزون اعلام ادبنا على تخوم بعاد من آفاق الانسانية الباقية فوق احداث الساعة وحوادث البيئة ، وفوق الثورات والمعارك والدماء ، ويقتربون من آفاق قادة الاداب العالمية الحية الباقية .

ومن هؤلاء الرواد نديم محمد ، صاحب الابيات التي صدرنا بها هذا المقال .

لقد اتيح لي ان اعرف نديم محمد بشخصه قبل ان اعرفه بادبه ، فلمست فيه انطواء على النفس ، واستئناسا بالكأس ، ورهافة مفرطة في الاحساس ، وحذرا من الناس ، وتلذذا بالالم والكآبة . واشهد لقد احببت فيه عدم النفاق ، والهرب من الظهور ومن الاعلان عن النفس . وحين تجمع هذه الصفات كلها ، ثم تضيف اليها اغراق نديم في التخيلات ، حتى ليجعل لكل كلمة يسمعها الف معنى غير المعنى الحقيقي المقصود بها ، تجدنفسك امامشاعر صحيح ، خلق للشعر وحده ، لا لشيء اخر . ولعله هو عرف ذلك من نفسه ، فانقطع من الحياة الى محراب الشعر يتعبد فيه ويتهجد ، ولا يعطي من عمره شيئا لغيره ، ولغير موحياته الانسانية ، من حب والم وايمان بالجمال .

ثم تلقيت ديوانيه المطبوعين فوجدتهما يجمعان الى صفاته تلك صفتين اخريين ، هما عماد الفن الشعري الجميل واداته ، وهما : العبارة الفنية بالموسيقى والخيال ، واناقة الذوق في اختيار اللفظة المناسبة للاحساس المناسب .

ان الشاعر عند نديم محمد بجعة ـ كبجعة الفريد دي موسيه ـ يطعم الناس من قلبه ، ويغذيهم من دمه ، والشعر عطاء سخي ، وفيض من النفس والاحساس ، يقدمه الشاعر كما تقدم الكروم عطاءها سخيا ناضجا ، وما عليها كيف يستقبل الناس عطاءها .

أنا اعطيت جنة الحب للناس ... فالقوا بجنتي في النار
ما على ناضج الكروم حساب الذوق ... لكن عليه بذل الثمار

ان الشاعر الحق لا يتميز بكثرة نظمه في كل المواضيع ، وكثرة مراعاته لاذواق القراء وميولهم في ما يقدمه لهم من انتاج قلمه ، ولكنه يتميز بمقدار ما يملك من موهبة الابداع الحقيقي في معانيه ، وبمقدار ما في شعره ـ او عطائه ـ من السخاء الحقيقي ، او من الغنى الصحيح والجمال في العطاء . وشعر نديم محمد غني بمعانيه ، ومترف في لفظته المشحونة بالجمال ، وعبارته المشحونة بالموسيقى . ان قصائده سيمفونيات تفيض رقة وعذوبة ، وتحرك المشاعر باصابع سحرية ، وفيها فيض من جمال الابداع في التعبير :

فاذا أطبقت على الشوك اجفاني ... ففنا بالف سر جميل
وجميل ان تاخذي بيميني ... للخطايا وترجعي بسلام
ذدت عن مرتع الهناء لباناتي ... وجوعي ، ولهف قلبي العليل
ومنعت المنى ـ ظماء المناقير ـ ... من الحوم في مداه البليل
وتقدست في الغرام فحرمت ... على النفس منزل التحليل

فخذي من جنى الحياة واعطي ... والبسي الحب ، واخلعي واعيدي
يا لها سكرة ويا لك سكرى ... لست تصحين من سلاف الوعود
كذبتك الظنون ... رب يدي فقر ... تسيلان بالغنى والسعود
قسمة الحق بيننا : ان أغني ... في هواك الدنيا وان تنكريني
يسكر الورد ان تلهثت في الروض ... وتذكو جوارح النسرين
انما العيش ان يقيك اذى الحر ... جناحي ، والبرد حر جراحي
فتعالي نهرب على زورق الفجر ... تعالي قبل اشتهار الصباح
ونعل الصبا ... سلاف تناجينا ... ونرم النجوم بالاقداح

هذه النماذج كلها ـ وهي نماذج قليلة جدا مختطفة من هنا وهناك ـ عناوين حية للعبادة الفنية المعطاء لدى نديم محمد ، العبارة التي تعطي الشعر جماله ، وتنقل سحره الى النفس . واذا كان من اهم خصائص الفنون الجميلة انها تمتع النفس ، فان شعر نديم محمد من هذه الفنون الصافية الجمال ، التي تستغرق النفس في متعتها ، وتغمض العين لحظات في عوالمها عن اللهيب والدماءوالصراع ، ريثما تستعيد نشاطها وشوقها الى الحياة والى الصراع وسعادة البقاء .

اما المذهب الشعري الذي ينطبق عليه شعر نديم محمد فهو المذهب الرومنستي . وأنت حين تقرأ ديوانه (آلام) لا تدري لماذا تشعر بانك تعيش في جو ليالي الفريد دي ميسيه .

الكآبة الموسيقية الحلوة التي هناك ، تعيشها ههنا من اول الديوان الى اخره ، وهو كله قصة حب واحدة ، ولهفات روح أحبت فحرمت ، وهمسات قلب يعذبه الحب والخيبة ، والشعر فيه صاف عذب ، يسلسل الكآبةويرقرق الهوى المجرح بصدق عميق .

ولكن القلب الكئيب المعذب بالحرمان والخيبة ، لا يعدم الكبرياءوالعنفوان الجميلين في كل ما عدا الحب وعذابه :

أيها المشفقون ! لا تلمسوا الكبر ... بنفسي ، فتقصروا ايامي
ليس في همتي ، وان وهن العظم ، ... سوى الباس والقوى والعرام
واحذروني ، فربما انتفض الشربشوبي ... وهاج بي اجرامي

وايضا :

أنف المضجع الوثير والقى ... ضلعه فوق صخرة صماء
ساخرا بالجراح يحفرها الشوك ... سطورا في الجبهة الشماء
وعلى ثغره من الالم العذب ... انتفاضات بسمة هوجاء
ورأى الناس ضعفه فاذاقوه ... على الضعف قسوة الغلظاء
ـ والضواري تجلو النيوب شباعا ... وتحك الاظفار بالاشلاء ـ
فلوى الخد عن حقارة دنياهم ... وأغضى عينا على الاقذاء
واذا اقبلوا عليه تلقتهم ... من الانف ... ضحكة استهزاء
عفرت زهوها العتي على رجليه ... جهم الحوادث الرعناء
في دوامي خطاه لفح المروءات ... وفي شهقه صدى الكبرياء
« في غد تنحني » ! يقول له الدهر ... ويابى مهانة الانحناء
بسمة الرحمة الحقيرة ! لاكنت ... واهلا بقهقهات العداء !

هذا العنفوان الكبير ، والاباء الجموح ، يتنفسان في وسط الحراب والاشواك الحادة والجراح الدامية ، لا يلبثان ان يتحولا في يد الحب ذلة راضية ، وهوانا عذبا :

لو بغير الهوى يطاولني الدهر ... لاركزت في النجوم قبابي
ولجررت برد لهوي على البدر ... ولطمت خده بدعابي
راودتني عشيرتي سدة الشمس ... وراودتها هوان التراب
ان يكن في الهوى ضلالي ، فهيهات ... رجوعي الى الهدى ومتابي

ان نديم محمد لا ينظم كلاما ـ كما ينظم الاكثرون ـ ولكنه يسفح جراحا سكرى من قلبه ، ويسكب عصارة من رحيق آلامه . ان اللفظة عنده فلذة من روح ، والعبارة رحيق آلامه . ان اللفظة عنده فلذة من روح ، والعبارة

عنده ذوب احساس . لقد تعذبت روحه كثيرا حتى فاض الشعر من عذابه ، فانطلق خياله يبدع الصور ، وكلها صور تصنع الكآبة العميقة اطرها ، وتخضبها بلون الدماء .

والالام التي فجرت الشعر والخيال في نفس نديم، فتدفقت على سن قلمه ، الجأته كذلك الى الكأس ، يعانقها ويذيب فيها حروق روحه ، فالكأس ــ وكذلك النارجيلة التي لم ينس نديم ان يصور « خواطرها » ومتعاتها في بعض شعره ــ رفيق لصيق بحياة نديم وبشعره . وهذا بعض ما قاله فيها :

وتلوت على الصدى شهوة الخمر   بصدري ، وعربدت في مهادي
وتنبهت ... أين كأسي ؟... على العهد   اراها محمومة المنقاد
اسقينها أحس من حلمة النهد   على الطفل ليلة الميلاد
اسقنيها بيضاء من اثم حواء   وحمراء من جنى الاكباد
صب لي الري في كؤوسي ، وصب   الشبع فيها ، فالخمر مائي وزادي
يسكر الحس ذوقها بخشوع   الاثم فيها وعفة الاحقاد
تشرب العين ، قبلها عبق السكر ، فيمشي الخمار في الاماد
كأسها في المدى قصاصة نور   افلتت من مشارف الابعاد

وحين تمتلىء نفسه بالالم ، تفيض كذلك بالتشاؤم ، واحيانا باليأس الشديد الناقم الثائر ، وبالقرف من صغار بعض المخلوقات الآدمية وخياناتهم ، فيهتف باصقا من دماء جراحه في وجه الحياة :

أنا طيف الشقاء ، يرجمني الكون   بلحظ البغضاء والانتقام
أنا كالاثم ، يرقصون على لحني   ويصمون مهجتي بالسهام
أنا مشروع صورة خطها المبدع   بين الاقدام والاحجام
قبعت في الظلام آمالي الزهر   وضلت سبيلها احلامي
فاتركيني أعقر شبابي على الكأس   واهرم قبل ارتداد الظلام

وفي مكان اخر يعود فيهتف :

أنا صوت القبور ، يرجعني الليل   شهيقا مفجرا من غليلي

او يقول ايضا :

ليت حسن الفناء لم يتنفس   عن وجودي المشوه المشؤوم

ذلك بعض ما يفيضه عمق الالام وخيبة الحب في نفس الشاعر المرهف من مرارة يائسة ، وتشاؤم اسود . والحب ما هو ؟

الهوى ؟ ذكره رجوع الى الدمع   رجوع الى العذاب المرير

واذا ضاق واقع الوجود بمشاعره ، وعجزت الكأس عن ان تنقع غلته ، وتذهب بهمومه وآلامه ، وجد عزاءه ومتعته في مجالي الطبيعة الجميلة في الريف : في سذاجة الريف وجماله ، واطياره وازهاره ، وفي رؤاه الحلوة من ايام الطفولة ، انها لذكريات تعيد الى النفس اشياء من البهجة التي خبت ، ومن حلاوة الطفولة وطمأنينتها الروحية وشعراء الرومنتية ــ منذ كانوا ــ يعبدون الطبيعة ، ويذوبون في جمالها كما يذوب الصوفي في حبه الالهي . وقد اسلفنا ان نديم محمد واحد من هؤلاء ، ولعل ابعدهم أثرا في شعره الفريد دي ميسيه في لياليه الاربع المشهورات .

هاك ما يتحدث به نديم عن ذكريات الريف التي تعيد احلامها الى نفسه البهجة التي سرقتها منه آلام الحب ، ومرارة الحرمان :

حلم نائم ، أضاءت عليه الكوخ   في يوم هداة ومرور
حلم في طفولتي حبست نفسي   عليه فنام كالمخمور
حلم العيش مفردا في اعالي الريف ، الا من قصبة وسمير
يملأ الفجر عب عيني ، فما   تغسل الا في دفقة من نور
وقريب مني خراف على التل   صغار ، بيض ، كدر تشير
وغدير غاف على قدم السفح   الى الان ... في انتظار الهجير
عيشة ، هذه المباهج أفلاذ   حسان من كونها المسحور
وكأني أعيشها ، فأراني   عاريا ، ناعما ببرد الغدير
او على المرج ، او ضفاف السواقي   او خلال الغاب المهيب الوقور
ومعي في الفياض اعواد دبق   وفخاخ شتى لصيد الطيور
واراني مع الاصيل على مفرق   درب ، ومشرف من صخور
والعصافير لمها مغرب النور   لتشدو له بلحن اخير

ويمضي طويلا في حديث الريف وجماله ومباهجه ، ويتدفق في رؤاه رائعا ساحرا ، حتى ليكاد ينسى كل شيء عدا جمال الكون ومفاتنه وبساطته واغاريده . وكأنما ثابت اليه نفسه ، وثابت اليه كبرياؤه وأنفته ، فرأى ان التمرغ في الوحل لاجل الهوى الفاشل شيء لا يليق برجولته ، فاذا به ينتفض ، فيزول عنه القبر والكفن ، واذا الحمم تتدفق هادرة على قلمه في وجه تلك التي أحالت جنته جحيما ، وحبه شقاء ذليلا :

مرغي مرغي جبينك في النقع   وغوصي الى القرار النكير
واتيحي للدود ان يرتعي منك   بقايا حسن دفين نضير
ملأ الطين مقلتيك ازورارا   ومحا منهما جمال الفتور
فاحملي عباه الثقيل ، وهذا   بعض ما يستحق كبر الصغير
وان عار الحياة ان تلبس الدنيا   على اهلها ضلوع الغرور
انت جوع اللظى الى الورق الاخضر والزهر والنوى والقشور
مات أمسي ، ولن أرد اليه   العين ، فاستنفري علي وثوري

وعند هذا تنتهي قصة (آلام) نديم محمد ، ذات الاناشيد الاثنين والعشرين ، والصفحات المئتين والست عشرة .

ومن هنا ينطلق نديم حر النفس والهوى والشعر ، ليصبح فراشة تحوم على كل روض ، وتقع في شباك عناكب الحب بغير حساب ، ولكنها لا تموت بين الخيوط ، ولا تبقى في اسرها طويلا . واذا كان ديوان (آلام) تعبيرا ــ في أغلبه ــ عن رضى النفس بذلة الحب ، مع كبريائها العارمة في كل ما عداه ، فان نديم محمد في (فراشات وعناكب) يتحول نحلة تشتار الرحيق من كل روض ، وتترك على كل زهرة أثرا من عسلها الحلو . ففي كل قصيدة نداء حب جديد ، واطلالة حبيب جديد ، وفراش غرام جديد :

ذهب الربيع فلا زنابق   في الربوع ولا أقاحي
والموت ! هذا طيفه السكران   في كأسي وراحي
ما هم ؟! أحمله واحبسه   باحضان الملاح
واهز في وجه الحياة   يدي ، واسمعها صياحي
جاوزت غايات الكفاح   وعز القاء السلاح

ويصبح شعار حياته الجديد :

لوموا ، فما انا من يحوم   على المياه بغير ورد
أنا طائر ، أحيا ربيعي   بين غاليتي وندي
لي خطوة من فوق أغصاني   الى أعماق لحدي

انه في (فراشات وعناكب) قيثارة انغام عذاب ، لا دموع فيها ولا يأس ولا مرارة ، ولكل قصيدة من شعره حلاوة ونكهة لا يغيبهما النسيان بسرعة ، ولكل بيت رنين يظل يتردد في النفس طويلا بعد الانتهاء من قراءته :

سألت تلاعبنا الصغار   عن المعابثة الصغيره
سألت عن الارجوحة الزرقاء   واللعب الكثيره
وعن الملاءة نستعين   بها على حر الظهيره
وعن العقود من الزهور   البيض والحمر النضيره
سألت عن الجنية الشقراء   عن أم الضفيره
ما زال من ضحكاتها   في مسمعي ذكرى أثيره
وعلى فمي قبلاتها   لم تمح ، ناعمة ، عطيره

وايضا :

املاعبي ! لا تحسبيني   ضعت في درب العقوق

الشعر والموسيقى

معرفة العلاقات القائمة بين الشعر والموسيقى ، تستلزم اكتناه جميع الروابط التي تقارب او تباعد بين عناصر الشعر وعناصر الموسيقى حتى يصير بالامكان جلاء حقيقتهما المشتركة ، وتعيين الاساس الذي يجعل من المحتوم ، ضرورة بحثهما على صعيد واحد .

ما هو الشعر ! ؟ وما هي الموسيقى ؟؟

كيف كان تطور الشعر والموسيقى منذ بدء كينونة الكلمة والنغم ؟ وكيف انتهى تطورهما الى الواقع المعاصر والى ما يمكن ان يقال فيه ويزاد عليه انطلاقا منه ؟

الجواب على السؤال الذي تطرحه معضلة وجود الشعر ، ووجود الموسيقى يفترض الاجابة على السبب الذي من اجله كان الشعر وكانت الموسيقى في حياة الانسان .

ان تاريخ الفكر سار الى هذا الهدف متوسلا المحاولات التي قام بها أهله سواء من الشعراء ام من النقاد ام من الموسيقيين انفسهم بنسبة ما استطاعوه في مجرى تدافع الزمن ، ومن خلال التيارات الفكرية والشعرية والفنية على تنوعها .

ولم تبرز قضية الشعر والموسيقى بوضوح الا بعد القرن السابع عشر عندما انتقل الشعر من قيود الكلاسيكية الى انتفاضة الرومانطيقية الحية ، حيث بات الحب والالم والنحيب والخوف من الحياة ، وعليها نوافذ يطل منها الشعراء على الحياة والكون باحثين في الوجود عما يتجاوب والابعاد الرحيبة في وجدانهم المتحرك النشوان .

وحين تحول الشعر عن الرومانطيقية الطلق الى الرمزية الاخذة في التعمق اكثر فاكثر عبر الداخل ، كان اساس تحوله ناتجا عما ادركه بودلير من وجود صلات متجاوبة بين اجزاء الكون وبين الانسان والوجود بصورة ادق . وجاء فرلين يتحدث عن الشعر بالشعر فيقول في احد أبياته :

.. « من الموسيقى قبل كل شيء ... »

وما حمل فرلين على اعلان هذا الراي ومكنه من الاستناد اليه مبدئيا في نظم قصائده ،هو اقتناع باطني قد يتجاوز مقاييس المنطق ، وانما يتكامل تذوقه بمجرد تذوق جمال الشعر .

ومظاهر التزاوج الحاصل بين الشعر والموسيقى تتجسد في كثير من الشعر الحديث ، وهو الذي بدا يكون عصارة الثقافة الشعرية المختمرة في طريقها الصاعدة ابدا الى الجديد والرائع .

يقول صلاح لبكي في قصيدة له نظمها في خليل مطران :

فيا ايها المستنطق الغيب ما ترى   شهدت ؟ وهل غيب هنالك ثان ؟

فمنذ مطلع البيت يندفق الشعر ويرافقه نغم النداء الشجي الفياض بالتأوه والالم الكئيب

وبمعزل عن المعنى في البيت كمعطى مستقل ، اي فرق يبقى بين الشعر من حيث هو متعة هائئة ، والموسيقى من حيث هي انسجام رقراق يغمر الاحاسيس طربا وسحرا

وهذه المفاجأة الجمالية ينطلق بها صلاح ويندفع سريعا في انطلاقه تملأ كل ما جاء في البيت ، حتى لا يظل من السهل تمييز بين فكرة مترنحة يحملها النغم وروعة حالة يسكبها المعنى .

اذن ، هو التقارب المتلاصق الحميم بين الكلمة والنغم يتجلى في الشعر .

وابعد من ذلك فان الكلمات التي تؤلف هيكل الشعر هي اجزاء موسيقية باعتبار ان كل حرف في الكلمة التي ينطوي على صوت جميل خاص ، وان مجموعة التحركات الصوتية تؤلف جوقة الحان متكاملة تنعكس صورة جميلة وموسيقى عذبة شرط ان يجوهرها الفن .

ولقد تقدم الشعر العالمي الحديث في اتجاه هذا الافق الجديد فبلغ مالارمه وفاليري الى صفاء نقي في اشعارهما : الى التوحيد بين الشعر والموسيقى ، وظلت التيارات تصطخب فظهر وله السوريالية ، وظهرت الحرفية التي لا يهمها اي معنى في الشعر سوى ان تحتوي حروفه انغاما سكرى محرورة .

الى أين قد تنتهي قضية الشعر والموسيقى ؟

ان تطورات جديدة ستقبل وان غرائب لا يفسرها العقل الكلاسيكي ستطل .

المهم في هذا النطاق الان ان الشعر والموسيقى يصدران عن ينبوع فني واحد هو الحياة في جوهرها الاصيل المتحرك .

جورج دجي

شفة الصغيرة طعمها	ما زال في شفتي وريقي
لم انس مدرجها على	صدري ، وماخذها بزيقي
عبقت باشعاري ، فهذا	الطيب من شعري العبيق

وكذلك :

شقي دروب العطر	بالقدم الطرية كالنسيم
صحي نعاس الماء ، لمي	الحر عن فيء الكروم
في خيمتي ما شئت من	طرف السعادة والنعيم
علقت في احنائها	قمرا ومن كل النجوم
ودنى أغان قطفوها	من أخادير الحريم
في خيمتي خبز الحياة	وخمرها بيدي كريم

لقد قسم نديم ديوانه هذا الى قسمين : الاول (للفراشات) وكله حب ولهو وطرب ، والثاني (للعناكب) وكله شعر اجتماعي ووطني . ولكن العبارة في القسمين واحدة : انها عبارة نديم محمد الفنية بالشعر والاحساس والخيال والجمال .

لقد قلتها من قبل ، واعيد قولها هنا : ان نديم محمد شاعر من الرواد الذين يركزون اعلام ادبنا العربي على آفاق بعاد ، لتقترب من أعلام أدباء الانسانية الخالدين . ونحن في حاجة الى شعره في قلب خنادق نضالنا الدامي .

ان القطعة الموسيقية الجميلة ، والقصيدة الشعرية الرقيقة ، تشحذان الاحساس ، وتولدان في النفس شوق الحياة ، ولذة البقاء .

عمان **عيسى الناعوري**

انتظار

لعدنان مردم بك

دمشق

أي طيف في صفحة الجوزاء   يتهادى بالحلة الحمراء

ابقايا الانوار في غسق الليل   طوتها مطارف الظلماء

ذاك ركب المغيب ينهب ركضا   باختيال المدل صدر السماء

اطرق الكون حين آذنت الشمس   ببين كمدنف من عياء

وترامى الصفصاف من مضض ينزو   كشلو مضرج بالدماء

وتهاوت كتائب الطير تطوي   في الفضاء البعيد رحب الفضاء

لا تبالي والريح تعصف في الافق   كيم عوادي النكباء

كلما دب في الجناح فتور   او توانت من سورة الاعياء

ذكرتها الرؤى لواعج شوق   وحنين لرؤية الابناء

ودعاها الهوى المبرح في الصدر   فتلقي زمامها عن رضاء

غمر الارض بالكآبة ليل   مدلهم يجيش بالانواء

فاستتر الفضاء اذ نشر الليل   جناحا في شملة سوداء

واستطابت حلو المنام عيون   اجهدتها بهارج الاضواء

النفوس الظمأى يهدهدها الشوق   فتغفو على نشيد الرجاء

والفؤاد الجريح يطمعه الوجد   بوعد من كاذب الاهواء

نام من في الوجود غير كئيب   يتلظى من وحشة وعناء

ليت شعري من ذا أثار شبا الوجد   بصدر الحسناء عند المساء

درجت والظلام منعقد الستر   بذعر كالحية الرقطاء

واستترت ببرقع من ظلام   حين راحت عن أعين الرقباء

ما دهاها وقد تملكها اليأس   فحارت كريشة في الهواء

أعرتها لواعج الالم المر   فناءت من نهشة الادواء

اخذت ترمق الفضاء وترعى   بالتياع جوانب الجوزاء

وهي حيرى من الوساوس نهب   لسهام الاهواء والارزاء

تتلوى من الاسى كنزيف   صدمته حرافة الصهباء

ليت شعري ما تبتغي حين راحت   ترمق النجم في عنان السماء

أتراها تستطلع النجم عما   خبأته لها صروف القضاء

أي شيء عند السماء لمن بات   يرجّي السماء غير ازدراء

يضرع المرء حين يدهمه الخطب   ويذري مدامع الضعفاء

ويمد اليدين مد ذليل   مستجيرا في النكبة العسراء

غير ان السماء عن كل شكوى   لا تعير الحزين اذن اعتناء

سئمت وحشة السماء فولت   بجفاء وجها الى الدأماء

علها تستبين في البحر امرا   كتمته جوانب الجوزاء

فاذا بالنداء يخنقه الموج   ويخفي المحيط كل نداء

وتضيع الامال في لجج البحر   وتطوى الاخبار طي خفاء

كم حزين اتى الشواطىء يستجلي   ببشر غوامض الاشياء

يسأل البحر عن حبيب تناءى   مستعيدا ايام عهد اللقاء

وينادي العباب هل من رجاء   في لقاء الحبيب بعد التنائي

أي شيء سوى التبرم يتلى   في زفير المحيط من انباء

ينفث البحر نفثة الالم المر   كمضنى يجود بالحوباء

ثائر صاخب يزمجر هدارا   ويرغى من قسوة وجفاء

تتهاوى امواجه حين تهوى   كخيول في حومة الهيجاء

ولصوت الرياح أنة شكوى   من حزين في فحمة الظلماء

ضاق صدر الحسناء ذرعا فراحت   تترامى شطر الحمى من عياء

شفها أن يضيع في صخب الموج   لفاها وينطوي كالهباء

قصة لانطون تشيخوف

متاعب الغير

ترجمة حسن السعران

عندما اخذ كوفالوف ــ وهو محام من الشباب الناهض ــ مكانه في العربة الى جانب عروسه في طريقهما الى القرية ، لم تكن الساعة قد بلغت بعد السادسة صباحا . ولم يكن قد سبق له او لزوجه ، الصحو من النوم مبكرا هكذا . فراعهما هدوء الصباح صيفا وبدا لهما اشبه شيءبمنظر في قصة خيالية . الارض مكسوة بخضرة ساحرة تتلألأ من فوقها حبات الندى تزيدها روعة وجلالا . والشمس تتساقط اشعتها قطعا لماعة فوق الاشجار ويتراقص نورها على صفحة النهر . وبدت الطبيعة من حولها ــ على غير العادة ــ ندية ريانة بهواء الصباح الازرق الشفاف الذي يلفها وكانما قد فرغت في التو من حمام منعش جعلها اكثر شبابا واوفر صحة .

واحس كوفالوف ووزجه ــ كما اعترفا بذلك فيما بعد ــ بان هذا الصباح هو اسعد صباح عرفاه في حياتهما كلها . وراحا يتحدثان دون انقطاع ، ويغنيان ، ويضحكان بلا سبب ، ويلهوان معا دون استحياء حتى شعرا في اخر الامر بشيء من الخجل امام سائق العربة . وظللتهما السعادة بجناحيها وكأنها لهما حاليا ومستقبلا . ها هما في الطريق لابتياع بيت ريفي ورقعة صغيرة رومانتيكية ولكم كانا يحلمان بها منذ تزوجا . لكأن المستقبل يحمل لهما في طياته أطيب المفاجآت السارة . هو ، يحلم بمستقبله واستقلاله وعمله الريفي ونتاج جهده الشخصي وبالحياة الزراعية السمحة عامة ، كما تراءت له مما قرأه عنها او سمع به . واما هي ، فقد فتنها الجانب الخيالي وحده من طرق وممرات تظلها الاشجار ، ومباهج رياضة الصيد ، ولياليالريف العاطرة .

○

○ ○

وسرعان ما مضى الوقت في حديث وضحك وطوت العربة مسافة اثني عشر ميلا . وكانت عزبة ميخالوف التي يتجهان اليها تقوم على ربوة عالية شديدة الانحدار قرب ضفة النهر ، وتختفي وراء اشجار كثيفة فلا تكاد العين تبين سقوف ابنيتها

وقال كوفالوف عندما عرجت العربة الى الداخل عند الضفة الاخرى من النهر : يا له من منظر بديع ! البيت فوق التل والسفح عند النهر ! منظر رائع حقا ! ولكن انظري يا فيروكا الى هذا الدرج ، انه لا يتناسب مع البناء . بل يكاد يفسد المنظر باكمله ويشينه . لا بد من ان نبدل هذا الدرج باخر من حديدعندما نشتري هذا البيت .

وكذلك اعجبت فيروكا بالمنظر ، وضحكت عاليا ، وسرى الاعجاب في كيانها كله ، فاسرعت تقفز على الدرج ومن ورائها زوجها يحاول اللحاقبها ، وقد داعب الهواء شعرهما وقطع الصعود انفاسهما ، وكان اول من لقياه عندما بلغا الشجيرات المحيطة بالبيت فلاحا ضخما كئيبا كثالشعر يجلس متراخيا تحت سقيفة يمسح حذاء صبي .

فسأله كوفالوف : هل السيد ميخالوف بالبيت ، قل له اننا جئنا لرؤية البيت ؟ وتطلع الفلاح الى الزوجين في شيء من الحيرة ، واخذ يهرول ناحية المطبخ الذي يقع الى جانب البيت . ولمح وجوها اكثر حيرة من الفلاح تطل من نافذة المطبخ . وصاح صوت يقول : جاء مشترون . يا لله ! بيت ميخالوف يباع ! انظر كم هما صغيران !

ونبحت بعض الكلاب من بعيد ، وماءت بعض القطط كانما داس ذيولها احدهم وهو يسرع الخطى . وسرت الاثارة التي استحوذت على الفلاحين فشملتهم جميعا ، وامتدت عدواها ايضا الى الدجاج والاوز والديكة التي كانت تتهادى حول البيت في دعة وامان . وسرعان ما برز من المطبخ صبي أشبه بخادم راح يحملق الى كوفالوف وزوجه ثم اسرع صوب البيت ، وكان يحاول ارتداء جاكتته اثناء سيره . ووجد المحامي وعروسه في هذا الاضطراب بعض التسلية فانطلقا يضحكان معا .

وتبادل المحامي الشاب النظر مع زوجه قائلا : يا لها من وجوه غريبة ! انهم يتطلعون الينا كما لو كنا نفرا من المتوحشين !

واخيرا طلع من البيت رجل نحيل حليق الوجه تبدو على وجهه الشيخوخة واخذ يتقدم بخطى مسموعة ــ وكان في قدميه زوجمن الخفاف العتيقة المذهبة ــ ثم ابتسم ابتسامة مرة ونظر للضيفين اللذين جاءا على غرة نظرة جامدة .

ورفع كوفالوف قبعته محييا ثم قال : السيد ميخالوف ، اليس كذلك ؟ كيف حالك ؟.. هذه زوجتي لقد قرأنا اعلان البنك الخاص ببيع البيت والارض ، فجئنا لنلقي عليهما نظرة لعلنا نشتريهما .. هل تتكرم وتسمح لنا بذلك ؟

وابتسم ميخالوف ابتسامة مرة ، وتملكته الحيرة ، ودعك عينيه . وزاد اضطرابه هذا من شعث شعره ، وارتسم على وجهه الحليق مزيج من الخجلوالحيرةالى درجة انكوفالوف وفيروكا نظر كل منهما الى الاخر، ولم يكفا عن الابتسام .

وقال العجوز : يسرني معرفتكما يا سيدي .. انني رهن خدمتكما .. اجئتما من بعيد يا سيدي ؟

ــ من كونكوف .. اننا نقطنهناك فيلا صغيرة .

ــ تعيشان في فيلا .. وتبحثان عن بيت ريفي .. صفقة غريبة ! مرحبا بكما ! ارجو المعذرة ، لقد تأخرنا في النوم هذا الصباح، والبيت بادي الاضطراب .

وبعد ان ابتسم ميخالوف ابتسامته المرة ودعك يديه ، قاد الضيفين الى الجانب الاخر من البيت . ووضع المحامي نظارته على عينيه وبدأ ينظر فيما حوله نظرة سائح يريد معرفة المكان . فرأى اول شيء بيتا كبيرا من الحجر ، عتيق الطراز معقد الشكل ، تكسوه طبقات متداعية من المصيص

محلاة بنقوش عتيقة . . ونوافذالبيت من زجاج عديد الالوان ، اما سقفه فيبدو كأنه لم يعرف الطلاء منذ عهد بعيد . وفي الثغرات التي تتخلل الدرج تبرز حشائش خضراء نامية . . كل شيء يبدو عليه التهدم والقدم والاهمال ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد اعجبهما البيت .

ومد المحامي ببصره الى بعيد ثم قال : آها : توجد بركة ماء ايضا !هذا ممتع جميل . أتراها عامرة بالسمك؟

ـ كانت فيما مضى حافلة بسمك البلوط ، ولكنها اهملت ولم تحظ بأية رعاية او تنظيف فملت سمكها .

وعلق كوفالوف على ذلك بلهجة الناصح الامين قائلا : واأسفاه ! ان بركة المياه ينبغي تنظيفها ورعايتها . . وكلما زاد تنظيفها كلما زاد الانتفاع بما فيها من حشائش مائية كسماد للحقل . أتعرفين يا فيرا (فيروكا)انه عندما نشتري البيت يحسن بنا ان نشيد في وسط البركة بيتا صيفيا صغيرا فوق اعمدة مائية ، ونمد اليه جسرا صغيرا . لقد رأيت من قبل بيتا كهذا لدى الامير افرنتوف .

وتنهدت فيروكا راضية النفس وعقبت بقولها : وعندئذ نستطيع تناول الشاي وحولنا مياه البركة .

وما هذا البرج ذو المسلة ؟

فاجاب ميخالوف : انه جناح الضيوف .

ـ انه في غير مكانه ، فهو بعيد ومنعزل ! سنهدمه . بالاختصار لا بد من هدم الكثير . الشيء الكثير !

وفجأة انبعث صوت واضح النبرات ، صوت امرأة تنوح وتبكي . وتطلع الزوجان حول البيت ، وفي نفس اللحظة فتحت نافذة اطلت من زجاجها عينان واسعتان دامعتان ، لمتا برهة ثم اختفت صاحبتهما اذ احست بالخجل .

وتجعد وجه ميخالوف على كثرة ما فيه من تجاعيد وابتسم ابتسامته المرة ثم اسرع يقول : هيا نلقي نظرة على الحديقة وارض البيت ، هيا بنا على كل حال ليس البيت بالشيء المهم في الصفقة فملحقاته وارضه هي الاهم

وقاد الزوجين لرؤية الاسطبلات ومخازن الغلال ، واخذ المحامي يتبين حجم المخازن ، ويتطلع حواليه ويدقق النظر ويعلق على كل شيء مستعرضا معلوماته الزراعية . وسأل عن جملة مساحة الارض وجملة رؤوس الماشية واخذ ينتقد سياسة البلاد في قطع الاحراج وتبديدها . ويلوم ميخالوف لتبديده كل هذه المساحة سدى دون زراعة . . الى غير ذلك . وكان يتطلع في اثناء حديثه الى وجه عروسه في الحين بعد الحين ، وما كانت هي ترفع عنه عينيها الحبيبتين لحظة واحدة .

وكان لسان حالها يقول : كم هوماهر!

وبينما اخذا يتفقدان حظائر الماشية سمعا مرة اخرى بكاء امرأة .

فتساءلت فيروكا : ترى من الباكية ؟

واشار ميخالوف بحركة من يده ودار بعيدا .

وعلا النحيب بشكل هستيري لا حد له .

فهمست فيروكا قائلة : غريب هذا، ما اشبه ذلك بمن يضرب اويذبح.

فقال ميخالوف : انها زوجتي ، بالله لا تحفلا بامرها .

ـ وماذا يبكيها ؟

ـ انها امرأة ضعيفة يا سيدتي ! وليست تطيق رؤية بيت العائلة معروضا للبيع .

فتساءلت فيروكا : حسنا ، ولماذا تبيعانه ؟

ـ نحن لا نبيعه يا سيدتي ، البنك هو الذي يبيعه . .

ـ هذا غريب، ولم سمحتم له .

وحملق ميخالوف في وجه فيروكا الوردي مذهولا وهز كتفيه ثم قال : علينا ان ندفع فائدة البنك . الفان ومائة روبل كل عام ! من اين لنا بها ؟ انها مصيبة تقصم الظهر . والنساء ضعيفات بطبعهن وزوجتي كاسفة البال ، يؤلمها بيع بيت العائلة ، ويمضها الحزن من اجل الاولاد ومن اجلي ومن اجل الخدم . وقولك انه ينبغي هدم هذا وذاك كان بمثابة خنجر سدد الى قلبها .

وما ان عاد الزوجان ناحية البيت حتى لمحا صبيتين صغيرتين يتوسطهما تلميذ حليق الراس ـ ابناء آل ميخالوف ـ يطلون من احدى النوافذ ، ترى فيم يفكر اولئك الصغار وقد راوا المحامي وعروسه يتفرجان على البيت والارض . من يدري لعل فيروكا ، قد ادركت ما يدور برؤوسهم الصغيرة .

ترى لماذا تغير في ناظريها هذا الصباح المنعش الذي اكتحلت به عيناها ، واين ولت نشوة تلك الرؤى الحالمة والمناظر الحلوة التي سحرتها وفتنتها . ها هي تجلس في العربة الى جانب زوجها كالشاردة ، وفجأة تقول لزوجها وهما في طريق العودة : كل شيء يبدو كئيبا لا بهجة فيه . . الا ترى انه يجب ان نمدهما بالفين ومائة روبل وندعهم يعيشون في ارضهم .

وضحك كوفالوف قائلا : انتذكية ولا شك ! اي حيلة لنا غير الرثاء لحالهما . على كل حال فاللوم واقع عليهم . لماذا رهنوا الارض ؟ ولماذا اهملوها الى هذا الحد ؟ ليس للمرء ان يبدد عطفه هدرا من اجلهم ، لو انهم احسنوا رعاية تلك الارض ، ولو انهم استعانوا بوسائل الزراعة المجدية واعتنوا بتربية الماشية والاغنام لعاشوا عيشة راضية . ولكنهم لم يفعلوا شيئا ، اولئك الاغبياء . . أرايت سحنة وجهه ، لا بد انه معتوه ومقامر . ولا بد انها مسرفة مفتونة بالشباب . انني اعرف امثالهم .

وكيف تستطيع معرفة ذلك يا عزيزي ؟

ـ اعرف ذلك ! انهم يشكون من انه ليس لديهم ما يسددون به الفوائد للبنك . كيف لا يستطيعون الحصول على الفي روبل ؟ لو انهم استخدموا وسائل الزراعة المجدية ، وسمدوا التربة ، واهتموا بتربية الماشية والاغنام . على العموم لو انهم حسبوا حسابا للزمن والمستقبل لاستطاعوا التكسب حتى بفدانين من تلك الارض !

وراح المحامي يدردس هكذا طول الطريق في العودة الى البيت ،

وكانت زوجته تصغي اليه وتؤمن بقوله ، ولكنها لم تستطع ان تستعيد مرحها السابق ، فما كانت تفارقها ابتسامة مخالوف المرة ، ومشهد الدموع التي انسابت منعيني زوجته وهي تطل من النافذة .

واخيرا حان موعد مزاد البيع ، وحضره المحامي السعيد واستطاع اخر الامر ابتياع بيت ميخالوف وارضه بمبلغ الدوطه ، واحست الزوجة بشيء من القلق ينتابها . واخذت اطياف عائلة ميخالوف تراودها ، فلم تنس مشهد الاسرة

[التتمة في صفحة ٧٢]

حسن السعران

قصائد لرابندرانات طاغور

ترجمة الدكتور بديع حقي

●

النهايـــة

افد الترحل ، يا امي ، فانا ذاهب .
حين تمدين ذراعيك ، في الغلس الشاحب من الفجر المنزوي نحو وليدك في السرير ، فلسوف اقول لك : ليس طفلك هنا ، اماه ، انا ذاهب

سوف احول الى زفرة طرية من النسيم تداعبك ، سوف احول الى غضون الماء حين تستحمين فيه فالمثك والثمك .

وحين يجلد المطر ، في الليالي العاصفة اوراق الشجر ، سوف تسمعين ، وانت في السرير همسي ، وسوف تشع ضحكتي مع البرق ، وتتسرب من النافذة المفتوحة الى غرفتك .

وحين تاوين الى مضجعك وينقضي هزيع كبير من الليل وانت تفكرين بابنك فلسوف اغني لك من ذرى النجوم : نامي يا امي نامي ، ولسوف اتدحرج على اشعة القمر الهائمة حتى اشارف سريرك واضطجع على صدرك وانت نائمة .

سوف انقلب الى حلم وانزلق من اجفانك المنفرجة حتى اصل الى اغوار نومك ، وحين تستيقظين وتجيلين طرفك حواليك ، وانت مرتعشة ، فلسوف أملس من الظلمة ، مرفرفا ، كانني يراعة مضيئة .

وفي عيد (بوجا) الكبير حين يقدم اطفال الجيران ليلعبوا ، في فناء الدار ، فلسوف اذوب في موسيقا الناي واخفق في قلبك ، سحابة اليوم .

سوف تقدم خالتي الطيبة ، حاملة هدايا عيد (بوجا) وسوف تسألك : اين طفلك يا اختي ؟

سوف تقولين لها في رقة : انه في انسان عيني ، انه في جسدي ، انه في روحي .

النـــداء

كان الليل داجيا حين مضت ، وكانوا مستغرقين في سبات .

الليل حالك ، الان ، وانني اناديها : عودي يا حبيبتي فان الكون غاف ، وقد لا يدري احد ان قدمت لتمكثي فترة قصيرة ، بينا تتلامح النجوم .

لقد مضت ، حين كانت الاشجار مبرعمة ، وكان الربيع في سحرة شبابه .

ان الازهار منورة ، الان ، واناديها: عودي يا حبيبتي ، الاطفال يقطفون الازهار ، ثم يبعثرونها في غمرة لهوهم الغافلة ، وان عدت وتناولت زهرة صغيرة ، فلن يشعر احد بفقدانها .

ان الذين كانوا يلهون لا يزالون يستمرئون اللهو — فما اكثر ما تبدد الحياة .

واصغي الى لغوهم ، واقول : عودي يا حبيبتي ، فان قلب امك يطفح بالحب ، حتى حفافيه ، فان عدت وخلست منها قبلة صغيرة واحدة ، فلن ينفس بها على امك اي انسان .

طلائع الياسمين

آه ، يا لهذا الياسمين ، هذا الياسمين الابيض !

احسب انني لا ازال اذكر اليوم الاول الذي ملأت فيه ذراعي بهذا الياسمين ، بهذا الياسمين الابيض .

لقد شغفت بنور الشمس ، بالسماء بالارض الخضراء .

لقد تناهى الى سمعي الخرير الناعم من النهر المترقرق في ظلمة منتصف الليل .

لقد سعى الخريف وغروب الشمس الى لقائي ، عند منعطف الطريق ، في العزلة المنزوية ، كعروس تحسر عن خمارها لتستقبل حبيبها .

لما تزل ذاكرتي معطرة ، بطلائع الياسمين الابيض الذي ملأت به ذراعي ، حين كنت طفلا صغيرا .

لقدمرت في حياتي ايام رغيدة ، ولقد ضحكت ، مع اللاهين ، في ليالي الاعياد .

وفي الاصباح المربدة الممطرة ، جعلت انغم شتى الاغاني الوانية .

لقد احطت عنقي بطوق مسائي من زهر الباكولا ، مضفور بيد الحب .

لما تزل ذاكرتي معطرة بطلائع الياسمين الريان الذي ملأت به ذراعي حين كنت طفلا صغيرا .

الساعـة الثانية عشرة

اماه ، انني اتشوف الى ان ادع دروسي جانبا ، لقد عكفت على كتبي ، منذ متوع الصباح .

تقولين ان الساعة لا تتجاوز الثانية عشرة ، ولكن ، افترضي انه لا يوجد اي تأخر ، أفلا تستطيعين ان تتصوري ان العصر قد حل ، بينا تشير الساعة الى الثانية عشرة .

بميسوري ان اتخيل في يسر ان الشمس قد لامست طرف حقل الارز ، وان الصيادة العجوز تقطف الاعشاب ، لتعدها عشاء لها ، الى جانب البركة .

انني اقدر ان اغمض جفني لاتمثل الظلال ، تزداد قتامة ، تحت اشجار المادار ، ويتراءى ماء البركة اسود براقا ما دامت الساعة قد تشير في الليل الى الثانية عشرة فعلام لا يتسق لليل ان يحل حين تشير الساعة في الظهيرة الى الثانية عشرة ؟

حرفـة الكـاتب

تقولين ان ابي يؤلف شتيت الكتب بيد انني لا افقه شيئا مما يخط .

لقد انفق السهرة كلها ، وهو يقرا لك ، ترى أتدركين ، في الحق ، ما يعنيه ؟

اي حكايات طريفة تستطيعين انت ان تقصيها علينا يا امي ، وانني لاتساءل عجبا ، علام لا يكتب ابي مثلها ؟ ترى الم تقص عليه امه حكايات المردة والجن والاميرات ؟

تراه قد نسيها كلها ؟

وفي الغالب ، حين يتلكأ في الذهاب الى الحمام ، فان عليك ان تمضي وتناديه مائة مرة .

انك تنتظرينه وتجهدين في حفظ صحون الطعام ساخنة ، من اجله ، بينا هو لا يني يكتب ، ناسيا كل شيء

* من مجموعة طاغور الشعرية « الهلال » التي ستصدر قريبا ترجمة الدكتور بديع حقي.

ان ابي يلهو دوما بتاليف الكتب .

وحين يتفق لي ان اذهب لالهو في غرفته ، فانك تبادرين الى البحث عني وتدعينني بالطفل العابث .

وحين تتناهى مني اقل ضجة ، فانك تخاطبينني : الا ترى الى ابيك وهو يشتغل ؟

اي لذة يستمرئها في ان يكتب ويكتب ويكتب ؟

وحين امسك بقلمه او بريشته واخط في دفتره ، مثلما يفعل : ا ، ب ، ج، د ، ه ، و ، ز فعلام تسخطين علي يا امي ؟

انك لا تنبسين ببنت شفة حين يكتب ابي .

وحين يبدد ابي اكواما من الورق ، فلا يكرثك ذلك ابدا .

ولكن حين امسك بوريقة واحدة لاصنع منها قاربا فانك تقولين : يا لك من طفل مضايق !

ما رايك اذن بأبي الذي يخربش في صحائف وصحائف ويملأها بخطوط سوداء في كلا وجهيها ؟

الساعي الشرير

علام تقتعدين الارض، هادئة صامتة ؟ قولي لي ، يا امي الحبيبة .

ان المطر يهمي من النافذة المفتوحة ويبلل جسمك كله ، وانت غير آبهة لذلك .

الا تسمعين درداب الطبل يدوي اربع مرات ، لقد ازف اوان عودة اخي من المدرسة الى البيت .

ماذا دهاك ؟ لماذا تتراءين كئيبة ؟

الم تتلقي ، اليوم ، رسالة من ابي ؟

لقد رايت الساعي يحمل الرسائل في قمطره ليوزعها على معظم اهالي البلد

بيد انه يحتفظ برسائل ابي ، ليقرأها وحده ، انني لموقن بان الساعي رجل شرير .

ولكن ، لا تحزني لذلك ، يا امي الحبيبة .

ففي غد ، تقام سوق القرية المجاورة ، اطلبي الى الخادم ان تشتري لك اقلاما وورقا .

ساكتب انا رسائل ابي كلها ، ولن تجدي فيها خطا واحدا .

ساخط ، ابتداء من حرف الالف الى حرف الكاف .

ولكن علام تبتسمين يا امي ؟

الا تعتقدين ان في ميسوري ان اكتب مثل ابي ، كتابة جميلة ؟

غير انني ساسطر الورق بعناية ، ساخط الحروف كلها كبيرة رائعة .

وحين انتهي من كتابة رسالتي ، افتظنين انني سآخذ بمدرجة ابي المخبول فارمي بالرسالة في قمطر هذا الساعي البغيض ؟

ساحملها انا اليك ، دون انتظار ، ساعينك على قراءة خطي، حرفا فحرفا انني اعلم ان هذا الساعي لا يودان يحمل اليك الرسائل الرقيقة .

البطل

اماه ، لنتصور اننا ماضيان في الرحيل واننا نضرب في ارض عجيبة محفوفة بالمخاطر .

انت تسعين في حداجتك وانا على صهوة كميت يخب الى جانبك .

الشمس تجنح الى المغيب . انه المساء . وتمتد مفازة (جوارديغي) جهمة غبراء ، في منسرح نظرنا ، وتنفسح البيداء قفراء جرداء .

وتفكرين واجفة ، وتتساءلين : لا ادري انى وصلنا ، واقول لك : اماه ، لا تخافي .

المرج مكسو بالاعشاب الشائكة ، تعدو في بعض اطرافها درب ضيقة.

وفي المدى الوسيع ، لا يبين اي قطيع، فقد عادت القطعان الى حظائرها في القرى .

الحلكة تنتشر ، والظلمة تغزو الارض والسماء ، ونحن لا ندري انى ندلج .

وتنادينني ، فجاة ، وتسالينني بصوت خفيض : ما هذا النور الذي يشع قرب الشاطىء ؟

في تلك اللحظة يدوي زئير مخيف وتهرول اشباح نحونا .

وتتمسكين بحداجتك وترددين اسماء الله ، في دعائك .

ويفزع الحمالون ، الى اجمة شائكة وقد ارتعدت فرائصهم ، فرقا ورعبا.

واصرخ : لا تفزعي يا امي ، فانا هنا

وتتقدم المغيرون ، شيئا فشيئا وقد بدوا شعث الشعور ، واشرعوا في ايديهم العصي الطويلة .

واصرخ : احذروا ايها الاشرار ، ان خطوة واحدة تنتهي بكم الى الردى .

ويتعالى من جديد زئيرهم المخيف، ويتقدمون الى الامام .

وتشدين على يدي وتقولين : بحق السماء يا طفلي الحبيب ، ابتعد عنهم

واقول : سترين ما انا فاعل بهم .

واهمز جوادي واركضه في تقريب هائج ، وسيفي وترسي يقعقعان معا.

وتدور معركة رهيبة يا امي ، قد تبعث في اطرافك الرعدة ، لو يتسق لك ان تشاهديها من حداجتك .

ويلوذ اكثرهم بالفرار ، ويضحي بعضهم قطعا مزقا .

واعلم انك تفكرين وانت جالسة منفردة ، با نطفلك، قد لقي ، ولا بد، مصرعه ، اذ ذاك .

ولكنني اقدم اليك ، مخضبا بالدماء ، واقول لك : اماه لقد انتهت المعركة .

وتهبطين من حداجتك ثم تقبلينني وتضمينني الى صدرك وتتساءلين: ترى ماذا كنت افعل لو لم يرافقني طفلي !؟

تقع ، كل يوم ، الاف الحوادث العقيمة فعلام لا يتفق لمثل هذا الحادث ان يحظى بان يكون حقيقة واقعة ؟

لعله ان يشابه قصة في كتاب ، وقد يعلق عليه اخي : تراه ممكنا ؟ انني أتمثله جد طريف .

وقد يردد اهالي القرية جميعا : افليس من الحظ ، ان يكون هذا الطفل الى جانب امه ؟

الطفل الملاك

انهم يصيحون ويقاتلون ، يحك في صدورهم الشك والياس ، انهم لا يعرفون نهاية لمنازعاتهم

دع حياتك يا طفلي ، تتالق بينهم كشعلة من ضياء سني نقي ، دعهم يفزعوا ، مبهورين، الى الصمت .

انهم قساة في جشعهم وحسدهم، ان كلماتهم كمدى خبيثة ظمأى الى الدم

اذهب الى هذه القلوب المعذبة ، وقف بينها ، واحدر اليها نظرتك الرقيقة ، كالسلام الرحيم المتطامن من المساء الى كفاح النهار

دعهم ينظروا الى وجهك يا طفلي ، ليتأتى لهم فهم معنى الاشياء كلها ، دعهم يحبوك ، ليحب بعضهم بعضا .

تعال ، واجلس في قلب اللانهاية يا طفلي ، وحين ينشق الفجر ، افتح قلبك وارفعه كزهرة منورة ، واحن راسك حين تغرب الشمس ، وتم ، في صمت ، عبادة النهار .

[التتمة في صفحة ٥٩]

استانبول — بديع حقي

هـروب

هربت ...
كنت خائفة ...
خائفة من قلبي
ومـن حبـي
ومن الظلام ...
من بريق نظـرة
من حسٍ يموت كزفرة
في الظلام ...
من الاحلام ...
والاوهام ...
المتلاشية في الظـلام
والسكون ...

✶

هربت ...
من غرفة تملأها الالحان
وفي الهواء ...
وعلى الجدران
تبعثرت اوراق وردة
اوراق تشربت وجدا
وهذيان لحظة
واحلام يقظة
وجنون ...

✶

هربت ...
من امل سعادة
من نار تحرق الارادة
ومن لظى عيون ...

✶

لانني كنت خائفة
خائفـة ...
من هذيان نشوة
فقلبـي ...
يدميه الشرود
وعيوني ...
تعبد الورود ...

✶

هربت ... راجفـة
نحو ظلامي ...
والسكون ...

دمشـق كوليت سهيـل

منازع العلم الحديث : الحياة

بقلم الدكتور هـ. ج. مولر

الحائز على جائزة نوبل في الطب والفيزياء

ترجمة يوسف اسعد داغر

o
o o

اذا ما نظر العاقل منا الى القبة(1) الزرقاء في ليلة سطعت بأزواهر من النجوم المتالقة ، بدا لـه هذا العديد المتناثر منها في الفضاء كحبات الندى النظيم ، كأنما هي وشي لاعماله ومآتي لرفاقه من بني الانسان . ومن جهة ثانية ، فاذا ما عكسنا الموقف وتطلعنا الى الارض من عالم النجوم ، بدا لنا الانسان وكل حي يدب على وجه هذه الغبراء اشبه ما يكون بهرجا من الطلاء فوق اديم كرة صغيرة هامدة . وهب مع ذلك ، اننا حسبنا حسابا لصغرنا المتناهي واقمنا بعض الوزن لانانية رغائبنا المعقدة ولاهتمامنا بهذا الطلاء ، بقينا وجها لوجه امام هذا السؤال الذي يرتسم على شفاهنا : ما الذي يا ترى يجعل لهذا الصدأ ، في نظرنا ، مثل هذه البهجة ؟

والجواب على هذا السؤال تعطيه البشرية نفسها ، والجنس الانساني بعد ان تدرج في القمط : هو الحياة . وحقيقة الحياة الروح . وهذه الروح التي حلت في الهيولى التي نصفها بالحية تترك فيها اثرا بارزا لارادتها وتمدها باشكال عجاب وتطبعها بنشاطات غائية معينة . وقد تتبدى فكرة الروح احيانا على اوضاع صارخة لما فيها من ادعاء صادم فيصفونها بالعنصر المكمل ، وعامل الحياة ، والقوة المحيية او النفس . وكل هـذه الالفاظ ، والاوضاع والمصطلحات ، تفترض كائنا ، شاعرا او نصف واع يسعى جهده لفرض سيطرته على المادة والتحكم بها .

وهذه النظرة الساذجة كثيرا ما كانت على الدوام مدعاة للتساؤل وباعثا على الجدل والنقاش . فباختراع الآلة مثلا ، وجد ان المادة العديمة الحس والحياة تماما ، يمكن افراغها في قوالب واشكال غاية في التعقيد تستطيع ان تقوم بنشاطات ملحوظة بعضها قريب الشبه بنشاط الاحياء . والى هذا ، فقد وجد في بعض حالات الطبيعة ، ان المواد العديمة الحس والحياة بلغت ، في بعض الاحيان منتهى درجات التعقيد والتركيب ، بحيث تستطيع ، وهي عديمة الحس والحياة ، ان تقوم في بعض الحالات ، برد فعل غريب عجيب يقرب او يحاكي ، ما يقع في نطاق ظاهرات الحياة المفروضة .

وهذه الريب والشكوك تكتنف وتلابس نظرية الحياة التي يرد اليها المفسرون مظاهر النشاط في الكائنات ،مكنت لها الدروس والابحاث التي تناولت المادة الحية نفسها . فكل النشاطات الصادرة عن المادة الحية تتلاءم شديد التلاؤم وقانون حفظ الطاقة وهذا يعني ان ما من طاقة تستخدم في هذه النشاطات التي تأتيها الكائنات ، الا ما جاءها من مصادر فيزكيماوية يمكن قياسها ، كما ان هـذه النشاطات او العمليات التي تقوم بها هـذه الكائنات ، لا تستنفد فيها اية طاقة . فذراتها تشبه تماما الذرات التي نجدها في اي كائن آخر ، وهي ذرات تتجمع وتتآلف في دقائق وجزيئات وفقا للقوانين نفسها . وهذه الدقائق يمكن بناؤها علميا في كثير من الحالات حتى ان التأثرات التي تتجاوب لها الكائنات الحية يمكن اصطناعها ، هي نفسها ، علميا في انبوبة او انبيق الاختبار .

كذلك ، ان بعض الافعال المهمة ، كحركات الكروموسوم مثلا ، التي لم يتمكن العلم بعد من وجود الراموز Formula الفيزكيماوي الكفء لها ، قد تم الكشف عنها مع القوانين النظيمة التي يخضع لها تصرفها ، فأدى ذلك الى توضيح

---

(1) هرمان جوزف مولر ١٨٩٠ ـ عالم اميركي معاصر واختصاصي كبير في علمي المواليد والاحياء ، ومن حاملي جائزة نوبل في الطب والفيسيولوجيا لاكتشافه مبدأ النشوء المنتقل والتطور الاصطناعي بواسطة الاشعة السينية ، فاستطاع بذلك لاول مرة في تاريخ العلم ان يفتعل او ان يحدث الطفرة في المورث Gene

ولد في مدينة نيويورك ، عام ١٨٩٠ ، حيث جاء جده من المانيا واسس فيها اول مصنع لصب الفولاذ في اميركا ، تولى فيما بعد ابنه ادارته . تخرج من جامعة كولمبيا ، عام ١٩١٠ ، ونال عام ١٩١٦ الدكتوراه في علم الحيوان . نشر عام ١٩٢٧ ، بحثا حول : « تأثير الاشعة السينية على المورثات والكروموسومات». انتخب عام ١٩٣١ عضوا في الاكاديمية الوطنية الاميركية للعلوم . وفي السنة التالية نال منحة دراسية اتاحت له الذهاب الى برلين والتخصص فيها ، لسنة واحدة ، في الدماغ ،وذلك في معهد القيصر غليوم . رأس عام ١٩٣٤ ، الجمعية الاميركية لعلماء الطبيعة ، كما رأس، عام ١٩٤٧ ، الجمعية الاميركية لعلم المواليد وتولى عام ١٩٤٨ رئاسة المؤتمر الدولي الثامن لعلماء المواليد. له كثير من الكتب والمباحث العلمية ، وشارك في تأليف الكتب التالية : « نظام الوراثة في مذهب مندل » (١٩٥١) و « علم المواليد والطب والانسان » (١٩٤٧) . من مؤلفاته الخاصة « خارج الليل » (١٩٣٥) ضمنه نظرة عالم بيولوجي في مستقبل الانسان .

كثير من الاسرار الغامضة القديمة التي تطبع هذه الاعمال في الطريقة التي تتم معها .

وهذه الابحاث والتحقيقات العلمية التي تجري حول الكائنات الحية ادت في الوقت ذاته ، الى الكشف عن تعقيدات فيها مربكة ومحيرة اكثر فاكثر ، فتنقلها بعيدا عن طبقة الكائنات العديمة الحياة وعن الآلات والاجهزة التي هي من صنع الانسان . فاذا ما نظرنا في جسم الكائن الحي وحاولنا بالتالي تكبير المقومات التي يتألف منها ، لالفينا في كل طبقة جديدة من الطبقات العديدة المكبرة ، حالة من التعقيد ادهى من الاولى واوقع في النفس لما تثيره من دهش . واول ما يبدو لنا ، بالعين المجردة ، ان في اعضاء الجسم الحي ، ثم في انسجته وفي خلاياه ، ثم في الاجزاء التي تتألف منها الخلية ، وفي مقطعات كل جزء من هذه الاجزاء حتى نصل اخيرا الى الجزيئات التي يتألف بعضها من مئات الوف الذرات ، تتناسق وتنسجم بانتظام مدهش لتؤلف فئات من نوع خاص تتفرع بدورها الى فئات اصغر وادق بدرجات متفاوتة . وهذه الدقائق عينها ، توجد في ابسط ما كشف عنه العلم من طوائف الميكروبات .

وهذا التعقيد المحير ، حتى في ما يتميز به من سمات غامضة نبدو حيالها مشدوهين ، يشجع ليس على الاخذ بالمذهب الاحيائي Witalism بل بما يوحي به العقل السليم الذي يرى في هذا التنظيم نفسه وفي دهائه المدهش خصائص الحياة وطاقاتها . فلو كانت النفس المصدر الذي تنبع منه امكانيات الكائنات الحية وطاقاتها المميزة ، لاصبح هذا التعقد الذي لمسناه في اجهزة الكائن الحي ودقائق تركيبها ومقوماتها ، والحالة هذه ، امرا غير ذي موضوع ولا فائدة منه على الاطلاق . وهذا الاستدلال يزداد رسوخا اكثر فاكثر ، كل يوم ، كلما شعرنا بان تصرف الكائنات الحية والاعمال التي تأتيها ، انما هي من هذه الاعمال التي تقوم بها مقومات هذا المركب المعقد . والى هنا ، فالكائن الحي ، اذا ما نظرنا اليه ككل ، تكشف لنا بوضوح ، يوما بعد يوم ، انه يؤلف مجموعه جهازا كبيرا متشابكا ، اعماله تنسجم بعضها مع بعض وتتناسق بحيث انها تهدف ، مجتمعة ، الى نتيجة واحدة اخيرة ، هي امتداد لنوع معين واستمراره الى ما لا حد له .

فاذا ما اعتبرنا هذا كله امرا مفروغا منه وسلمنا به ، زادت القضية ، مع ذلك حرجا وتعقيدا ، فنتساءل كيف تم يا ترى ، لهذه الكائنات الدقيقة التركيب ، التي تتألف منفردة ومجتمعة ، على شكل تستطيع معه ان تأتي مثل هذه الاعمال العجيبة ، المثيرة للدهش ان توجد وتبرز للوجود . ان الطريقة التي برزت فيها هذه الكائنات للوجود، تفرض ، ولا شك ، لاول وهلة ، شيئا من التبصر المدبر الواعي . وقد ظن بعضهم ، بدء ذي بدء ، ان هذه الانواع من المخلوقات الحية ، كما تبدو اليوم ، قد جرى تصميمها وابتداعها الواحد منها بمعزل عن الاخر . الا ان القرن التاسع عشر جاء بالدليل القاطع على ان هذه الاجناس والانواع الحية ، درجت معا تباعا ، من بعض الانواع البرمائية كانت اصلا او ابا لها جميعا . وقد راحت بعض المذاهب الفلسفية ، اذ ذاك تفرض ان آباء هذه الاجناس الحية المختلفة ركزت فيها تصاميم معينة حدودها ، حملتها بالتالي على التطور تباعا الى ان آلت الى ما نراها عليه الان . وقد ظهر في ما بعد راي اخر ، احياه من جديد القائلون بالمذهب المشوريني اعترف للكائنات الحية بقابلية عامة على التكييف الذاتي والتطور وفقا لما انطبعت عليه من تهيوء واستعداد للتكيف . وهكذا اخذت هذه الكائنات تتطور وتتحول صعدا ، وفقا لما خضعت له من عوامل التحول والنشوء والارتقاء ، بحيث ركزت ، نوعا ما ، في خلاياها التناسلية ، القدرة على التنويع في ما استطال بها من تغير وتحول . وهذه القدرة على الاصطفاء والانتقاء ، وعلى تحديد نوع التحول الذي يؤتي عمله بصورة نافعة مفيدة ، دون سابق تجربة او مراس ، انما يستلزم التسليم به تباعا ، بشيء من التبصر المدبر السابق ، وهو ما يابى الاعتراف به بعض اصحاب هذا القول . ففي هذا الاحتمال يتم التصميم على دفعات ، وشيئا بعد شيء ، بدلا من ان يجري دفعة واحدة ، كما يتم الامر عادة .

ولعل الخدمة الجلى التي اداها هنا كل من دارون(٢) ووالاس(٣) هي انها جاءا بالدليل القاطع على ان هذا التكيف المتشابك المتداخل ، كان لا بد له ان يحصل ويتم ، دونما افتراض اي تصميم او تبصر سابق اريد له . ولما كان اعضاء اية طائفة من طوائف الكائنات الحية عرضة في تطورها ، لعدد من التحولات والتغييرات التي تميل ذراريها في ان تكون هي الاخرى عرضة لها ، ولا سيما لهذه التغييرات التي تنمي في الحي النزعة الى البقاء والتناسل ، فاننا نرى هذه الاعضاء تتوفر اكثر من غيرها على الظهور في الاجيال او الذراري التالية . وهكذا تتجمع هذه الذراري ، تدريجيا ، في ذاتها ، اكثر المميزات التي تمكن من طلوع جنس « تكيف » ، اي ، جنس اكفأ والبق على البقاء والنمو ، حتى ولو لم تظهر عليه نزعة للتحولات المجدية اكثر منها للتحولات الضارة المؤذية .

وتأييدا لهذا المبدأ ، فقد ادت الابحاث التي جرت اخيرا في علم المواليد ، اي في علمي الوراثة والنشوء ، الى ان السواد الاعظم من التغييرات التي ظهرت من عهد قريب ، من النوع التي يمكن توريثه ، هي بالحقيقة مؤذية ضارة ، كما يجب ان يكون عليه هذا النوع من التغييرات غير المصممة ، التي تحدث في جهاز معقد ، من اي نوع كان . والى هذا ، فاذا ما تغيرت الظروف الخارجية ، فالتحولات القليلة التي ثبت نفعها ، تاتي منسجمة مع هذه التغييرات الخارجية او لا تظهر بكثرة اكبر مما كانت تظهر به في السابق . ومع

---

(٢) دارون ١٨٠٩ — ١٨٨٢ لعله اعظم واشهر العلماء الطبيعيين الذين انجبهم القرن التاسع عشر ، هو صاحب نظرية النشوء والارتقاء . انكليزي الاصل والمولد نشيء تنشئة دينية في جامعتي ادنبره وكمبريدج لازم مدة العالم الجيولوجي آدم سدجوين ، والعالم النباتي جون هنسلك ، فهام بالعلم وطلبه في رحلات مديدة ، بعيدة ، عديدة ، زار خلالها شطآن اميركا الجنوبية والجزر الجنوبية واستراليا ، وجمع خلالها معلومات وافرة حول ممالك الحيوان والنبات ، والجيولوجيا في ما تبدت له مظاهرها في البلدان التي زارها . وادى نظره في هذا كله الى القول بنظرية النشوء والارتقاء . من مؤلفاته المشهورة : « اصل الانواع » (١٨٩٥) — « تحولات الحيوان والنبات تحت عوامل التدجين » — « اصل الانسان » . دفن في كنيسة وستمنستر في انكلترا اعترافا بخدماته العظمى في حقل العلم .

ذلك ، فهي لا بد ان تنجح بالاكثر ، اي ان اصطفاءها يتم بصورة طبيعية فيما بعد ، وفقا للتجارب التي تخضع لها الاحياء اليوم .

والعامل الاولي في المسرحية الكبرى التي يمثلها النشوء والتطور عن طريق الاصطفاء الطبيعي يقوم بهذا الدور الذي لعبه « المورث » (٤) والمورث هو جزيء استدق حجمه ، ولطف وزنه وقدره ، بحيث لا يمكن رؤيته تحت ادهى المكبرات ، مع انه عملاق في عرف المقاييس غير العضوية .

وقد جاء العلم الحديث بالدليل الواضح والبرهان القاطع على ان المورث ، تتألف نواته الاصلية على الاقل ،من وحدات عديدة فرعية لها طابعها المفرد ، تكونت مادتها من الحامض النووي تؤلف معا وحدة كيماوية على نسق معين يعرف بتشابه التركيب Polymer ولا يتم العمل الوظائفي لكل شكل من هذه الاشكال الا بالتعاون الوثيق مع الشكل الاخر الشبيه به كونت مادته الاصلية من البروتين . وقد ركز في كل جزيء من هذه الجزيئات التي يتألف منها المورث ، قدرة خاصة ، فيها من امكانية الصوق والانضمام ما يساعده ، كليا ، على التقاط الدقائق السابحة في مداه الحيوي المجاور ، وهي دقائق تشبه الى حد بعيد ، المادة المقومة التي يتألف منها العامل الوراثي المعروف بالمورث ، فتمتصها وتتفاعل بها بحيث تصبح نظيرة لها ، فتتناسق وفقا لتركيبها وتجعلها بالتالي مؤتلفة معها ، كما تأتلف بالذات مع اجزائها المقومة ، بحيث يؤلف مجموعها مورثا جديدا يحاكي تماما ، اصلا وفصلا ، المورث الاخر . وهكذا يضاعف المورث نفسه . وعندما تنفلق حجيرة ما الى حجيرتين ابنتين ، ينضم المورثان المتكونان الناجمان عن عملية انفلاق الحجيرة هذه ، الى الحجيرتين ويطبعانها بذات الصفات الخلقية التي انطبعت بها الاولى وتفردت بها ، فتصبح مورثات الخليات او الحجيرات من نوع واحد وتركيب واحد .

هنالك في حجيرة واحدة الوف مؤلفة من المورثات المتباينة ، ولكل من هذه المورثات طابعه الداخلي المفرد الخاص ، كما له بالتالي ، نوع من التفاعل الكيماوي خاص به ايضا . وهذه المورثات تؤلف قسما ضئيلا من جسم الحجيرة ، ومع ذلك فهي تتحكم ، عن طريق تفاعلاتها الكيماوية المتباينة بتركيب العناصر الاخرى التي تدخل في قوام الحجيرة . ومن هنا كان لا بد للمورثات الموجودة في خلية تناسلية ان تحدد نوع الجنس الذي تتطور اليه. وهكذا نرى الدور الفصل الذي يلعبه المورث في عملية الوراثة وشأنه البالغ في اسس النواميس التي تنهض عليها

وقد يتعرض المورث في بعض الحالات النادرة جدا ، من جراء اصطدامه بجسم غريب في منتهى الدقة واللطافة هو الاخر ، الى هزة او خضة تضفي على نظائر المورثات الآخذة في التكوين نسقا جديدا ذا تفاعل كيماوي غير الذي كان عليه المورث من قبل . وهذا الحادث الغريب هو بالذات ما ندعوه بالتغاير الفجائي او الطفرة Mutation وهذا المورث الطافر ينزع خلال تكوينه ، لنقل او تقليد او محاكاة طابعه المميز بدقة واصالة ، اسوة بالمورث الاصيل الذي نقل هو ايضا طابعه المفرد . وهكذا ، فاذا ما وقعت طفرة ما في حجيرة تناسلية ما ، فقد يصبح واضحا ان هذا التحول سينتقل بالوراثة الى سلسلة من الاجيال المتعاقبة فتتناقلها وارثا عن وارث . وعلى هذه الكيفية ، فالتغيرات التي تصيب المورث هي الاساس الذي تقوم عليه عملية الاصطفاء الطبيعي . ان السبب الذي لاجله يترك للمورث وحده القيام بهذا الدور ، فهو ان المورثات لها وحدها الخاصة اللازمة لتامين نظائر هي طبق الاصل عن ذاتها ، فتولى بنية الجزيء الابن الطالع الصفات نفسها والسمات عينها التي ميزت المورث الاصيل منها والحديث.

ان المادة التي تتألف منها اصلا بنية الحجيرة والتي يعبرون عنها ب « البروتوبلازما » او المادة الحية ، هي لعمري امثل واكفا خليط من عدة مقومات وصل اليه العلم. فقد اتضح ان تكوين عدد كبير من هذه المركبات المقومة ، هو عيال على فئات خاصة من المورثات . والعكس لايصح قط اذ انه باستطاعة المورث الطافر ان يكون نفسه عندما تصله البروتوبلازما القديمة ، حتى في حجيرة لم يسبق للمورث ان وجد فيها من قبل . وعلى هذا الاساس وغير ذلك من الاعتبارات الاخرى ، امكننا ان نستنتج بان في بدء كل حياة ، يظهر المورث اول ما يظهر ، وان المادة الحية او البروتوبلازما تحدث بعد ذلك بصورة تدريجية ، في سلسلة من الاحداث متصلة الحلقات تأتي نتيجة لتفاعلات كيماوية يتفاعل بها عدد من المورثات المتكتلة معا ، تغيرت وتحولت على شكل ادى تباعا الى هذه المواليد . وهكذا تبرز البروتوبلازما مادة لاحقة تابعة تحصل من تفاعل المورثات . والبروتوبلازما مدينة بتكوينها او بروزها لهذه المورثات الطافرة التي هيأ لها الاصطفاء الطبيعي ، فهيأ بذلك العناصر الكيماوية كبعض الخمائر والانزيمات مثلا ، التي تفيد في استحياء هذه المورثات نفسها ودوامها وتكاثرها

وهكذا امكن لنا ان نستنتج بان ذات الحياة وحقيقتها ليست قط في البروتوبلازما او في الوظائف التي تقوم بها ، كعملية الايض او الميتابولزم مثلا كما راح بعضهم يؤكد ذلك ، بل ان الحياة هي نتيجة لتفاعل بيولوجي كيماوي في تطور دائم . ان جوهر الحياة يقوم اصلا في القدرة على تحقيق مثل هذا التطور ، وهي قدرة تكمن اصلا في المورث بما فيه من خصائص وطاقات الى تضعيف تغيراته وتحولاته . والذي يبدو لنا في الوقت الحاضر ان البروتوبلازما على درجة عالية من التأليف المتداخل والتعقيد حتى في ما بدا منها في هذه الحجيرات البدائية فبلغ ابعد

---

(٣) الفرد هل والاس (١٨٢٣-١٩١٣) من مشاهير علماء الطبيعة في انكلترا . درس المساحة والهندسة ثم مال الى التاريخ الطبيعي فانقطع له وانصرف اليه بكليته . قام برحلات علمية الى الامازون وجزر الملايو ، وقال بنظرية الاصطفاء الطبيعي او نظرية بقاء الاصلح (١٨٥٨) . تتبع امر التوزيع الجغرافي للحيوان ، ولم يأخذ بالنظرية القائلة ان النفس البشرية جاءت نتيجة للتطور الطبيعي . من مؤلفاته : « العجائب وعلم الارواح الحديث » - « الداروينية » (١٨٨٩) - « القرن النجيب » (١٨٩٨) ، « مكان الانسان من العالم » (١٩٠٣) .

(٤) هو العامل الوراثي المعبر عنه باللغة الاعجمية : gene وقد استعمله بعض كتاب العصر بلفظه الفرنجي : جين ، وجموعه على: جينات.

حد ، بحيث يحق لنا ان نرى في هذا البون العظيم من التعقيد العالي الدرجة الذي نراه بين المورث في ابسط ادوار تطوره وبين حجيرة واحدة كالبكتيريا مثلا هو على الاقل كالفرق الذي نراه بين البكتيريا الواحدة وأعلى الكائنات الحية المتعددة الخلايات .

ليس من المستبعد قط ان يكون المورث نفسه طلع الى الظهور في القرون السحيقة الضائعة في الحقب الهلكية المتعاقبة في ليل الزمن البهيم ، بعد ان تكون شروط الحياة ومقتضياتها على قشرة الارض الاولى حلمت ولطفت بعض الشيء ، بحيث ان التقاء عارضا لبعض المواد مصحوبا بامتصاص الاشعة المحركة خلال حقبة من الزمن استمرت ملايين السنين التيمرت على الارض في تدرجها المطرد الصاعد ، فاتاحت للمركبات العضوية المعقدة ، وبينها ما يتوفر اليوم في الخلايا ، ان تتخثر وتتجمع بشكل فظيع (٥) . واذا اتفق وكانت المورثات بين هذه الربوات من عينيات الدقائق التي طلع بها التطور والنشوء كما لا بد له ان يكون اطلع العناصر المقومة الاخرى التي يتخذ منها المورث مادة لتضاعفه او تكاثره . والى هذا ، لا بد ان يكون طلع عدد عديد من المركبات والمقومات العضوية الاخرى التي كان باستطاعة التحولات التي طرات على المورثات ان تتخذ منها مادة اضافية في ما هي آخذة به من تطور .

ولما كانت الاعمال التي تقوم بها هذه الكتلات الجينية قد اصبحت اكثر تعقدا ، بعد ان اشتد ساعدها بفضل هذه المواد الاضافية التي أمدها بها التطور ، فقد نجم عن ذلك بالتالي ، تطور الاساليب المتبعة لتحويل هذه المواد الى مواد عضوية حية ، في عملية يقتضي لاتمامها مراحل مديدة من التحول والتطور ، وفي الحين ذاته اوجد التطور وسائل اشد فعالية ، واكثر دهاء لتأمين ما يلزم من قوة وطاقة وتخزينها وامكان استغلالها . وهكذا توفر في نهاية الشوط لبعض الكائنات الحية ، كالنباتات مثلا ، ان تحيا وتعيش على بعض المواد اللاعضوية ، وان تستمد طاقتها بالتالي ، من مصدرها الاول الا وهو نور الشمس . وقد اكتسبت بعض الكائنات اجهزة جديدة مكنتها من استخدام بعض المواد العضوية او غير العضوية المهيأة ، والانتفاع بها في تطورها ، وتمثلها او لاتخاذها طاقة الى ان توفر اخيرا في العالم شبكة من الكائنات الحية الدابة على الارض ، متصلة الحلقات ، مترابطة ، متباينة في تنوعها كيماويا . وهذه الشبكة ابقت المواد الحية التي تحويها في حركة مستمرة الدوران ، كما ابقت في حركة متصلة ايضا ، الطاقة المختزنة الى ان تتوزع وتنتشر ، بدلا من ان تدع هذه المواد الحية تتجمع تتخثر بشكل مواد تالفة ، لا تصلح للاستعمال ، كما كان شأن البعض منها في غابر الازمان . وهكذا ، وبعد ان تم للحياة ما تم لها من اسباب الوفر والرفه ، استطاعت ان تعطي اكثر فاكثر ، فتزداد الانواع فيها تباينا وتأخذ الامور فيها بتطور اسرع وابدع .

ومن الاسباب التي زادت حركة التطور في الطبيعة ، احتداما واوارا اكثر مما كانت عليه في الدور الذي سبق ظهور البكتيريا ، ظهور التناسل او التوالد الجنسي بمعناه الواسع ، اي بانضمام مجموعتين من المورثات من مصادر مختلفة ، ولكي تأتي هذه العملية كل مفعولها البيولوجي ، اقتضت حدوث سلسلة من الافعال تفضي الى انشطار او انقسام الخلايا Meiosis بحيث ان بعض المورثات في كل من النوعين المتلاقين يعاد تركيبهما بانسجام من جديد ، بشكل يفضي الى نشأة طاقم جديد من جميع وجوهه . وبتكرار هذه العملية ذاتها ، جيلا بعد جيل ، طلع منها جنس او نوع جديد من المورثات ، تراكبت معه وتداخلت وتعاقدت بما لا يحصى ولا يعد من المرات ، في تمورها المتتابع عبر الاحقاب الهلكية ، بحيث لم يبق من هذه الاشكال ولم يستحي منها غير الكفء او الاصلح بينها للحياة . وهكذا تأمن ، اكثر فاكثر ، توافر او ظهور الفضليات الصالحات الباقياتمن هذه المورثات الطافرة ، اكثر من ظهور الكائنات الحية التي كانت تتوالد بصورة غير تناسلية ضمن خطوط متعزلة بعضها عن بعض . ومما لا شك فيه قط ، ان التوالد التناسلي تغلب في نهاية الامر واستبد ، اذ ان الخصائص التي كانت تتوفر في هذه الاجناس ، كانت تزداد قوة على ممر التطور . وكان من أثر هذا التكاثر التناسلي الوظائفي ان ازداد بالتالي المورث طاقة على التطور .

وهنالك الى هذا ، ظاهرة اخرى ، تقوم اهميتها في انها ساعدت على الحركة التطورية وقوت من اسبابها ، وبعبارة ادق ، ادت الى الحؤول دون اعاقة التطور وحدوث صيرورته ، الا وهو طروء الموت الطبيعي على جسم الكائن الحي . صحيح ان هذا الحادث برزت اصدق مظاهره ، في الدور الاخير من الادوار العديدة ، التي مر بها التطور ، هذا الدور الذي اصبحت فيه الاجسام الحية ، متعددة الخلايا ، والتي اصبحت خلاياها التناسلية تتميز ، نعلا ووظيفة ، عن الخلايا الاخرى في الجسم . فالموت الطبيعي ليس من هذه العوامل الكامنة في مادة البروتوبلازما . الا انالاصطفاء الطبيعي المركز في كل نوع من انواع الاحياء ، قد ساعده في ما ساعد عملية على ابراز بعض الصفات المفردة في الحي ، على تحديد المدى الافضل للحياة فيها ، وفقا لظروف عيشه وحياته . وبعبارة اخرى ، ان الموت الطبيعي هو من حسنات الحياة وخير الانسان الاكبر ، اذ انه يتيح فرصا اكبر وظروفا اوسع ، امام المورثات في الجيلالقائم ليختبر خصائصه المكتسبة وما لها من صلابة وقوة . وهذا انما يعني ، بالدرجة الاولى ، انه بتمهيد الطريق امام انواع جديدة من المواليد اطلعها التطور ، يحول دون اعاقة عملية النشوء او تأخرها ، في الاجناس والمواليد من قبلالقديمة منها . ثم ان الموت يساعد بالتالي على القضاء على مواطن الضعف التي تبدو على الاحياء العليا في حال طعنها في العمر ، وذلك نتيجة لما تركت فيها العاهات والاسقام من اسباب الموت والفناء . ولذا اصبح الموت نافعا منالوجهتين ، اذ انه يحمل معه اسبابالضعف هذه ، بعد ان كان المسؤول عنها والباعث اليها .

---

(٥) تبسط الكاتب بهذه النظرية ، في مقال له نشرته مجلة سينتفيك منثلي في مجلدها ٢٩ (١٩٢٩) ص ٤٨١ – ٥٠٥ – كما تبسط في الموضوع واستطرد فيه بعيدا في كتابه : « خارج ظلمة الليل المستقبل في نظر عالم بيولوجي » الذي نشرته دار فنفرد للنشر في نيويورك عام ١٩٣٥

وقبل ان تصل هذه الكائنات الحية في نشوئها الصاعد الى الدور الذي بلغ فيه تركيبها القائم تعدد الخلايا في تطورها الجرثومي المعقد ، مارة تباعا بالطفولة فالمراهقة، فالكهولة ، فالشيخوخة ، فالهرم ، فالفناء ، فقد مرت بسلسلة متعاقبة من اطوار التحول المختلفة ، يؤلف كل منها حلقات تطور كاملة . كذلك ظهر عليها ، في غضون هذه الادوار التطورية المتتابعة ، عدد من الاجهزة المساعدة على الحركة والمنظمة لها تستطيع معها ان تكيف نفسها في ما تستقر عليه من اشكال وهيآت مميزة ، وفقا لمقتضيات البيئة ، وظروف المحيط والمجتمع القائمة فيه . وبعض هذه الاجهزة الطافرة ، ساعدت على تركيز قوام الحي داخليا ليناسب بين مقتضياته والمؤثرات الخارجية المتفاعل معها ، كما ان بعضها الاخر هيأتها لاتيان حركات وافعال مكنتها من مقاومة المؤثرات الضارة التي تتفاعل معها ، او لتستفيد مما في هذه العوامل الخارجية من مؤاتاةوجدوى لها . وبين هذه الاجهزة التي طلعت ، أبان اطوار النشوء هذه فاضفت على الاجسام الحية خصائص وقابلياتمعينة من الاحاسيس كالتهيجيةوالامتداديةاو التمدد، والانكماشية او التقلص ، وهي صفات انسجمت مع بعضها البعض واتسعتبحيث تتيح لها القيامبحركات تتفق وهذهالقابليات

وهذه الحركات او الافعال التكيفية تقوم بها الاجسام الحية رسمتها اعضاء او بنيات تكونت على شكل خاص ساعدت المورثات على اطلاعها ، ظهرت تباعا على ممر حقب النشوء والتطور ، تقوت واشتدت في كفاحها للبقاء كلما سنحت ظروف وصروف مساعدة معينة على العيش ومهيئة لاسبابه تكررت تباعا . وهذه الحركات الخاصة ليست مع ذلك تعبيرا او مظهرا ما لاية قابلية تكيفية عامة ، كما انها لا تتحكم من جهة ثانية بمجرى التحول والتطور الصائر في ذات المورث . وهكذا عندما يذهب سابقو دارون الى القول بالنشوء ، واتباعهم من الميشوريين ، فمثلهم مثل من يضع المحراث امام الفدان ، اذ راحوا يزعمون ان الاجسام الحية، بفضل طبيعتها الكامنة ، تحاول جاهدة لتكييف ذاتها وفقا للظروف الجديدة الطارئة ، وان النشوء انما قام بفضل ما اذخرت هذه الكائنات ، ابا عن جد او عن طريق الوراثة ، من طاقة متجمعة على التكييف ، اقتضتها لها سنة التطور.

وفي بعض سلالات من الكائنات الاحادية الخلية التي تتمثل على احسن وجه كما يرجحون ، في النبات ، ان التكييفات التي طرات على النباتات المهياة للحركة ، مكنت الكائن الحي ان يزيد من قوامه وذلك بما تطور اليه من قدرة على القبض والتمثل في بعض استطالات مادية عضوية مركبة ، وبالتالي لبعض كائنات اخرى . وقد ظنت هذه الكائنات انه من مصلحتها ومنفعتها على السواء ، ان تعتمد في نشاطها الحيوي بالاكثر على طريقة القنص والافتراس يقابل ذلك فقدانها تدريجيا لما عرف فيها من طاقة تاليفية ، وتقوية مقدراتها الحركية بدلا عن ذلك . وهكذا ظهر الحيوان لاول مرة على الارض .

وبعد هذا سار كل من الحيوان والنبات في اتجاهه النوعي الخاص به . ومع ذلك فقد قام بين المملكتين او الجنسين المذكورين ، في مختلف اطوار تطورهما المتتالية كثير من وجوه الشبه والمحاكاة والتنظير . فقد حقق كل جانب منهما تكملا في حجمه يتفق ومصلحته ونفعه كما يتلاءم والطريقة التي ينحاها في الحياة ، وهي زيادة تبدت بادماج او ادخال عدد من الخلايا ، دفعة واحدة ، في ذات كائن حي اكبر ، الامر الذي ادى بدوره الى نمو وظهور تخصص فعال اكبر في العمل الوظائفي لاجزائه وبعض اطرافه . ومع ذلك ، وبالنظر الى ان المواد الغذائية التي يحتاج اليها النبات يمكن ان تتوفر له بمجرد بقائه قابعا او مستكنا حيث هو ، فقد حتم هذا الوضع على النبات ان يأخذ في تطوره قواما مشجرا لا يأتي فيه الا ما هان من حركة خفيفة نسبيا تجهز ، في ما يتصل بالنباتات البرية ، اقله ، بجذع يعرق عموديا في الارض والتربة ، سعيا منه وراء حاجته من عنصر الحديد والماء ، وباوراق تظهر في الاقسام العلوية ، يستعين بها على امتصاص نور الشمس وحرارتها وغاز الكربون ، يربط بين العلوي والسفلي من اطرافه جهاز مرور او قناة عبور تصل فيما بينها . الا انه لم يكن بد من حركات وسكنات تنتقل معها خلايا الذكر المنجبة الى بويضات الانثى لتأمين توزيع مواد التلقيح بما يؤمن بقاء الجنس ، وهي اعمال وحركات كانت تجري بصورة سلبية على الغالب بواسطة كائنات تنتفع في هذا السبيل بحركات الماء والهواء والحيوان .

هذا من جهة النبات . اما من جهة الحيوان ، فقد كان لطبيعة المواد الغذائية التي يحتاج اليها ، ان مكنت فيه ظهور وسائل واجهزة تسهل له من جهة التقام هذه المواد الغذائية ، كما تجنبه ، من جهة ثانية ، خطر الوقوع بدوره في قبضة غيره من نظائرة من الحيوانات القانصة او المفترسة . صحيح ان بعض المواد الغذائية الطافية على اديم الماء او السابحة في ثناياه ، كان في مكنة اي حيوان قائم مستكن ان يلتقطها وينعم بها على شريطة ان يكون الف طريقة تصفيتها او بزل ما فيها من ماء نقيع . ولذا بدت هذه الحيوانات ، ظاهريا اقله ، اشبه ما تكون نباتات. اما الخطر كل الخطر ، فعلى حيوان يجهد في سبيل الحصول على مواد غذائية كبيرة ، مصونة في حراسة قوي ، صعبة المتناول والادراك لما يقتضيه الحصول عليها من دهاء او لما يخفيه من ردة ورجعة . وعلى نسبة ما يكون غذاء الحيوان وطعامه على ما وصفنا من صعوبة الادراك والاخطار المحدقة به ، اشتد بالتالي حاجته للدهاء واللباقة والقوة ومرونة الحركة وسرعة الانتقال . ومثل هذه الصفات لها قيمتها ولها الفضل العميم على ما تدرع به الحيوان من تحرز وصيانة ، تقيه نزوات الحيوانات المفترسة .

وقد ساعد ناموس بقاء الاصلح او ناموس الاصطفاء الطبيعي ، انواعا كثيرة من الحيوان على ترسيخ هذه الطفرات الخلقية في ذات الحيوان والتمكين لها ، فازدادت بالتالي فيه قواه الحساسية واشتد ساعده بعد ما ظهر فيه من شتى الاجهزة التي تنسق في ما بين حركاته الوظائفية . وفي الوقت ذاته لما كان استخدام القوة يقتضي له ، على اقدار وانساب ، جسما شديدا لا تتداخله العناصر او تنسرب منه المواد بيسر وسهولة ، قبل ان تخضع فيه لسلسلة من التحولات والتكييفات تثير مستوى معينا من التفاعلات ، كان من المهم عندئذ ان تهيء اسباب النشوء وعوامله للجسم ، شبكة محكمة ، دقيقة ، من الاجهزة

المعقدة ، تمكنه من هضم المواد واستمراء عناصر الغذاء والاوكسجين وتمثيلها ، واستحلابها ، وايصال عصائرها لحجيرات الجسم وخلاياه الدقيقة التي لا يأخذها حصر ولا عدد ، ولافراز ما نقل فيه من الفضلات .

وهذه الاجهزة المتباينة الصور والاشكال تباينا يدعو الى العجب العجاب، التي طلع بها هذا التطور الخلاق في كثير من الانواع ، برزت ولا شك ، وفقا لمقتضيات وظائفها ولظروف العيش وعوامل البيئة التي تفاعلت بها . وطالما كانت هذه الفوارق في اكثر الاحيان استجابة لصفة خاصة او لبعض الصفات الكيانية الكامنة في قوام هذه الحيوانات وتكوينها ، كازعانف الزحافة في السمك مثلا ، او القدم القصبة التي كانت اشكالهاالاولى نماذجا سارت عليها الكائنات الحية الاخرى في سلالاتها المتعاقبة ، خلال تطورها المتتالي . ومن الواضح جدا ان بعض هذه السمات او الاجهزة ، حتى ما جاء منها ركنا اساسيا في قوام الحيوان ، اصطفاه الكائن الحي واختص به ، بشكله المتحيز ، نتيجة محتومة لتفاعل غريب في بعض الحالات العارضة الطفيفة ، التي لم يكن من المتوقع لها ان تسنح من جديد ، فظهورها، ولو لمره واحدة ، اثبت نفعها وجدواها ، واستخدامها بالتالي في اكثر من وجه واحد من وجوه الانتفاع بها ، على تباين هذه الوجوه وتغايرها . ولم تلبث هذة الصفات او الاجهزة ان اصبحت ، تباعا ، جزءا هاما من هذه المميزات التي تطبع الجسم الحي وتفرده . فلا عجب ان تساعد في مثل هذا الوضع على تعيين الاصطفاء الطبيعي لسلسلة طويلة من الحلقات في الخطوات التالية يخطوها التطور في اتجاه واحد معين . ولما كان هذا النهج المتبع في صيرورة التطور اصطبغ بطابع الفرصية والانتهاز بدلا من ان يتسم بطابع التبصر والتصميم السابق ، فقد لوحظ انه بالرغم مما يظهر على اعضاء الكائنات الحية واقسامها المختلفة من تفاعل غريب بين بعضها البعض واستجابة مدهشة للتعاون فيما بينها بانسجام ووئام ، فقد اخفى قوامها مساوىء وعورات ونقائص لجهة التركيب والوظيفة . وبالفعل فقد طلع علينا التطور والنشوء بمزيج غريب من الاعتباطية المتعسفة والتبعية الحتمية consequentialness بحيث يحق لنا ان نستنتج ان عالما اخر شبيها بعالمنا هذا من الوجهة الطبيعية يمكن ان تظهر فيه كائنات حية تشبه من بعيد الكائنات الحية التي طلعت على ارضنا هذه .

ولعل من ابرز ما ظهر بانتظام من مظاهر التطور التي تعاقبت على الاجناس الحية العليا ، تكوين جهاز تنسيق فيها يحمل في تضاعيفه عدة يستطيع معها اتيان او احداث ما يلزم من تغييرات في الحركات او الاعمال التي يقوم بها الحي على ضوء اختباراته الماضية وفقا لطبيعة الظروف السائدة المتحكمة . وقد تكون السمة البارزة في هذا التطور ما تم للكائن الحي ، من الوجهة الموضوعية ، من طاقة على التكييف ومن الوجهة الذاتية بالطاقة المهذبة او طاقة الترابط ، وذلك في قيام علائق من الترابط تشد بعضا الى بعض ، هذه الجملات العصبية التي يمكن ان تكون برزت على شكل ما في داخل الحي اذ ذاك ، بحيث اذا ما انفعلت احداها او تأثرت ، انفعلت الثانية بالتالي وتأثرت ، تبعا لذلك . وهذه الروابط او العلاقات المتماسكة التي قامت تؤلف فيما بينها شبكة من اعقد ما عرف من نوعها ، بحيث ان جملة من هذه الجملات العصبية (جملة «الف» مثلا) ترتبط بجملة (ب) في وقت ما ، كما ترتبط في وقت اخر جملة (ب) بجملة)س(، بحيث تصبح جملة (الف) مرتبطة بجملة (س) في هذا المثلث المؤلف من الجملات الثلاث :

ا

ب . س

ومن الامور التي تلعب دورا اساسيا في التعليم ، عملية التحليل ، وهي عملية تبرز وتحيز المقومات الحاصة او العلاقات التي تماسك بين اجزاء جملة عصبية متفاعلة ، كما تبدو على حقيقتها ، بحيث اذا ما دخلت هذه المقومات او العلائق في تركيب جملة او جملات عصبية اخرىمختلفة استخدمت لربط اجزائها المقومة بعضا ببعض ، كما تفعل (ب) التي تربط بين (ا) و (س) في الشكل الموصوف اعلاه. هنالك ولا شك في ذلك ، اجهزةخاصة تتصل بالحي بالارث، تؤثر مباشرة على عزل بعض العلاقات الخاصة المميزةوتحول دون انتقالها ، كاكتساب او انتقال اللون الواحد . ومعذلك فان جانبا كبيرا من عمليات التحليل والنفاذ الى اعماق الاغوار انما يرتبط الى حد بعيد بالكشف عن طبيعة تصرف عوامل الترابط التي تقوم عليها الجملة العصبية بما فيها من تعقد وتشابك ، وهذه التفاعلات تولد بدورها ، بما تحدث في الجسم الحي من تغييرات ، سمات تبقى فيه ضمنا مشتركة بينه وبين الاجسام المركبة الاخرى .

كلهذه التغييرات تعود بنفع على الجسم الحيوحده، وذلك بنسبة ما تحدثه في سلوكه وتصرفه من تغير وتنوع. وهذا التغيير يصبح ممكنا مستطاعا بمجرد ما تقوى في الحي النشاطات العصبية وما فيها من قدرة على الحركة ، او تتأصل فيه حسبما تكون هذه الحركات اثارت فيالحي تأثرات عصبيةوارتكاسات عكسية (وهو ما يسمىبالاختبار) يرغب فيها الحي او يرغب عنها ، او اذا ما كانت هذه الارتكاسات العاطفية او المسلكية (الفطرية) الحادثة ، مادة صدرت في الوقت ذاته عن البنية العصبية الموروثة. وهذه البنيات احدثها التطور بهذا الشكلالحليم، بحيث ان الكائن الحي يوفر ، من حيث لا يدري ، تأمين جنسه وتكاثره ، في ما تهدف اليه من تحقيق غاياته المرسومة . ومع ذلك،فهو يتعلم عن طريق هذا التأليف ويقوى بالتالي على تحقيق رغائبه الاساسية بوسائل اكثر فعالية ، واكثر تلاؤما للظروف والاحوال المحيطة به ، كما يتعلم ان ينسق وينظم شتى نوازعه وينسب بين بعضها البعض بحيث يستفيد منها الى اقصى حد .

وبالرغم من جهلنا التام لطبيعة الاسس الفيزكيمائية التي تقوم عليهاهذه الظاهرات ، فليس ثمت من يشك او ينكر حدوثها من الوجهة الفيزكيمائية ، وهي ظواهر نهضت بصحتها والدليل عليها حوادث التسجيل العلمي والاختبار التجريبي . وفي هذه المرحلة الاخيرة يبرز فقط التبصر والنظر وظهوره في الكائن الحي . وبالاضافة الى هذا ، وضمن جهاز التفاعل العصبي القائم فيه ، يرتسم في الكائن الحي ، تبعا لذلك ،صورة عنه ، تبدي ، شيئا فشيئا ، ما هو عليه امره المحيز وواقعه القائم من ترابط وتماسك . واذ ذاك ، يمكن لحي ناطق ان يستعمل كلمة « وعي » او شيئا قريبا من هذا التعبير وذلك عندما

يرغب في الافصاح عن وجوده وكينونته ، وصيرورته ، وما هو عليه .

ومع ان هذا اللفظ ينم عما يمكن ان نسميه بنظرة الانسان الذاتية او يقظته من الداخل ، فلا يمكن استعماله مع ذلك ، الا بشيء من الخبط والتشويش في التفكير ، اذ انه يفرض وجود « حدين متوازيين » ، واع ومادي ، الى جانب الشبكة العصبية وما اليها ، اي ان هنالك شبكتان من الظاهرات تقومان معا في آن واحد ، تكمل احداهما الاخرى دون ان تتفاعلا كما انه ، من جهة ثانية ، يستفرغ جهدا كبيرا ، عملا بمبدأ القصور الذاتي ، لما طبع عليه الانسان من طرق متحكمة مؤذية . ومن جهة اخرى ، ان ما في الانسان من قابلية غريبة للرمز والتضمين ، مع ما لهذه الميزة من قيمة لا تقدر ، تسهل له ليس الاتصال بالغير فحسب ، بل ايضا رياضة فكرية وعملية عقلية ، كثيرا ما اودت به للشطط والزلل ، وسوء الفهم والحكم المبتسر على الامور ، وتفسيرها تفسيرا مغلوطا كما اودت لمباهاته برموزه وصوره وتضميناته ، حتى ولو اشكل عليه التمييز بينها وبين الحقيقة . الا ان ازدياد المعرفة بين الناس ، وانفساح رحابها واتساع ارجائها ، جعلتهم يدركون ان التقليد ، حتى القديم منه ، هو من صنع الانسان ، وان التجربة المنهجية المنتظمة ، والنقدالحر بمعزل عن كل رقيب او كابح او حسيب ، والمحاكمة العقلية التي تأتسي بالعلم وتعتمده دون سواه، هي وحدها القمينة باعطائهم تفهما صحيحا للامور ، وادراكا صادقا للاشياء والكائنات. وعن طريق التفتح التدريجي ويقظة الوعي في الكائن الحي ، واخذه بصورة رتيبة بهذا التكيف النموذجي ، استطاعت الحياة ، محيزة في الانسان، ان تسير صعدا في طريقها الى آفاق جديدة ، والطلوع ، عن طريق الكشف والاستنباط ، بوسائل عيش جديدة . وفي الوقت ذاته ، عندما تحاول الحياة ان ترفع من دور الانسان الحيوان وتسمو به الى فوق بتصرفه ومسلكه وسيره ، يتقوى بالتالي ، مركزه عن طريق توسيع آفاق معرفته الى ان يحل محل النبات ويأتي فعلها ، في الاعمال والوظائف التاليفية التي تأتيها المملكة النباتية ، حتى في اكثرها تعقيدا .

وبين الامور التي تسترعي النظر في هذا الحد يبلغه الانسان في تطوره الصاعد نرى ان تطوره الاجتماعي قصر جدا عن اللحاق بتطوره المادي ومماشاته على قدم واحدة ، وان ما يلاحظ بالتالي من نقص فاضح في التعاون بين ابناء جنسه ، قد يكون فيه هلكته وفناؤه والقضاء على كيانه والتطويح بمعالم حضارته ، وعلى ما دبجها به ، منذ ان كان ، من منافع ، وفوائد ، وخدمات ، كلفته الامرين . قد يستطيع الانسان ، الفينة بعد الفينة ، ان يعمل في ريادة الفضاء المجهول ليجلو منه ما خفي بعد عليه ، كما يعمل ، حينا بعد حين ، على الكشف عما خفي عليه من اسرار ذاته . الا ان مثل هذه الريادة يقتضي لها حكمة وحذرا بالغين ، لا يتوفران الا بهذا التتبع الدقيق الحر الصادق ، المرتكز على ما لدينا من معرفة نامية متقدمة لطبيعة الاشياء والكائنات، كما يرتكز على الموفور الخير من سلامة القصد وحسن النية والرشاد دونما لبس ولا التواء .

اذا كان تحولنا الخطر وانحرافنا عن هدف قصير محدود الى هدف اخر ، سيفضي فعلا الى هدف آخر بعيد الامد قائم على مخطط مدروس ، فقد يترتب علينا ، والحالة هذه ، ان نعيد النظر بشجاعة ورباطة جأش ، في كل ما لدينا من مثل وقيم فنقومها من جديد ، اذ ان المحاكات العقلية الخاصة بقيم الاشياء ، يجب ان يكون الموضوع الرئيسي لكل بحث علمي ، لا ان تكون فوق البحث كما يدعي بعضهم اليوم . وانسجاما منا مع النتائج التي توصلنا اليها بعدهذا المطاف البعيد يتحتم علينا ان نجري تبديلا وتحويرا في الاساليب والطرق التي تسير عليها دوافعنا الداخلية او في تلك الاواصر التي تشد الفرد الى الفرد الاخر وتربط الجماعة باختها . ففي الحين الذي نتبين فيه ان اهدافنا الواعية ، هذه الاهداف التي يمكن ان نعبر عنها بصورة عامة بـ « نشدان السعادة » هي الافعال المركبة المعقدة القابلة التحول ، المنبعثة من بدواتنا ونزعاتنا البدائية التي حيزها فينا الاصطفاء الطبيعي ، ووفقا لحاجات المورث الدفينة ، ولمطلبه القائم من البقاء والديمومة ولتوسيع مجالات الانطلاق امامه ، تحتم علينا ، والحالة هذه ، ان ننشد وسائل اصلح واكفأ من الوجهة الوظائفية ، لنشدان السعادة . وهذه الوسائل يجب ان تؤمن، بنجاح اكبر واتم ، الانسجام بين نزوات المورث وبدوات طبيعتنا الواعية البعيدة الغور ، بحيث ان تحقيق اية نزعة او اي مطلب من هذه النزعات والمطالب ، يدعو بالتالي لتحقيق غيرها . وكل منصرف غير هذا المنصرف يؤدي بالنتيجة ، الى اضعاف النفس وايهانها ، في عالم قوامه التعاون المتبادل والمنافسة المتشابكة المعقدة.

من الخطل في الراي التأكيد بان نزعة المورث للنمو والازدياد ، تكسب الكائنات الحية نجاحا بيولوجيا او انه يؤمن له منتهى الخصب والانتاج . والقاعدة العامدة هنا هي انه كلما ارتفعت رتبة الكائن الحي في مدرج او سلم الكائنات الحية ، ازداد بالتالي الفرد طمأنينة على حياته وسلامته ، فتتناقص ، بالتالي ، فيه ، قوة الانسال واستيلاد الذراري. فناموس بقاء الاصلح او ناموس الاصطفاء الطبيعي قد انقص في مرتبة الاحياء العالية ، طاقة الخصب والانسال ، اذ ان النزعة القوية للاكثار من الذراري ، يتهددها ، من جهة اخرى ، الخوف من عجز الحي عن تأمين الرعاية اللازمة لذراريه ، كما يوهن ما فيها من طاقة وفعالية ، وهذا بدوره يخفض كثيرا من طاقة الانواع على اتيان ما ترغب فيه من نماء بيولوجي . وبالفعل ان الانسان المتمدين قد بلغ ، بفضل ما لديه من وسائل تقنية متقدمة ، درجة عالية من الحفاظ على الحياة وصيانتها من المخاطر (باستثناء الحرب) بحيث ان خفوض ما فيه من طاقة الانجاب والانسال، يتناسب تماما والحالة التي تلابسه اليوم من هذه الناحية : الناحية البيولوجية وسعادته الفردية ، اكثر من الحالة التي اصاره اليها ناموس الاصطفاء الطبيعي ، بعد ان عرف كيف يكيف الظروف والحالات البدائية الطبيعية التي لابسته وعاشها منذ البدء .

وها نحن نرى اليوم الرجل المتمدين يقطع اليوم ، في هذا السبيل ، اولى مراحل الطريق نحو تحقيق هذا المطلب بصورة آلية ، وذلك عن طريق التحكم بكافة الانسال وقدرته على الاستيلاد . الا انه يقتضي له ان يتمرن ويتمرس طويلا في هذا المضمار ، وينوع الوسائل التقنية التي يعتمدها لهذا الغرض بحيث يتوصل الى اثارة تفاؤل

عام بين الناس اجمع والحفاظ عليه بالنسبة لما هو عليه الفرد الواحد من قدرة على تامين ما يحتاج اليه من طاقة وغذاء وغير ذلك من مقومات العيش الكريم . والا لراي نفسه يعود القهقرى سراعا ليتردى في مهاوي الشقاء والفوضى ويتسكع في حرمان معظم المنافع والخدمات التي عرف ان يوفرها لنفسه خلال تطوره الصاعد ، ولربما افضى به الامر الى ما هو اقسى واقتل ، في حرمان دائم من هذه المواد والموارد التي يحتاج اليها ويستعين بها للنهوض من جديد او ليحقق المزيد من منافع وخدمات يستفيد منها على الدهر في حياته . وهكذا يبقى صحيحا الى ابعدحدود الصحة ان نجاح الانسان المتمدين في نشدانه السعادة ، هو شرط لا بد منه ولان ندحة عنه ليستطيع المورث تامين عملية استمرار النسل . ومن جهة اخرى ، ان نشدان السعادة والحنو اليها ، يجب ان يوجه في الانسان المتمدين على شكل وغرار بحيث يؤمن له الامتداد البيولوجي ، اذا ما شاء هذا الانسان او رغب في ان يتخذ يدا من الفرص المؤاتية لتامين اكبر قسط من الخير لاكبر عدد ممكن من الناس ، وبعبارة اخرى ، اذا اراد ان يخفض الى ادنى حد ممكن المخاطر التي تترصده ولا يبقي متخلفا عن الجهاد الاكبر في سبيل الحياة والبقاء .

ولكن ، لو فرضنا وسلمنا جدلا ان الانسان سيتوصل في نهاية الشوط للتحكم بصورة مطلقة بتحديد نسله ، او انه سيصل في مضمار تطوره الاجتماعي الى مراحل لم يكن ليحلم بها او لتخطر له فيخاطرة ، فكل تقدم يحققه في هذه الناحية ، انما يقوم حتما على اساس بيولوجي واه ما لم يعن عناية خاصة بهذا الامر ، ليس من الوجهة الكمية فحسب بل ايضا من الوجهة النوعية ايضا . وذلك ان الاستبقاء المفتعل والاستحياء المصطنع للكائنات الحية في مدنيتنا الحديثة هذه ، سيؤدي ولا شك في ذلك ، الى طلوع عدد لا حد له من المورثات الطافرة المؤذية ، ما لم يقابله من جهة ثانية ، مراقبة مستنيرة رشيدة ، مدبرة لانواع المورثات المرغوب فيها وفي توالدها . ولكي تأتيهذه السلسلة من الافعال قديمة رشيدة ، يجب ان تأخذمجراها بحرية تامةوبصورة مثاليةبعيدةعن كلفجور او وهماوغرور

وهذه الروح ذاتها تفرض علينا قبول المبدا القائل بانه بالرغم مما في طبائعنا من قابلية شديدة للتكيف مع ما يلابسنا من مؤثرات الوسط والبيئة ، فان حياتنا يمكن تحسينها تحسينا كبيرا بالنسبة للدور الذي نلعبه في عالم الاجناس الواسع ، وذلك عن طريق تكييف نوازعنا البدائية الموروثة ، وتحسين ملكة التفكير المولودة معنا ، حتى وتقويم تركيبنا الجسماني . وبالفعل ، فاننا لا نرى اي حد على الاطلاق يمكن ان يقف عنده تطور من هذا النوع ، على شريطة ان نعمل صادقين ، على تحقيق هذه التطورات ، بعد ان سدت امامنا بالكلية ، امكانية حدوث هذه التطورات عن طريق اصطفاء طبيعي غير واع ، كما سبق وذكرنا اعلاه ، من جراءالحالات الناجمة عن تطورنا الاجتماعي . وفي الوقت ذاته ، ان التطور الاجتماعي قد امدنا في الماضي ، وسيمدنا في المستقبل الطالع اكثر فاكثر ، بوسائل تقنية غاية في الفعالية يؤمن لنا معهاتحقيق تطور مفتعل . وهذه الوسائل التقنية المرجوة ، تتضمن فيما تتضمن ، المزيد من مراقبة عمليات التناسل والوراثة ، كتكون الخلايا التناسلية وخزنها ، وعملية التلقيح ، والتوالد العذري ، وتعدد الاجنة والحبل المصطنع ، ومسلك الكروموسومات ، وربما توزيع المورث ونقله . ان التحكم بالطفرة او بالتحول ، لعملية تالية منوطة بالامكانياتالطالعة في المستقبل البعيد .

ولا شك قط ان التطور البيولوجي الذي بالامكان تامينه عن طريق الوسائل العلميةالمتوفرة اليوم سيتم على نسبة واقدار تفوق بكثير نسبة التطور اللاواعي الذي تم حسبما رسمته نواميس الطبيعة . والخوف وحده من يد الموت المنتقمة ، هذه الخرافة التي اخذ بها الناس قديما وما زالوا ، هو الذي يفوت على معظم الناس الفرص المؤاتية لحياة افضل . الا ان تقدم الانسان في معارج النور والارتقاء ، كفيل بان يقضي على هذا الفزع بالكلية . فالانسان اليوم ، كما تنظر اليه نظرية النشوء ، يمثلمرحلة انتقالية من مراحل التطور ، انما هي مرحلة حاسمة وعطفة موجهة في تاريخ تطوره ، اذ ان منهج التطور في مراحله المقبلة سينتقل من اللاواعي الى الواعي ، ومن الواعي الى التجريبي والاختباري بمافيه من صح وغلط ومن التجريبي الى المخطط المرسوم لامد بعيد .

ان الانسان اليوم ، في ما يخضع له من عوامل التبعية وما يرسف فيه من قيود السلطة ، يعجز ان يرقى الى مثل هذه المراقي التقدمية . فاذا ما حاول الاتيان بشيء من هذا استهدفت جهوده للافساد والتضليل والاحراج . ولكن عندما تحين له الفرص المؤاتية والسوانح الحليمة للابراء والابداع والخلق ، وهذا كله من صفاته وخلاله ، فسيكون من منابع غبطته والهامه ، ادراكه انه الالف والياء والبداية والنهاية لهذا الوجود ، وباب هيكله ومحرابه ، وانه عن طريق جهوده هو ، وجهوده وحده دون سواه ، قد يصبح الناقل الافضل او المحبب للحياة على هذه البسيطة . وهذا انما يعني ان في مكنة الانسان ان يصبح الطريق التي تسلكه الحياة للانطلاق الى الامام ، والى العالم الخارجي الى هذه القوالب وهذه الصور التيهي اكثر انسجاما مع نفسها ، ومع الطبيعة الخارجية ، وقد ارتدى حساسية ارهف ، وحكمة اعمق ، وقوة ابعد مدى ، واشد انطلاقا .

من منا يستطيع ان يستشرق او يرى كم من الوقت وكم من الحقب يلزم لهذا الوعي الذاتي ، وهذا التحول الذاتي اللذين يحمل الانسان بزرتهما في ثنايا نفسه لتمتد وتعرق بعيدا في جنبات هذا العالم ، فتتحدى بتطورها المتصاعد عمل هذه القوى والكتل العمياء التي برز فعل الانسان بالنسبة اليها عملا مبتذلا او صدأ تافها . والناموس الذي يخضع له المورث سيقوي ويزداد ، وسيتطور المورث بما فيه سلامته ونموه . واذا كان هذا المورث الفاقد الحس والعقل قد افضى به التطور الى ابداع العقل والتبصر ، ونقل هذهالمناقبية من الفرد الفكرياو العقلي الىالفرد الاجتماعي فما عسى ان تكون ، يا ترى ، الامداء التي سنصل اليها نحن وابناؤنا ، صورة هذا العقل الاجتماعي المتجسم ، اذا ما اردنا ان ننهض بوعي ومعرفة ، الانتصار على الحياة والتحكم بها ؟

يوسف اسعد داغر

الحاوي

*

أنا الحاوي ، انا الحاوي صديق الحيَّة الهاوي
سباني حسنها الذاوي وعين تنفث السحرا
وناب يبعث الذعرا وجسم ُمعْلَم ضاوي
لسان أحمر قاني تدلى من فم رطب
وذيل أملس داني ـ اذا التف ـ من القلب •
وفي الليل متى آوي

الى ركن على الدرب وحيَّاتي الى جنبي
ونجم الافق لي يهفو بطرف هانىء أغفو
كأن الدهر لي يصفو ولو أن الحشا طاوي
صحابي أفاعي القفار وزادي غبار الطريق
أجوب القرى والديار وأعرض ليل نهار
عجائب فن عريق

مشاهد فيها يحار لبيب الورى والبليد
ويهرع حيث أريد صغار الحمى والكبار
ليحظوا بتعة عيد

اذا ما انثنى الافعوان وشيكا بغمر اللحون
أتى بعجيب الفنون وهاج خفيَّ الشجون
وباح بسرٍّ مصون

كدرويش ليل حنون يثير الدجى والسكون
برقص طليق العنان

على ايقاع مزماري يشيل الرأس ممدودا
ويلوي العنق أملودا على ساق الغضا العاري
يهز الجسم في رقص بخصر ناعم رخص
كموج قد ثنى عطفا فأبدى ضوءه خطفا •
ألا فليسكت الراوي

فليس الرأي كالسمع : طغى السحر على الجمع
فأنظار هنا ترنو وألباب لنا تعنو
وأرواح بنا تدنو على عرش الثرى الخاوي
الى الحيَّات والحاوي !

بغداد — مير بصري

صراع مع الثلج

بقلم حليم بركات

o o o

شد نجيب حمل القمح الى ظهر بغله شدا محكما والقى نظرة على الضباب المتكاثف في الغرب فوق جبل « القصير » ، ثم التفت الى الوراء — الى سهول الجفتلك المنشلحة ابعادا متماوجة . وما اطال تحديقه اذ ركز بصره على زملائه وقد مشى كل الى جانب بغله متمسكا بحمل القمح محاولا ان يساعده في تسلق ذلك الجبل المتوحش الضارب نفسه نحو السماء الحق معك يا ابراهيم . الغيوم تزداد.

— اما قلت لكم ؟ رايي ان نرجع

ووقف خليل صارخا : نرجع ؟ بعد ما قطعنا الدنيا ؟ قطعنا ربع الطريق يا مجنون .

وتنبه ، فيما هو يقول هذا ، الى ان يفعل ما اعتاد فعله في كل الازمات — أن يضحكهم وينسيهم انفسهم فرفع كوفيته المثقوبة في اكثر من مكان عن راسه ورمى بها الى الارض قائلا بحنق مفتعل : اذا رجعت هذه الكوفية الى راسي ارجع انا .

وسمعهم يضحكون غير ان ضحكاتهم كانت باهتة مما جعله يدرك ان هذه النكتة لم تعد موفقة لكثرة ما فعلها فسكت ونظر الى تلك الغيوم : انها تزداد . كانت رمادية والان هي سوداء كسرواله ... لا بد ان تمطر . بعد قليل ستظلم الدنيا . مطر وليل مظلم وتسلق جبال لا يمكن اجتيازها قبل خمس ساعات، وثيابهم الخفيفة . لا احد يلبس سترة غير ابراهيم . كان يجب ان يسمع ما قالته امراته فيجلب معطفه . اما كان من الافضل ان يقفوا تلك الليلة في « رباح » .

وود ان يصرخ بزملائه : يا شباب والله الحق مع ابراهيم . يجب ان نرجع . ولكنه لم يصرخ . لقد خشي ان يتهمه نجيب بالخوف . كما انه عندما يصل الى الكفرون سيجد ليون مجالا للسخرية منه فيخلق حول خوفه ملايين من النوادر . وبدل ان يصرخ بهم طالبا العودة ضرب رجله في الارض بقوة وقال : الى الامام ، يا شباب . ما بكم ؟

وتبع نجيب الذي يسير في الطليعة كان يعرف تماما ان يوسف مثله ومثل ابراهيم يود العودة غير انه تظاهر بالشجاعة . انه ليس شجاعا ، وهذه الحقيقة تسيطر عليه الان فلا يجروء ان يقول انه خائف . فهو يبدو شجاعا لانه يخاف ان يكون غير هذا . لا احد يريد اكمال السير غير نجيب رغم انه اكبرهم سنا واضعفهم بنية واقلهم اكتساء . لا شيء يستره غير هذا القميص فوق سرواله — قميص ضاعت بعض ازراره فكشف عن صدر هو بعض هيكل عظمي لفه جلد اسمر يعلوه شعر قصير ويتفرع عنه ذراعان ضعيفان يتحركان الى الامام والوراء بثقة . في جبهته وعينيه ويديه وصدره وحتى في صمته يلوح العزم هذا العزم يجعله يسير ويجعلهم يسيرون وراءه رغم انهم يفضلون العودة

والحقيقة ان تخوف ابراهيم ويوسف وخليل زاد من تصميم نجيب على المضي في سيره . فغدا في القرية لن يتحدثوا عن خوف هؤلاء فقط . سيتحدثون عن شجاعته ايضا . سيتناسون ما فعله في السنة الماضية . وعبر في راسه خيال ابن عمه ولكنه اغمض عينيه كانما يود الا يراه هكذا يسخر منه ، بل يلومه .

سيتناسون ويقولون : هذا الشبل من ذاك الاسد . ابوه الذي مات في صراع مستميت مع الاتراك لا يمكن ان ينجب ولدا جبانا . غدا لن يتجرأ المختار ويقول : لقد انتهيت يا نجيب . ايام العز مضت .

وعرف ما يقصد المختار عندما قال هذا في السنة الماضية . انه يلمح الى موت ابن عمه . وعبر في راسه خيال ابن عمه ثانية وقد هاجمه اللصوص في نفس المكان الذي يتسلقه الان . وتخيل نفسه وقد هرب في تلك البرهة . وتركه وحده فقتلوه . لا يدري كيف هرب . في حياته كلها لم يكن جبانا كما كان في تلك الليلة كيف تركه ؟

لو لم يفعل هذا لمات معه . ولكن الم يكن من الافضل ان يموت بشجاعة فلا يسخر الناس منه ويدعونه جبانا رغم ماضيه ؟

والتفت الى خليل كيما يطرد صورة خوفه من مخيلته ، واذ لم يجد ما يقول ود ان يفكر بشيء اخر : غدا سيكون عيد الميلاد ويجب ان يقضي العيد مع عائلته . وفي جيبه هدايا لولديه الصغيرين لا بد ان يوصلها .

غابت الشمس وراء تلك الغيوم الكثيفة الممتدة نحوهم وبدات الارض تحيك حول نفسها شرنقة من الظلام. ولولا تلك النسمات الباردة الاتية من الشمال ولولا خرير المياه في اسفل الجبل لبدت الطبيعة في وجوم .

انه ما زال في الطليعة . كل ما في نفسه ترقب وتوق الى شيء غير عادي سيحدث . ان هذه الليلة لن تكون كاي ليلة اخرى في حياته . شيء عظيم لا بد ان يحدث ، ولكنه لا يدرك ما هو تماما . وكيف لا يترقب حدوث شيء عظيم وهذا الجبل العالي الضارب نفسه نحو السماء يتحداهم وعليهم ان يستجيبوا؟ وهذا الطريق الضيق الذي تكاد تضيع معالمه في النهار كيف يمكن اكتشافه في الليل ؟ والظلمة التي ستلفهم لا يقف في وجهها قمر ولا نجم . وهذه الغيوم التي تكاد الان ان تقف فوق رؤوسهم لا تنذر بالمطر فقط بل بالثلج ايضا . كيف يجابهون الريح والمطر والثلج وهم في ثياب شبه صيفية ؟ وهذه الجبال المهجورة لا تخلو من الحيوانات البرية . هناك حكايات عن زملاء لهم مزقتهم الذئاب او ربضت لهم الضباع . منذ سنوات اما هاجم ضبع ابا نوفل ولو لم يكن معه مسدس لمزقه ؟ ما كان يجب ان يترك مسدسه في البيت .

اراد خليل ان ينسلخ عن افكاره ومخاوفه ويحطم ذلك الصمت فارتفع

صوته بالغناء . ووجد كل من ابراهيم ويوسف في غنائه حبلا ينجيهم من امواج بحر صمتهم المتكسرة على شواطىء نفوسهم ضجيجا وترقبا خائفا فاشتركوا معه في الغناء . كان صوته يرتفع ببيت من العتابافيجيبانه بردة من الميجانا . ووجد نجيب نفسه يشترك معهم ايضا . فأختلط الغناء بالضحك والصريخ فنسوا انفسهم وما احسوا بالظلمة تلفهم .

ولما لم يجد خليل بيتا من العتابا يغنيه توقف واقترح ان يلقي كل واحد منهم نكتة ريثما يستريح قليلا فيعيد ما سبق له وغناه . ابتدا نجيب وتبعه يوسف فخليل فابراهيم . وكانت نكتة الاخير بذيئة فارتفعت ضحكاتهم مجلجلة صاخبة .

وطاب لهم ان يتباروا في ذكر « اوسخ النوادر » كما اسماها خليل فعاد الضحك يجلجل في افواههم واذانهم وفي منعطفات الجبل .

وتكررت نوادرهم وكانت ستستمر لو لم يقفوا فجاة مصغين . وكان ابراهيم اول من تكلم : سمعتم ؟

ـ سمعنا .

ـ انه عواء ذئب . اليس كذلك ؟

وقبل ان يجيبوه ارتفع عواء الذئب ثانية من مكان ما في الجهة الثانية من الجبل .

والتفت كل الى الاخر ، ورغم ان احدا لم يستطع ان يميز وجه رفيقه ادرك نجيب ما يجول في رؤوسهم فقال : انه بعيد . هات يا خليل . حديثك في موضعه . هات خبرنا . واستجاب خليل والتفت يوسف اليه مصغيا غير ان ابراهيم ظل واجما تبحث اذناه عن عواء الذئب وسمعوه للمرة الثالثة فانتفض ابراهيم وقال : سمعتم ؟

فأجابه الثلاثة : سمعنا

واردف نجيب مطمئنا : انه بعيد يا ابراهيم . لا تخف فا . .

وقاطعه عواء ليس بعيدا ـ على نفس الجهة التي يتسلقونها كأنما يجيب رفيقه في الجهة الثانية . صعقوا وغمرهم الوجوم ، غير ان نجيب رغم تخوفه ادرك ان من واجبه ان يحافظ على شجاعته . فاذا ما انهار هو انهاروا جميعا : لذلك تنحنح وقال ضاحكا : خفتم ؟ كمل يا خليل . كمل . هذا ذئب عاشق يغازل حبيبته في الجهة الثانية . والذئب العاشق تأكله انت قبل ان يأكلك .

وضحكوا جميعا لا للنكتة بل لانهم بحاجة الى الضحك . وتبع ذاك برهة صمت فوقف ابراهيم وقال : لا يبدو لي ان هذا الذئب عاشق .

فصرخ خليل بانفعال : وكيف يبدو لك ؟

ـ اعتقد ان الذئب الاول رآنا فنادى ابن عمه يخبره بوجودنا .

قال الذئب الاول « عندك فريسة» فأجابه الذئب الثاني « رأيتها . رأيتها . لا تخف » .

وابتسم نجيب وقال : معك حق يا ابراهيم . وانا سمعته يقول . خل لي قلب ابراهيم . خله يا ابن عمي خله

وضحك الجميع فقال ابراهيم بشيء من الحنق : ان شاءالله افتكرتم انني خائف ؟ انا اخر من يخاف

واستغل نجيب كلمته هذه ليشجعهم فقال متسائلا : من خائف ؟

فأجاب الثلاثة : لا احد .

وارتفع صوته بعزم: اذن . . الى الامام

لم يمض وقت طويل بعد ان تلاشى عواء الذئب كما تلاشى كل شيء يمكن ان تقع ابصارهم عليه في الظلمة الحالكة . ووقف يوسف فجأة : شباب . نقطة ماء كبيرة سقطت على يدي . ستمطر .

وقال ابراهيم : وانا سقطت واحدة على انفي .

وهتف خليل : وانا سقطت واحدة على شاربي

اما نجيب فأحس مثلهم باكثر من نقطة ماء غير انه لم يقل شيئا فقد بدأ يفكر : لا شك انها ستمطر . ماذا نفعل ؟ من بيده اليمنى على ذراعه اليسرى يتحسس عريها . كيف لم يجلب سترته ومعطفه ؟ ليس في هذا الجبل اي مغارة او شجرة يلتجئون اليها . على القمة اشجار سنديان تظلل مزارا .

واضاء طريقهم فجأة نور قوي ثم تلاشى بسرعة كما ظهر وتبعه رعد دوى في اذانهم ، فصرخ خليل : يا رب يا جبار . مضت برهة قصيرة بدأ المطر يتساقط بعدها بغزارة فقال ابراهيم : ماذا نفعل ؟

فأجاب نجيب حالا : نسير .

ـ نسير ؟ خمس ساعات نسيرها في المطر .

ـ تذوب ؟ ـ انا سأعود .

ـ انت حر .

والتفت الى يوسف وقال : وانت: الا تعود ؟

وحار بماذا يجيب . الحقيقة انه يود العودة ولكنه يخاف سخرية خليل ونجيب . خصوصا خليل سيجعل منه اضحوكة في القرية . سيحيك حوله عشرات الحكايات .

وقرر ان يكمل السير فقال : لنسر قليلا . ربما هي غيمة عابرة .

ووقف ابراهيم في مكانه : غيمة عابرة ؟ يعني تريد ان تبقى ؟ انا راجع . أي مجنون يسير خمس ساعات في المطر ؟

تمسك ببغله واداره راجعا، ولكنه ما سار قليلا حتى شعر انه وحيد فخاف . تذكر عواء الذئاب فتوقف ونادى : يوسف . يا يوسف . وجاءه صوت يوسف مع نفحة ريح باردة كتلك التي تحمل الثلج معها يسأله عما يريد فصرخ : ارجع . ارجع .

وشعر نجيب ان يوسف يتردد كأنما يريد العودة فقال : يوسف . ارجع معه . انه خائف .

ووجد في هذه الكلمات منفذا له . سيعود ولكن ليس لانه خائف بل لانه يريد ان يشجع ابراهيم فصرخ : ابراهيم . انتظرني انا راجع . .راجع

والتفت الى نجيب وخليل وقال : متأسف . لولا ابراهيم ما رجعت . حرام . انه خائف

وصرخ الاثنان معا : مع السلامة .

وزاد خليل وفي صوته صدى ضحكة هازئة: انتبه لابراهيم يا يوسف .

لم ينقطع المطر . بالعكس ، لقد ازداد غزارة حتى ان ثيابهما التصقت بجسديهما لكثرة ما تبللت . ليس في تلك الارض ما يفصلهم عن غضب السماء . لا مغارة . لا شجرة . لا شيء غير هذا الجبل يرتفع ، وغير هذين البغلين يسيران رغم ارادتهما .

ووجد خليل انه يجب ان يتحدثا عن شيء ـ أي شيء فقال: ما رايك ؟

ـ راي ؟ ماذا تقصد ؟

ـ أقصد ماذا نفعل ؟

مسح نجيب المطر عن وجهه وقال: وهل نستطيع الا ان نكمل السير ؟ اذا اردنا ان نرجع امامنا مسير ساعتين ، واذا اكملنا السير امامنا ثلاث ساعات او اكثر بقليل . على كل حال لا بد ان نتحمل . القضية تحتاج الى صبر .

وحار خليل فيما يجيبه غير انه قال : ولكن مسير ساعتين اسهل من

مسير اربع ساعات . حتى ان العودة لا تحتاج الى ساعتين فالانحدار اسهل بكثير من التسلق . كما اننا كلما ارتفعنا في تسلقنا اصبح الطقس اكثر برودة . وكان نجيب على وشك ان يقول له : انا صممت على اكمال السير اما اذا اردت العودة فمع السلامة . غير انه امتنع خوف ان يفقد رفيقا . اقل ما يفعل هو انه يسليه . ينسيه الطريق فقال : لقد تبللنا وما يهم المبلل من المطر ؟ اسمعت هذا المثل ؟

قال نجيب هذا لانه كان يعرف كم يتأثر خليل بالامثال . وتنهد خليل ثم ارتفع صوته بشتيمة : يلعنك يا سليم . يلعن الكبير في اهلك . كل همه ان يشبع جيبته الفجعانة . ابن الكلب

وعرف نجيب لماذا حول رفيقه غضبه الى التاجر سليم . هذا القمح الذي ينقلون من سهول الجفتلك عبر جبال العلويين الى الكفرون لايخصهم انه له . ولذ له ان يكمل هذه الشتائم فقال : معك حق . ابن الكلب . واندفع خليل في كلامه : ابن الكلب . في حياتي ما عرفت اطمع منه .

وضحك نجيب بكل ما فيه من حاجة للضحك غير ان ضحكته تلاشت فجأة . لقد بدأ البرد يتساقط حبات كبيرة . وصرخ خليل :خلص.متنا .

ووضع كل منهما يديه على وجهه يتقي صفعات البرد القاسية . والريح زادت ولولتها حتى انها كادت تقتلعهما من الارض وترمي بهما الى الوادي . كانا يحاولان التقدم الى الامام والرياح تدفعهما الى الوراء . استمر الصراع دون جدوى فقد وقف بغل نجيب وتبعه بغل خليل .

وازداد سقوط البرد فصرخ خليل بحنق : اريد ان ارجع الان . واجابه نجيب بهدوء : مع السلامة .

لم ينتظر مثل هذه الاجابة فقال وقد تلاشت الحدة من صوته : وانت؟

ـ انا اكمل السير .

ـ ولماذا لا تعود ؟

ـ لانني صممت ان اقضي العيد مع العائلة .

وتلفت الى فوق ثم اردف :صممت ان اكون في البيت غدا .

ـ انت أعند من بغلك .

ـ وانت جبان اكثر من جحش . . لا بأس . مع السلامة .

خطا خطوة ثم وقف وادار وجهه الى نجيب مبتسما فسأله الاخير بسخرية : ما بك ؟

ـ سأعود حالا ـ تعود الى اين

ـ اليك . انتظرني تحت السنديانة

ـ في المزار . سأجلب اغطية وقنديل . انتظرني سأعود سريعا .

وفرح نجيب لهذه الفكرة ولكنه لم يقل شيئا .

وحده الان .. هو والبرد والرياح وقمة عالية عليه ان يجتازها ولا بد ان يجتازها . صراعه هذا لن يكون دون صدى في القرية . لن يقول احد بعد الان انه انتهى . لن يقولوا انه هرب كما فعل في السنة الماضية. جسده قد ضعف . هذه حقيقة لا شك فيها . انما ارادته ما زالت تلك الارادة القوية التي عرفها في شبابه . بعضهم قال انه عنيد مجرد عنيد ، لكنهم قالوها حسدا . لقد اعتاد منذ صغره الا يخاف . في العاشرة من عمره كان ينام وحده في العرزال . عرزاله لم يكن في القرية ـ حتى ولا قربها . كان في كروم العنب المحاطة بحرج من السنديان في صدر الجبل المواجه للقرية . تلك المنطقة كان يهجرها الناس ساعة تهجرها الشمس . كم من مرة نام وعواء الذئاب في اذنيه . تعود الا يخشى أي شيء ، تعود ان يصارع دون خوف فلماذا لا يكمل سيره الان ؟ لقد خاف عندما هاجمهما اللصوص. انها المرة الوحيدة التي خاف فيها . ما كان يجب ان يخاف . ولن يخاف الان .

ونهض ناهرا بغله فسار ماسكا حمل القمح المبكل متحديا البرد والريح . وكيف لا يكمل سيره ؟ لقد وعد زوجته انه سيقضي العيد معهم . وعد ابنه انه سيحمل له شيئا جميلا ، ومد يده الى جيبه يتلمس مسدسا للماء . كذلك وعد ابنته انه سيقدم لها اسوارا من الذهب جميلة مثلها وتلمس ايضا السوار النحاسي في جيبه الثانية .

وتأمل زوجته واولاده وقد سمعوا صوته عندما يصل فاندفعوا الى الخارج فرحين . تأمل امرأته تتعلق بعنقه وتقبله مارة بيدها على قميصه المبلل قائلة : نجيب ، حبيبي ، كل هذا المطر تساقط عليك . ادخل . ادخل حالا وبدل ثيابك واجلس قرب الموقد . النار بانتظارك يا حبيبي . ادخل .

وراحت تقبله ثانية ماسحة الماء عن جبهته مارة باصابعها في خصلة من شعره تدلت الى الامام . وشعر بطفليه يتعلقان بسرواله ويحتضنهما معا ويرفعهما اليه مقبلا : احزري يا رابية ماذا اجلبت لك . وانت يا عصام احزر .

ويصب نظره في عيونهما يراقب بريق الفرح بنشوة ثم سمعها تقول : سوار ذهب .

ويهز عصام كتفيه كانما يقول « لا اعرف » فيحتضنهما من جديد فرحا . ويسري الخبر في القرية ـ نجيب وصل وحده . كلهم خافوا المطر والريح والبرد ـ كلهم ماعداه .

زادت هذه الخواطر من تحمسه وانسته بعض مصاعبه . وهو اذا رجع لن يفقد متعة قضاء العيد مع عائلته فقط ، انما زملاؤه الذين تركوه ورجعوا ماذا يقولون اذا شاهدوه عائدا . سيقولون : اما قلنا لك لنرجع يا عنيد . لقد عرفنا انك سترجع . في المرة الثانية اسمع ما نقول لك .

حتى ابراهيم سيقف منتصبا ويصرخ . اه . رجعت ؟ قلت لهم انك ستعود .

لن يطيق سخريتهم . وانتهز بغله يحثه على السير غير انه لم يستجب . وبعد صراخ وشد وجد ان البغل أعند منه فما استطاع الا ان يشق طريقه صعدا نحو تلك القمة التي يحجبها عنه الظلام . راحت الثلوج تتراكم وتتراكم فوق طبقات البرد . رقع بيضاء تخالط سواد الظلمة وهي تتساقط بهدوء وطمأنينة.

واحس كانما بدنه يتحول الى لوح من الثلج فود لو يستطيع ان يركض فيتحرك دمه قليلا . قدماه كانتا يغوران في الثلج فما يمكنه نزعهما بسهولة . ومرت في راسه فكرة اخافته . فكرة لم تخطر في باله قبل تلك البرهة . لقد غمر الثلج الطريق فما يبدو امامه اي اثر يتبعه. قد يحيد عن الطريق فيضيع . وقد يكون حاد عنه . لا يدري اين هو الان واين سيصل . ولكنه رغم هذا لن يقف

كان يمد بصره في الظلمة باحثا عن شيء لا يعرفه ، ولكن بصره ما كان يقع الا على الظلمة وعلى رقع الثلج التي ما زالت تتساقط . . بل زادت في تساقطها وكانها لن تنتهي.

كان السماء استحالت الى تلج وصبت ذاتها على الارض . مثل هذا اليوم لم يعرفه هو ولم تعرفه هذه البقعة من الارض . في ساعتين يتراكم الثلج حتى يكاد يصل الى ركبتيه . عجيب . ما كان يأمل هذا ابدا. كيف يقطع ما تبقى له من مسافة . عندما يصل الى القمة ينتهي كل شيء . ما عليه الا ان يلجأ الى المزار . وعند الفجر ينحدر نحو القرية فيستقبله اهلها وكأنه بعث من الموت . وتأمل امرأته وطفليه يندفعون نحوه بسرعة وبلهفة . وطرد الصورة من راسه اذ صمم ان يسير من جديد . وانب نفسه لاستسلامها لنشوة التعب .

قدماه يغرقان في الثلج من جديد يغرقان حتى ركبتيه . كان يسير رغم التعب ورغم تخدره من شدة البرد . لم يبق له ما يدفعه الى الامام غير ارادة قوية . وسره انه يواجه هذه الصعوبات كلها . شعر بنفحة من السعادة تولد في عروقه . هذا اليوم ليس ككل يوم في حياته . انه الان ، وهو يشق طريقه في الثلج ـ يختلف عنه وهو جالس قرب النار يتدفأ . كل انسان يستطيع ان يجلس قرب النار . انه الان ـ وهو يواجه هذه الصعوبات يختلف عنه لو رجع ـ لو هرب مع رفقائه . اي فضل له في ان يهرب من الصعوبات . كل انسان يستطيع ان يهرب من الالام ولكنهم نادرون اولئك الذين يواجهونها وينتصرون عليها . انه يوم صعب ولكنه عظيم . انه يختلف عن كل يوم في حياته وما احس يوما انه موجود بقدر ما يحس الان . قد يقول البعض انه عنيد وانه مجنون . ولكن هل يكون عنيدا ومجنونا من يفعل ما هو خارج حدود مقدرة الاخرين ؟

زادت هذه الخواطر من تصميمه على اكمال السير . وشعر ان نفحة السعادة التي ولدت في عروقه تزداد مع ازدياد تساقط الثلج .

الرقع البيضاء تقذفها الريح الى رأسه ووجهه فيغور بعضها في فتحات قميصه الى صدره . لقد برد كثيرا حتى انه لا يحس بالبرد الان . تقلصت عضلات رجله اليسرى فكأنما اصبحت قطعة من الخشب لا يحس بوجودها . ولو لم يشعر انه بحاجة اليها لما ادرك انه يستطيع تحريكها . انها مجرد شيء علق فيه ـ شيء يتجرجر وراءه . جمدت عيناه . جمدت يداه . جمد كل شيء فيه . ماذا ؟ ما بها ؟

ثم عبر هول المفاجأة فحاول تحريكها من جديد . كأنها ليست رجله . كأنها ليست منه وان حملها مثلما يحمل ثيابه . لا يستطيع ان يفهم ماذا حدث له . ربما جلدت ، او ربما خدرها التعب . ليكمل السير من جديد . ولكن كيف ؟ زحفا . زحفا ؟ ولم لا ؟ ما زال له رجل واحدة ويدان . ومال قليلا نحو جنبه اليمين وراح يزحف . انها عملية بطيئة جدا. ثم ان صدره العاري يلامس الثلج فيلمسه هذا بقساوة . ماذا يفعل ؟ أيستسلم فيموت هنا أم يصارع بكل قواه وبكل ما بقي له وراء هذا الامل الباهت . اذا استسلم سيموت ضعيفا ، اما اذا حاول ان يزحف . ربما يصل . وحتى اذا مات وهو يزحف سيكون موته كبيرا .

وعاد يزحف من جديد ـ يزحف بطيئا على الثلوج التكاثفة ، الريح ما زالت تنثر تلك الرقع البيضاء في وجهه دون رحمة وحتى دون اعجاب او تقدير .

وتمثل له طيف امرأته وطفليه فابتسم وقال : لا تخافي . لا تخافوا. سأصل . لن اقف . سأظل ازحف رغم اي شيء ، وسنقضي العيد معا. هدية البنت في جيبي . كذلك هدية الصبي . سنقضي العيد معا وسأراك في فسطانك المخملي الجديد . ارجو ان يكون جميلا مثلك . ما بك ؟ الا تسمعين ما أقول لك ؟ اراك خائفة ! لما هذا الخوف في عينيك . انت كنت دائما شديدة الثقة بي . وكأنه سمعها تقول : انا اثق بك ولكنني لا اثق بالطبيعة احيانا .

وقهقه في وجه الريح اذ حسب نفسه يقهقه في وجهها وصرخ : تثقين بي ولا تثقين بالطبيعة ؟ الانسان أقوى . الانسان اقوى . يبدو لي انك لا تصدقين ما اقول ؟ ما زال الخوف في عينيك. تأكدي يا امل ان الانسان اقوى ـ اقوى بكثير حتى ولو تغلبت عليه .

ورآها تحدق برجله اليسرى كأنها تقول « ألا ترى ؟ » فقهقه من جديد : ولكن الا ترين انني ما زلت أزحف رغم هذا ؟ سأصل يا امل . ولن يقف في وجهي اي شيء . هذه الثلوج المتراكمة ، لن تقف في وجهي، وهذه الرياح ايضا لن تقف في وجهي لقد اقتربت من القمة . ها هو خيال السنديانة على القمة .

وشد اسنانه بعضهم الى بعض كي لا يعود يسمع صريرها ولكنه لم يستطع . لقد فقد السيطرة حتى على اسنانه . لا باس . ما زال له يداه ورجله اليمنى وان بدأ يحس بتخدير يسري في عروقها . ستجلد كرفيقتها . لا بأس . يداه قويتان تجرانه الى القمة ـ الى السنديانة المادة اغصانها في الظلمة . وحاول ان يسرع في زحفه . يداه تبحثان عن شيء ـ اي شيء ، وصدره يتجرجر بكل ما فيه من حيوية وايمان وقدمه ما زال يدفع الثلج وراءه دفعا يتضاءل ويتضاءل قوة ، وسمع عواء ذئب ليس بعيد[illegible] فما توقف .لن يخاف . قد يشم الذئب رائحة خوفه فيهجم .

ورفع نظره يتطلع الى السنديانة على القمة ـ السنديانة المادة نفسها اغصانا بيضاء في الظلمة . ضرب يده الى الامام ودفع قدمه الى الوراء فشعر ان الثلج يتحرك تحت صدره وينهار فيتدحرج ويتدحرج لا يدري الى اين . كتل من الثلج تضرب نفسها براسه . يداه تخبطان في فراغ بحثا عن شيء وما هناك غير هذا الثلج ينحدر به الى اسفل .. اسفل .

وشعر انه توقف فحاول ان يتحرك ولكنه لم يستطع . ايظل هكذا ملقيا على ظهره ؟ وحدق بالسنديانة فوقه فبانت له اغصانها وكأنما تحولت الى وجوه تبتسم .. وجه ابن عمه.. وجه امرأته وجهي طفليه ملتصقين .

وفيما الثلج يتساقط ..ويتساقط كأنما ليغمره كان يرقب ضوءا باهتا يتسلق القمة الى مكان هو غير هذا الخندق الذي يحتويه ـ نحو دقات الجرس في عنق البغل .

واراد ان يصرخ فلم يستطع . وحاول ثانية .. وثالثة دون جدوى. وانحفرت في عينيه صور ووجوه واطياف واضواء ضاعت في وجه ابن عمه يبتسم .. يبتسم .. يبتسم .. يود ان يضحك

وما شعر بيده تتحسس الهدايا في جيبه .

حليم بركات

غزة ... المدينة السجينة

○

ايه غزه ...
كيف خلفت الضحايا
كيف امسيت حطاما ... وبقايا
كيف قارعت على البؤس الرزايا
والمنايـا ...!
اطبقت فوق هضابك
تتلهى بعذابك
وشبابك ...
ايه غزه ...
كيف أمسيت سجينة
خلف أسوار من البغي حصينة
كيف اخلدت الى الظلم
وسادت في نواحيك السكينة
كيف اطبقت على الدمع جفونـا
مثل راع اطبق الموت جفونه
أترى للريح ان صرت سماع
في لياليك الحزينة
يا حزينة ...
أم تراها اخلدت للصمت
حقدا وضغينة ...
أم تراها قد مضت للشاطىء
الشاكي تناجيه شجونه
حيث للكبر على الجرح اباء
حيث اخوان الشقاء التعساء
لم يزالوا مثل ما كانوا اباة شرفاء
لم يفت الجوع من عزمتهم
لا ولا البأساء أودت بالمضاء
من حبال الخيمة البلهاء قد نسجوا
بالصبر حبلا من رجاء
ومن الليل البهيم المطبق
كم شهاب فجروا بالافق
وعلى صفحة ذاك الشفق
كم سطور كتبوها بالدما والعرق
انها قصة غزه ...
قصة الشعب الذي عرف العيش
بطولات وعزة ...

ما نبا في كفه سيف على الطغيان هزه
كلما ثار به الحقد الرفيع
جلجل الصمت ودوى بالبقيع
فاذا الكون حشود وجموع
واذا بالقوم من بين الخيام
مثل اشباح تغشاها الظلام
جردوا للثار عزما لا ينام
وسيوفا تحمل الموت الزؤام
وتنذر النور في درب الانام
شعلا للبعث تهدى والسلام
من دماء الابرياء الكادحين
ودموع الاشقياء اللاجئين
للغد المرموق زاد
واعتصام وجهاد
نحن فجرنا الدنا بالانبياء
وزرعنا النور في تلك السماء
ومشينا فوق هام المحن
نصنع التاريخ عبر الزمن
في صراع صاخب لا ينثني
وأقمنا بدمانا والفداء
راية للحق تدعو والاخاء
لم تزل تسمو على كل سماء
فاذا ما ابصرت عيناك فينا ـ لاجئينا
والتقت عيناك في درب السلام ـ بالخيام
وتلفت فاذ غزة هاشم
شاركتها في أساها « كفر قاسم »
لا ترع فالموت مذ كان لنـا
بلسم نشفي به ادواءنـا
قد تخذناه طريقا للعلا
وجعلناه المثال الاولا
هكذا حدث عنا الاولون
سنة قد سار فيها الخالدون
وورثناها فنحن الوارثون

القاهرة **حسين رشيد خريس**
جامعة الدول العربية

الاخلاق والحركة الاستمرارية

بقلم ليونيل تريلنغ

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

✳

لقد وضعت مدرسة لاهوتية خطة لسلسلة من المحاضرات في موضوع (التوجيهات الادبية وعلاقاتها بالمسائل الاخلاقية المهمة) وقد دعتني لتقديم احدى هذه المناقشات . ولما كان لي ولع بهذا الموضوع ، فقد رايت لزاما على نفسي قبول هذه الدعوة . ولكنني ترددت في قبول البحث الذي اسند الي ، ذلك باني سئلت معالجة النتائج الاخلاقية في قصة (ايثان فروم) . لم اقرأ قصة ايدث ورتون الصغيرة، من عدة سنوات ، غير اني لا اتذكرها بشيء من السرور والاعجاب . ثم اني لا اعدها جديرة بالقائمة التي تضم (الاخوان كارامازوف) و (بيلي بود) ، و (فورتونيمان) .

واذا كانت هذه القصة تعرض نتيجة اخلاقية معينة، فانا قاصر عن ادراكها واستيعابها . ومن اجل ذلك اجلت موافقتي على قبول الدعوة ، حتى يتسنى لي دراسة الواجب الذي انيط بي . وهذا ما حدا بي الى قراءة (ايثان فروم) مرة اخرى ، الامر الذي اثبت لي صواب ما ذهبت اليه . هذه القصة ليست كتابا عظيما ولا جميلا ، بل ربما هو على شيء كثير من الوحشية . ولذا اربكني انتقاء الكتاب ووضعه في القائمة ، فلماذا ينبغي ان يناقش على انه انموذج للادراك الاخلاقي ؟ وعندئذ تذكرت شهرته في اميركا ، وما يعزى اليه من قيمة كلاسيكية ، في بعض الاحيان . فقد قرأه كل متعلم ، وغالبا ما وضع في منهاج المدارس العالية والكليات .

ولكن هذه الشهرة الطائرة الرفيعة ، ذات الوقار ، ليست الا حادثا طارئا في الثقافة الامريكية . ظهرت هذه القصة في سنة ١٩١١ ، حين كان الادب الامريكي ملتزما جانب التفاؤل ، والسرور والرقة وجمال المنظر ، وهي تلك الصفات التي يدعوها وليم دين هاولز (مظاهر الحياة الباسمة) . وقد كان لهذه المظاهر اهمية في ادب امريكا قبل ما يقارب الخمسين عاما ، هذه الاهمية التي لم يضارعها شيء في ادب اي زمان او اي مكان . فاضطر الذين يحاولون نقد الثقافة السائدة يومئذ ، ويريدون التسامي بالادب الجدي ، اقول اضطر هؤلاء الى توكيد المناهي الداكنة في الحياة ، حتى يساووا بينها وبين الصدق من جهة ، ويقابلوها بالزيف من جهة اخرى .

ذلك بان هؤلاء الناس كانون يقاسون الامرين من الامل والفرح ، ولذا فكلمة (عارية) بدت تحمل ارفع الثناء واجزل المديح اذا ما تدفقت من وجهة نظر نقدية ، يلازمها في ذلك (الوحشية) و (الحتمية) وهما من مشتقاتها المعروفة . ومن هنا اعجب الناس بـ (ايثان فروم) لا لشيء الا لان صراحتها (عارية) في افعال شخوصها ولان القدر الذي تصفه لا يعرف معنى للرحمة ، في عتوه وضرورة لزومه . تقع حوادث هذه القصة في قرية (ستاركفيل) بولاية (نيو انكلند) .

ليس من احد يرغب في التساؤل عن اي قيمة رفيعة يمكن اضفاؤها على عرض الحوادث الباعثة على التعاسة . الا اذا جعلنا هذه القيمة مجرد (كليشة) تدفع طبقة مثقفة معينة ـ والا اذا فرضناها علامة من علامات تفوق هذه الطبقة في مجالي الذكاء والحساسية ، والرقة العاطفية وحين يكون الامر كذلك يصبح من حقنا بل من واجبنا ان ننظر الى العري والوحشية والحتمية نظرة فيها الكثير من الشك وسوء الظن . وهنا لا يسعني مغالبة معتقدي الذي يذهب الى حد القول : ان سمعة (ايثان فروم) لم تكن لتبلغ هذا المبلغ لولا انها تشفي غليل الوضاعة المتعاظمة حديثا فيما له صلة بالمأساة والالم .

ونحن لا نقدر ابدا ان نتكلم على ايدث ورتون من غير اعطائها حقها من الاحترام . فقد اسدت الى قصصها ذكاء قويا محدودا ، وقوة ملاحظة بارزة ، ورغبة اصيلة في قول الصدق والحق وهي تلك الرغبة التي ارضتها بعض الشيء . ولكنها كانت امرأة محدودة العاطفة القلبية ، وهذا القصور بارز من الناحيتين الادبية والاخلاقية في نتاجها كله ، وبخاصة في كتابها (ايثان فورم) . فهو ظاهر بين في همود نثرها ، وجلي كل الجلاء في الام شخوصها. وكلما عانت شخوص القصة الاوصاب وتحملت الكوارث فعلت ذلك بوحي من المؤلفة التي تقع المسئولية على عاتقها ، ومن هنا فهي تبرر قساوتها بجد نواياها الاخلاقية .

ولكنها ـ في نظري ـ غير قادرة على ادعاء مثل هذا التبرير . فرغبتها في كتابة القصة لم تكن معادلة للمصائر المرعبة التي جاهدت لفرضها على شخوصها . وكل ما هنالك ، انها اغرقت نفسها في جهادها هذا ، ولذا فهي لا تعدو ان تكون « مجرد اديبة » . وهذا لا يعني ان القصد الادبي لا يثمر ثمارا مفيدة . ففي (ايثان فورم) تتجلى صورة الحياة في الموت ، والجحيم على الارض، تلك الصورة التي تكاد تنسى . فالكسيح ايثان ، وزينا زوجته المرعبة ، وماتي تلك الفتاة الساحرة التي احبها ايثان ، ولكنها سرعان ما انهارت فاصبحت طريحة الفراش ، تعارك الالم وتصارعه هؤلاء جميعا يعيشون في مزرعة (فروم) المهجورة ، ومن هنا فاستمرار الالم يذكرنا بلحظات العاطفة . انها لحظات

مرعبة ، لا تنسى ، اذا ما تأملنا فيها . ولكن الذهن لا يسعه ان يعمل شيئا بغيرها ، اذ ليس له من سبيل سوى تجرع غصصها .

واذن فقراءتي الجديدة للكتاب لم تقدني لتبرير شهرته ، وانما وكدت ذكرياتي القديمة التي عدت الكتاب شيئا ميتا ، اي نتيجة من نتائج الارادة الادبية الباردة . وبالاضافة الى ذلك فالكتاب لا يصلح موضوعا لاي مناقشة اخلاقية . ذلك بان نصه لا يعرض علينا وجهة اخلاقية محدودة الملامح بتاتا .

والان لنعتبر القصة كما هي . كان لاسرة من المزارعين في (نيو انكلند) شاب لطيف الاخلاق ، مستقيم السيرة . وكانت له بعض المواهب العقلية وشيء من الرغبة للتطلع على العالم . قضى هذا الشاب سنة سعيدة في احدى المدارس التكنيكية . ولكن عارضا من العوارض اقعد الاب عن العمل ، ومن اجل ذلك اضطر ايثان الى العودة الى المزرعة ، ومعمل النشارة . ثم مات ابوه ففقدت والدته قواها العقلية ، وفي خلال مرضها الاخير اعانتها احدى القريبات ، ولكن ايثان تزوج هذه الفتاة ، لا لشيء الا لانها انست وحدته القاسية . ثم لم يمض الا وقت قليل حتى اصبحت هذه الزوجة نكرة ، ثرثارة ، شكسة . ولاجل ان تتخلص زينا من المتاعب ، تحتم على آل فروم ان يستخدموا شابة ، فقيرة جميلة ، تدعى ماتي ، وكانت من قريبات زينا .

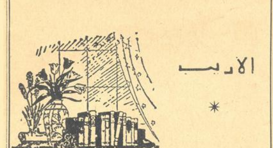
ويمر الوقت سراعا ، فيقع كل من ايثان وماتي في شباك الحب ، كان هذا الحب بريئا عميقا . وهنا تدرك الزوجة حقيقة الحال ، فتضع خطة لابعاد الفتاة ، لكي تحل محلها خادمة اخرى ، باهظة الاجر ، وكل ذلك من اجل تعجيز زوجها . وعندها يحاول ايثان وماتي الانتحار عشية فراقهما اليائس ، فيحاولان التدحرج من على احد السفوح الوعرة ، وبعد اتمام هذه العملية ، تخيب خطتهما ولكن على حساب كساح ايثان ومرض ماتي الدائم الذي يلزمها الفراش . والان تغدو زينا الزوجة ممرضة مخلصة وسجانة للعاشقين ...

بدت لي هذه القصة غير لائقة لان اتحدث عنها ، ولكن هذا لا يعني انها غير ذات اهمية كقصة ، على الرغم من ان اهميتها لا تجعلها قابلة للمناقشة ، وبخاصة في الموضوعات الاخلاقية .

غير اني ما ان بدأت اشرح للجنة المحاضرات عدم رغبتي في التحدث عن الكتاب ، حتى طرأت على بالي خاطرة مفاجئة ، اذ لمعت في ذهني الظاهرة التي استحدثها هذا الكتاب ـ فمن الامور البارزة المثيرة في هذه القصة انها قدمت الينا صورة مخيفة لحياة ثلاثة اشخاص ، في عذابها وتحطمها ، مبينة لنا كيف حل الهلاك بها ، من غير الاشارة الى دلالة اخلاقية معينة ، مهما كان نوعها . ولكنها مع ذلك تبعث فينا شيئا اكثر تحديدا ودقة مما نتطلبه من اي من القصص ، قد يكون الكتاب غير محتو على ذبذبة اخلاقية ، ومع هذا ، ففي نغمته جمال غريب صادر عن جو القصة المؤلم .

ربما تكون هذه النغمة غير موسيقية احيانا ، وقد تكون عديمة (المعنى) الا انها بالرغم من ذلك تسحرنا ،

الأديب



*

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 Tél.
المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

كأنها الحان متطايرة من قيثارة ايولية ، او كأنها انين الرياح في المداخن الخاوية ... وهذا الامر قد اصبح من الاهمية بمكان بحيث اصبحت ارى فيه سببا يدعوني لمناقشة (ايثان فروم) .

قلت ان خطيئة (ايثان فروم) الرئيسة تبدو في عدم وجود دلالة اخلاقية فيها ... ومما لا شك فيه ان ضربا معينا من الحشمة يسيطر على الالم الانساني حين يعرض عرضا ادبيا . وهذه الحشمة تصر على الا يقدم الالم تقديما عفويا من غير هدف ولا غاية . فالحقيقة العارية في معالجة الالم الانساني والتأمل فيه ليست سوى لهو عابث ، وقد تكون قساوة جارحة . ولذا انت تجد بين المأساة والمنظر العام شيئا من المماثلة على الاقل ، وهذا ما يمكن مشاهدته في الملعب الروماني ، والسرور المنبعث من هذا كله ، لا يكون كذلك الا لانه يجعلك تلحظ الام الاخرين .

ومن هنا فالمأساة تحاذي القساوة دائما ، وما ينقذها من الوقوع في هوتها هو قصدها الذي يتجاوز نطاق فعلها . وهذه الغاية ربما تكون ساذجة كتلك التي تجعلنا نحاول اصلاح شأن المعذبين ، او على الاقل تحملنا على الشعور بوجوب ذلك ، او لعلها تقودنا الى البحث خلف الاسباب الظاهرة ، التي يريدنا المؤلف ان نفكر فيها ، لانها اشد واقعية ، واحسن مثل على ذلك هو القدر ، او ارادة الالهة او انها ربما تتحدى شجاعتنا او ذكاءنا او رحمتنا .

وضرورة مثل هذا القصد تبعث الحياة في كل الاعتبارات التي تتصل بالتناقض الغريب الظاهر على المأساة . اهتم ارسطو جل الاهتمام بحل العقدة التي تبدو في السرور المباح المتأتي من التأمل في الالم الانساني . فاراد ان يعرف ماهية الاحوال الادبية التي تحتاجها المأساة كي تكون بعيدة عن الرعب المجرد . وهنا لا بد لنا من التذكر ان اليونانيين لم يكونوا يهتمون بابعاد المناظر المرعبة عن المسرح ، كما كنا نظن . ففي عرض مأساة ارسطو المحبوبة ، شاهد النظارة جوكستا معلقة بوتد ، كما رأوا محاجر اوديبوس الدامية ، وعلى هذه الشاكلة اكتشف ارسطو المأساة ، او تظاهر باكتشافها ، أعني انه عرف كيف تتحصن المأساة من الانزلاق في الوحشية الغاشمة .

يقول ارسطو انها تفعل ذلك عن طريق اختيار بطل من ضرب خاص ، له مكانة اجتماعية واخلاقية ، وله مظهر او وهم من حرية الاختيار على الاقل ، يسمح ان يبرر نصيبه في الحياة ، او يبدو كذلك بواسطة حالته الاخلاقية التي لا تعرف الصلاح الكامل ولا الفساد التام ، وله خطيئة تتعاون مع الدهر من اجل اهلاكه وتدميره . وغاية كل هذه الصفات في بطل المأساة هي التوكيد على امر يجعلنا نحس بشيء اعمق من السلبية حين نشاهد عذاب البطل ، أي ان في هذا العذاب بعض المعنى وشيئا من التعقل .

ونظرية ارسطو في المأساة ، كان لها انتشارها الواسع في العالم ، الى حد بعيد ، وذلك لما اتصفت به من شمول ودقة . ونجاحها يغري بالدرجة الاولى الى معالجتها الصريحة للتناقض الظاهري في المأساة . ولذا فهي تقضي اي شعور اثيم قد نستخلصه من السرور المنبعث عن الالم .

ولكن العالم الذي تقبل نظرية ارسطو هذه ، تقبلها بشيء قليل من القلق الحاصل من نتائجها المنطقية . والعنصر الذي يسبب هذا القلق في النظرية ، وخصوصا في عصرنا الحالي ، هو مكانة البطل . وفي هذا المجتمع الذي مسته عواطف المساواة ، تصبح منزلة البطل سببا لانكار الوقار المزعوم في المأساة على الناس الذين هم اخفض درجة من البطل ذاته . وكذا الامر بالنسبة الى الثقافة التي اخذت تتساءل عن حرية الارادة ، فهي لن تضع بطل ارسطو في مكانه المعهود . ذلك بان ارسطو في وصفه لبطل المأساة ، كان على صلة جلية بتعريفاته في كتابه (الاخلاق) وفي طبيعة العمل الاخلاقي .

ومن هنا فهو يحدثنا عن الفعل الاخلاقي الحق ، بانه ينبغي ان يكون اختيارا حرا بين بديلين وهذا التعريف يمكن ان يتعقد كثيرا اذا ما نحن امعنا فيه بحثا – اذ يجب على الانسان الملتزم بالاخلاق ان يكون مدربا على الاختيار الصائب ، وهذا لا يتأتى الا من العادة ، حتى يكاد يصبح غريزيا . ومع هذا قد يقال لمثل هذه العادة انها اختيار ، وان العقل قد لعب دورا في ابداعها . ولكنا في الحقيقة لا نعزو للعقل مكانة في عالم الاخلاق كما كان ارسطو يفعل وفي المائة والخمسين سنة الماضية عمل الدراماتيكيون والقاصون جهدهم لعرض الالم الانساني ، بغير وقاية ضد الوحشية ، وهي تلك الوقاية التي جهدت ارسطو واتعبته لفهمها وتطبيقها .

والجزء الاعظم من ادب اوربا الغربية يمكن فهمه بعبارات غرضها محاولة نقد البطل وقلب وضعه رأسا على عقب ، وذلك باستخدام المهزلة والسخرية ، او بالاصرارعلى الاساليب المبتذلة ، او بالتقليل من مركز البطل الاجتماعي ، او بالتخفيف من قوة اختياره المتعقل . ونتاج فيلدنغ يصح ان يعد مثلا على كيفية عمل الذهن الاوروبي ، وما تخيله من صور عظيمة ، وما تأثر به من المآسي الكلاسيةومحاولته لاستحضار تلك الروح الشهيرة . وحين يسمي فيلدنغ بطله توم جونس ، انما يقصد من ذلك ان هذا الشاب الذي تشمله برعايته ، ليس هو اورستيس او اخيلوس ، وعندما يجعله لقيطا لا يريده ان يكون اوديبوس ، على الرغم من كل المظاهر المعاكسة لذلك .

وعلى هذا ، فاديث ورتون ، لم تعمل شيئا غيراقتفاء آثار الاخرين . فدافعها ، في استيعاب قصة (ايثان فروم) لم يكن قصده التجربة الاخلاقية . وانما كان هذا الدافع مجرد نزعة ادبية ، في اسوأ معاني هذه الكلمة . فهدفها لم يكن هدف وردزورث في اي من قصصه (الشعرية) التي تتناول شؤون الفقراء المعذبين ، من اجل فتح اذهاننا لادراك ما يعانيه هؤلاء عندما يمسهم الالم . ولا هو يماثل مقصد فلوبير في (مدام بوفاري) الذي يستخلص من الاحوال القذرة جميع الرحمة والرعب ، اللذين يطبعان الحكايات التراجيدية القديمة بطابعيهما .

ثم ان غرضها كذلك لا يشابه غرض دكنز او زولا ، الذي يهزنا هزا لفهم الجور الاجتماعي ، وتعليمنا على طبيعة الحياة الاجتماعية الصحيحة ، وكل ذلك من اجل اغاضبنا وحثنا على العمل . وهذه الامور ليست مقاصد ادبية ، في اساسها وجوهرها ، وانما هي اقرب شيء الى الاغراض الاخلاقية . ولكن جل ما كان في ذهن ايدث ورتون لم يتعد نطاق الالم والسجن في الحياة وسط الموت . اما الحوادث التي تقودنا الى هذا كله فامور لم تجدها مطلقا . واحسن ما يمكن قوله عن معنى القصة هو انها يمكن ان

تكون موضوعا للمناقشة في دراسة الريف من الوجهة الاجتماعية . وقد تفهم على انها بحث في الحب والسرور وكيف انهما لا يعيشان في نضارة وازدهار في مزارع نيوانكلند المصابة بالفقر المدقع .

واذا ما جربنا ان نضع القصة في نطاق الاخلاق ، فان مغزاها عندئذ سيتحدد بالاعتبارات الثقافية المجردة — اي انها ستقول للناس الذين يعدون ادبهم مظهرا « من مظاهر الحياة الباسمة » ستقول لهم « هذه هي الحياة في صورتها الحقيقية ، في بؤسها وشقائها » في حين انها ستخاطب الذين يستنكرون الادب الذي يمثل وجوه الحياة الضاحكة، بقولها « انكم اذكياء وشجعان لقدرتكم على فهم الحياة في جهامتها وشناعتها . » والحق انه ليس من شيء غريب في هذا .

ومع ذلك ، ففي (ايثان فروم) اهمية بارزة . فهي على ما هي عليه من حال ، ليس بسبب قوة المؤلفة بل بسبب ما استولى عليها من ضعف وقصور ، ذلك بان هذا الامر يلائم رغبات ايدث ورتون الواهنة ، فهي تقنع بسرد قصة عن افراد الشعب الذين لا يتوصلون الى قرارات اخلاقية حاسمة ، والذين لا تمتاز مصائرهم بحركة ادبية . والفكرة في هذا الشأن هي هذه : ان القصور الاخلاقي ، أي عدم اتخاذ الخطوات الحاسمة ، هو الذي يكون الجزء الاكبر من حياة الانسانية — في واقعها الاخلاقي . وهذه فكرة لا يعالجها الادب ، لانه يبغضها ويمقتها . ذلك بان الادب لا يعجبه شيء بعدل الحيوية ، ومن هنا كانت العداوة بينه وبين القصور الذاتي .

ترى ذلك في تمثيله الجلي للاخلاق كعمل ايجابي . ويصدق هذا ايضا على الفلسفة الاخلاقية في الغرب . فمنذ ارسطو يعد العمل الاخلاقي قوة عقلية ، تمتاز بالاختيار احر . اما اخر تطور في هذا الاتجاه فقد جعل الفعل الاخلاقي اصيلا اذا تعارض مع ميول صاحبه : وقد انصب سيل من النقد الشديد على هذه الفكرة، حتى قيل ان العمل لا يكون اخلاقيا اذا اقتصر على الاصدقاء . ومع هذا فحياة العالم اليومية الثقيلة ترى شيئا تحت ما تهتم به الفلسفة الاخلاقية والادب من امور براقة وضاءة ، لانها مدركة لاخلاق القصور الذاتي ، في وظيفته كقاعدة اجتماعية لضبط الكيان العام . وهي تعرف ان الواجبات لا تنفذ الا لانها تسمى واجبات . واكبر سبب في هذا يعود احيانا الى المنفذ الذي لا يدرك طريقة اخرى ، او هو ربما يخاف من التفكير في اتجاه آخر . .

وهذا يعني ان العادة هي المسيطرة على الاخلاق . ومن هنا ، فاخلاق (ايثان فروم) ساذجة غير متسائلة ، وسلبية ، وقد تكون ماسوشية(١) . فهو في صباه لا يعير واجباته بالتفاتة ، وهو كزوج لا يهتم بها كذلك ، ومن اجل هذا نراه لا يعمل شيئا . وفي مرحلة واحدة من قصته نجد الازمة الاخلاقية آخذة بتلابيبه — ان عليه ان يختار بين واجبه الاعتيادي تجاه زوجته وواجبه وميله حيال الفتاة التي احبها . فليس من المحتمل بتاتا ان يعالج هذه المعضلة ، كما يفعل الادب والفلسفة الاخلاقية — عن طريق العقل والاختيار . وعلة ذلك ان الاختيار لا يلائم فكرة وجوده ، لان كل ما يحق له من انتقاء واصطفاء لا يتعدى حرية الموت .

وطبيعي ان الادب لا يمكن ان يظل غير مبال تماما بما اسميته اخلاق العادة والطبيعة ، او اخلاق القصور الذاتي . ولكنه يتناول هذا الموضوع بشيء من اللطف والبشاشة . فهو لا يعرف الحرية التي تعرضها علينا قصة فلوبير (القلب الساذج) لان مثل هذه الحرية فضيلة كاملة ، عمياء ، ومحبة لا تساءل فيها ولا تفكير . صحيح ان ثمة اناسا يشبهون — في الواقع — فيليسيتي(٢) — في طيبتهم الساذجة ، ومحبتهم الحمقاء . اذ نحن نلتقي بمثل هؤلاء مرارا في الادب ، في صفحات بلزاك ودكنز ودوستويفسكي وجويس ، وفوكنر وهمنغوي . انهم يختلفون كل الاختلاف عن هؤلاء الذين يجربون العالم بعواطفهم وعقولهم : فهم قديسون من نوع خاص اقل ارتباكا.وهم لا يمثلون ما اعنيه بالقصور الذاتي اوالطبيعي، ولذا فالادب لا يرتاح لعرض هذا القصور ، ورغبة منه في التغلب على الضعف نراه يضيف عليه شيئا من نعمةالغبطة او القداسة .

ولكن اخلاق الضعف هذه يسعنا العثور عليها في قصائد وردزورث . فهو معروف بتجاربه التي تعرض علينا انواعا مختلفة جديدة للعمل الاخلاقي — وكان من العبقرية بحيث انه كثيرا ما اضفى وجودا اخلاقيا على اناس يحسبون في عداد الموتى في الكتب الكلاسيكية . وكان من البرودة بحيث لم يتورع من اقصاء القداسة والنعمة الربانية عمن تناولهم في قصائده . اما القصيدة التي تخطر على بالي — في هذا الصدد — فهي — في ظاهرها — تبحث عن زهرة ، ولكن الانتقال من الرمز الى الحقيقة البشرية واضح كل الوضوح ، على الرغم من بعض التحرج ...

ومن هنا نجد الضرورة هي التي تفرض نفسها لا الشجاعة ولا الاختيار . وهي هي الاخلاق التي تقسرنا الاحوال الوحشية على احتذائها ، من طريق الطبيعةالبشرية والعادة ، والمتطلبات الاجتماعية التي لا نقوى على رفضها ، او حتى على تصور مثل هذا الرفض . والناس الذين يحيون على وفق هذه الاخلاق ، لا يكاد الثناء يصيبهم ، لسبب واحد هو اننا لا نعطيها اهمية تذكر ان لم تخرق .

وهذه هي الاخلاق المتعارف عليها عند جماهير الناس في العالم . وبهذا المفهوم تنتفي اي علاقة بين الاخلاق والقدر .

فقد يكون للقدر بعض التأثير في حياة البشر ، وقد تكون للاخلاق تأثيرها . اما بالنسبة الى ايثان وماتي فليس في حياتهما الاخلاقية ما له صلة بالمصير المرعب الذي انحدرا اليه . فكل ما هنالك هو حدث طارىء ونتيجة غير مرتقبة .

انا لم اتكلم على اخلاق القصور الذاتي من اجل الثناء والمديح . وانما لانني اعتقد ان معظم الناس يعملون ما يعملون من غير تفكير ولا اختيار ، وقد ينتهون الى نهايات معيبة ميكانيكية . والامر الذي اصر عليه هو الاعتراف بالحقيقة التي قدمتها ايدث ورتون ، تلك الحقيقة التي كثيرا ما ننساها وينساها الادب .

العراق — بعقوبة

يوسف عبد المسيح ثروة

(١) الماسوشية ، هي محبة ايذاء النفس والتلذذ بذلك ، المترجم .

(٢) هي بطلة (القلب الساذج) لفلوبير ، المترجم .

شهيد بور سعيد

الجسم اخر منحة للارض
يرجعها الشهيد ..
والروح كانت للسماء فردها ..
لم يبق من دين عليه
حتى الكفن ..
من قلبه دفع الثمن
والدم اخر ما تجود به
يد البطل الشهيد ..
روحي على كفي
وجسمي في التراب
وعلى الحشائش بقعتان من الدماء
يا رفقتي ذهب الشباب ..
وأنا أقبل كل زاوية وباب
أتحسس الجدران في شغف
وفي صدري حنين ..
فهنا ولدت ..
وهنا نموت ..
وهنا لهوت ..
وهنا أودع كل شيء ..
أهلي وداري والحديقة
كل شيء ..
اني اموت وملء عيني ابتسام
وصدى غمام ..
مطرا سيهطل في الدروب
حبا سينبت في الدروب
اني اذوب
وليس في عيني دموع
لا شيء من ألم هنا
بين الضلوع
فأنا شهيد ..
والدمع آخر ما تفيض به
عيونك يا شهيد ..
اني بذلت لاجلكم كل الحياة
اني أموت هنا لامنحكم حياة
اني اموت وفرحة ملء العيون
اني اموت وبسمة فوق الشفاه
واريت قلبي في التراب
ومنحت روحي ، للسماء
ووهبت اهلي نقطتين من الدماء
ورجعت للارض الحبيبة
جسما بلا روح ولا دين علي
ما اسعد الانسان حين يموت
لا دين عليه ..
وينال ما يهفو اليه ..
ويعانق الدنيا بكل قوى يديه

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف

قصة عراقية

نهاية شهر العسل

بقلم حارث طه الراوي

كانت جيوش الفجر تلوح باعلامها في أفق السحر ، وتزحف زحفا بطيئا نحو « عانه » القرية العراقية النائمة على ضفة الفرات . وكانت القرية عائمة في بحر من السكون . سكون شامل لا تكدر صفاءه أغاني النواعير التي تدور من غير كلل اوملل

تململ « رضوان » في فراشه ونظر الى زوجه الحامل النائمة واستمع برهة من الزمن الى شخير بناته ، ثم اخذ يحدث نفسه : لقد كانت ليلة عابسة ، ليلة كئيبة، ليلة مزعجة ... انفقتها بالاستماع الى ثرثرة والدتي وصراخ زوجتي المزعج ... ، ماذا تريد مني زوجتي العاقر ؟ او ليست « عاقر » هذه التي لم تلد لي غير البنات ؟ وماذا اصنع بجيش البنات هذا ؟ والى متى اظل منكسا رأسي بين عشيرتي وابناء قريتي ؟

« رضوان بلا اولاد » : هذه هي الاهانة التي تطاردني ليلا ونهارا وتكاد ان تجهز علي وتخنقني وتنقذني من هذا العار !!

ما فائدة المزرعة ، مزرعتي ، والمال، مالي ، بلا أولاد ؟ وحتى هذا الحمار بن عمتي يملك ولدا يداعبه وسيرثه ويخاصمني في المستقبل على الاملاك»

وارتعش شارباه وتأججت النيران في عينيه اللتين فقدتا كل ما فيهما من شبه بعين الانسان وصارتا بعد ان قفز نزقه الى الذروة ، أشبه ما تكونان بعيني ذئب من الذئاب التي تهاجم القرى عند اشتداد الجوع .. وكاد رضوان ان يصيح بأعلى صوته: يا سكان الدنيا خبروني ، هل يوجد بينكم رجل متزوج من غير اولاد ؟ ــ يا سكان العالم ــ هل يوجد بينكم رجل متزوج مبتلي بالبنات فقط ؟ ولكنه خشي ان يوقظ النائمين نيزعجونه بنقاش يدور في حلقة مفرغة

فقد صمم على الزواج من فتاة بدوية تسكن في قرية تبعد عن « عانة » حوالي اليوم اذا كانت واسطة السفر ظهور الدواب .

نظر الى زوجه النظرة الاخيرة فألفاها ، وهي مغطاة باللحاف ، تشبه البدر عندما يتدثر بالغيوم .. ولكن جمالها لم يكبح جماح غريزته الثائرة وافكاره المتمردة ، فهو يريد ، باصرار ما بعده اصرار ، اولادا ، ويعنى أشد العناية بمن تلد له الذكور ..

امتطى رضوان صهوة حماره الابيض ، ودس في الخرج رزمة من الارغفة والبيض المسلوق ، وغادر البيت ، وهو يحلم بتلك البدوية الجائعة التي طلبت منه يوما ما ، قطعة صغيرة من القثاء لتسد بها جوعها ..

ما كاد رضوان يبتعد عن البيت قليلا حتى تذكر انه نسي البندقية ، اي انه نسي المهر المعجل الذي وعد به « الحاج مطرود » والد « حفصه » زوجته المنتظرة . فعاد الى البيت واستل البندقية بسرعة خاطفة ، وامتطى حماره، واسرع في هربه. ولما بلغ ضاحية القرية ترجل من حماره ونزل في مزرعة يملك فيها حصة صغيرة ، وتزود بالقثاء ، واستأنف سفره . وما هي الا دقائق حتى انبلج الفجر ، ونثرت الغزالة انوارها الوردية الساحرة الناعمة على امواج الفرات النحاسية التي كانت تتدافع بعنف وصخب . اذ ذاك تلفت رضوان نحو قريته فلم يلمح غير اشجار النخيل وراس المغارة البيضاء ... فارغمته عاطفة الابوة على ان يفكر ببناته ، بفلذات كبده ، ولكنه لم يفكر طويلا في هذا الامر ... وتعب حماره بعد ان هجعت شمس الاصيل في الافق الدامي ، فترجل رضوان ووضع الخرج على الارض الصخرية بعد ان اخرج ما فيه من بقايا البيض والخبز والقثاء ، وتطلع الى ناعور قريب ، فذهب اليه بعد ان ربط حماره ، فأخرج كوزا من الفخار اعتاد الفلاحون ان يضعون على صخرة بالقرب من الناعور ليلتقط الماء العذب الصافي من اكواز الناعور الدائر . وشرب المسافر من الماء العذب الذي مرت عليل انفاس ايلول فزادته عذوبة

ونظر الى امواج الفرات النحاسية الثائرة المتلاطمة فألفاها ، وقد غربت الشمس ، رمادية قاتمة ، كئيبة ، وتوضأ ووضع خرجه فوق الاعشاب ليصلي صلاة المغرب . وما كاد يقف ليشرع في الصلاة حتى سمع صوتا مدويا لم يعلم مصدره ، صوتا يعنفه ويقول له : « اتكذب على الله ؟» فتلفت مذعورا فلم ير شيئا ، فارتعش وخارت قواه ولم يدر بان الصوت كان منبعثا من ضميره المغلوب . فوضع خرجه بيده المرتعشة على ظهر حماره ، وامتطاه واتجه نحو مرابع الاحباب ...

وهجم الليل ، ونثر الوحشة على طريق رضوان، بسخاء ما بعده سخاء، فصار رضوان يفكر في كيفية الخلاص من الذئاب بعد ان كان يفكر بالبدوية الحسناء . وما هي الا دقائق حتى استعرت عيون الذئاب في ذلك الليل البهيم ، فتلمس رضوان بندقيته وتاكد من انها محشوة بالرصاص ، وتلمس خنجره ، واحس ان يدا تربت على كتفه فالتفت وهو يصرخ مذعورا، فسقط من الحمار ، فاستأنف حماره السير ، وتلفت صاحبنا فلم ير شيئا ، فقد كان رضوان منطلقا مع الاوهام. واخذ يعدو مذعورا ، نحو حماره ، وامسك بالرسن ، بعد جهد جهيد . وما كاد يمسك الرسن حتى لمح ذئبا على بعد عشرة امتار ، يعدو نحوه ، فصوب نحوه فوهة بندقيته واطلق النار عليه . والظاهر انه لم يصبه في مقتل ، بدليل ان الذئب اطلق ساقيه للريح فتبعته الذئاب لتفترسه، فنجا رضوان بهذه الصدفة . ولكن الذعر لم يفارق افكاره القلقة . وبعد ساعات انفقها وهو من القلق في الذروة ، لمح السنة من النيران تتأجج ولما امعن النظر فيما حوله ادرك انه على قاب قوسين او ادنى من مرابع الاحباب، فتذكر بيتا من الشعر سمعه من خاله قبل عشرين سنة ، ولم

يفارق ذهنه ، فاخذ ينشد هـــذا البيت الرائع :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل
ومل الحادي وتاه الدليـــل

بصوته المزعج ـ ولما مل حماره من سماع صوته المنكر ، اخذ ينهق نهيقا متصلا لا هوادة فيه ، فامتزج النهيق البشري مع النهيق الحيواني في ذلك النيل البهيم . ولما وصل رضوان الى الخيام المنتشرة ، استقبله الحـــاج مطرود هاشا باشا ، وبيده المرتعشة قنديل يصارع الموت ، وعانقه ثـــم همس بمسمع ابنه « حمود » همسة أدت الى بتر راس خروف كان يمـــرح امام الخيمة . وانطلقت عاصفة مـــن الزغاريد النسائية من خيمة مجاورة ، وجيء بشيخ هرم يحمل القـــرآن الكريم وجاء خال حفصه وقـــــال للحاضرين : « وكلتني اختي عـــلى ان اقوم مقامهـــا في مجلس العقد » وجلس . وبعد دقائق تم العقـــد بحضور رجل الدين وشهادة الشهود ، وثارت عواصف الزغاريد مرة ثانية ، وكانت أشد عنفا من السابق ، يتخللها ضحك وصخب نسائي معهود فـــي تلك المناسبات السعيدة ...

وبعد برهة من الزمن جاء رجـــلان يحملان صحناكبيرا يدعى بين الاعراب بـ « المنسف » وعليه خروف مسلوق هاجع على رابية من الرز . فقـــدم والد « العروس » رأس الذبيحة الى رضوان جريا مع العادة القبلية الواجبة الاتباع . فأكل القوم حتى تبلـــدت اذهانهم من كثرة ما اكلوا ، وشربـــوا القهوة العربية بعد انتهائهم من تناول الزاد مباشرة ، وبعد احاديث مرحـــة حول شجاعة فلان ومروءة فـــلان ، زف رضوان الى خيمة بعيدة خصصت لليلة الدخـــول . وكانت العروس تنتظره في الخيمة بفارغ الصبـــر ، فدخل بها رضوان بعد ان تمزقـــت طبلة اذنه بالزغاريد النسائية الصاخبة واصوات الطبول المملة ...

وفي اليوم التالي ودع رضـــوان مرابع الاحباب واصطحب «العروس» الى مزرعته التي تبعد ثلاث ساعات ، على ظهور الدواب ، عن مرابع الاحباب وآثر ان ينفق شهر العسل في منزله الريفي البسيط بعيدا عن ضجـــة الناس وتعليقاتهم . وقـــد ذاق « رضوان » لذة العسل في كـــأس السعادة الزوجية ، بعد ان مـــات ضميره ، وتحجر احساسه ، وتبـــلد ذهنه ، واصبح عبدا لغريزته الجنسية الملتهبـــة .

وفي اليوم الثلاثين من شهر العسل جاء من « عانه » ابن عمته « حامد » الذي يملك حصة في مزرعة رضوان بعد ان انفق اسبوعا في عانه بـــين زوجته واطفاله . فشاهد رضـــوان يمزح مع حفصة وسمعها تبعث ضحكة عالية ذات اجراس . فتوجه نحـــو رضوان ، وبعد ان حياه تحية بـــاردة طلب منه ان يكلمه على انفراد . فنزل رضوان عند رغبته وهو من الذهول في الذروة . وبعد ان ابتعدا عـــن حفصة قال له حامد : « لقد ولـــدت زوجتـــك في عانه والمولود ذكـــر والحمد لله » . ما كاد رضوان يسمع هذا النبأ حتى غمرته موجة مـــن الفرح المزوج بالحيرة ... حـــيرة الذي لا يدري الى اين يتجه ولا يعرف العقيدة والتصميم . وحاول ان يبتسم وفغر فاه ليرسم لحامد ابتسامة باردة بلهاء اكدت حيرته الثائرة . وترامت على ذهنه اسئلة موجعة وقال لنفسه : ترى لماذا تزوجت حفصة ؟ الاجـــل المتعة وتطمين الغريزة ام لاجـــل الولد ؟ واطرق وانحنى نحو الارض وحمل حجرا صلدا وقال لنفسه : لقد انتفى الباعث على الزواج من البدوية الحسناء ولكن كيف استطيع ان اطلقها ؟ وكيف استطيع ان اجني جنايتين ؟ بل كيف اقوى على فراقها وقـــد امتزجت روحي بروحها ؟

كانت حفصة تلمح حيرة رضوان عن بعد ، وتحس بقلقه ، ولكنها لـــم تتنبأ بما يختلج في جمجمته مـــن افكار ، ولا تعلم ان الايام قد طعنت مستقبل سعادتهـــا الزوجية فـــي الصميم ، ولكنها قلقت على اي حال وكادت ان تهتف : «ما بك يارضوان؟» ولكنها آثرت السكوت ، لان رضوان يشتم عندما يسمع ما يزعجه ويثير اعصابه . وتوجه رضوان بعد ذلك الى حفصة بخطى بطيئة تدل على انهيار الاعصاب . فتطلعت حفصة الـــى عينيه الملتهبتين ووجهه الاصفـــر الذابل وقالت له بلهجة الواثق مـــن كلامه : « عسى ان يكون الخبر خيرا » فسكت رضوان ، واكتفى بنظرة بلهاء سلطها على زوجته المنكوبة وبعـــد لحظات ، تململت شفتاه ورسمتا مـــا يشبه الابتسامة الذابلـــة ، اذ ذاك ارادت حفصة ان تعانقه وتقبله لتهون عليه وقع ما سمع ، فتلفتت ولما لمحت حامد من بعيد خنقت رغبتها ودفنت أعز شعور لديها في تلك اللحظات . عند ذاك تمتم رضوان بصوت متهدج مرتعش : « يا حفصة ، لقد ولـــدت زوجتي والمولود ذكر ... » .

ما كادت « حفصة » تسمع هـــذا النبأ الفادح ، المفجع ، حتى غمرتهـــا امواج الاغماء ، فسقطت فورا عـــلى الحشائش واستسلمت لغيبوبة رهيبة فانحنى عليها زوجها المذهول وصاح بصوت مرتعش مشحـــون بنبرات الاستغاثة والتوسل « يا حفصة .. يا حبيبتي الغالية ... ردي علي ، قولي لي : ماذا تشعرين يا روحي ... قولي ... قـــولي ... قـــولي .. » ولكن حفصة لم تفق من غيبوبتها ولم تسمع كلمة واحدة من كلمات رضوان الحائر . فحملها زوجها برفق وادخلها الى المنزل الريفي ووضعها عـــلى الفراش ، ولما غربت الشمس اشعل رضوان قنديله القديم وأعد لزوجته كوبا من الشاي لينبه اعصابها ، وناداها لتتناول الشاي فلم يسمع الا صـــدى ندائه . كانت انفاسها متقطعة ، وكان صوت المنية ممتزجا مع زفيرها الرهيب

لقد انطفأ بهاؤها وتوارى حسنهـــا واصبح وجهها يشبه اوراق الخريف . وبقيت على هذا الحال حتى الصباح ، وبقي رضوان بجانبها والدموع تنفق من عينيه بغزارة . والقى رضوان من كوة المنزل نظرة خاطفة الى شمس الصباح وهي تبزغ في الافق القاني ، فشعر بشيء من الطمأنينة العابرة ، وما كاد يلتفت الى حفصة حتى الفاها جثة هامدة . بلا انفاس ولا احساس ... لقـــد ماتت . فأخذ يبكي كالاطفال وخـــرج من منزله مذعورا ونادى على حامـــد والفلاحين واخبرهم بالمصيبة ، فهالهم النعي الا ان احدا منهم لم يعطف على رضوان لان عطفهم على زوجته الاولى طغى على كل عطف اخر ...

ودفنت حفصة بعد ساعتين في زاوية من زوايا المزرعة وعاد رضوان الى عانه واستأنف علاقته الزوجية مع زوجته الاولى التي ولدت له ثلاثة اولاد بعد الولد الاول .

بغـــداد **حارث طه الراوي**

كبرياء

*

أنا ان قصت الخطوب جناحي ... واختفى زورقي ومات صباحي

وعلت مرجتي الكبيرة موجات ... اصفرار .. وحطمت اقداحي

واباح الشقاء قلبي وآماني ... وحبي لقاسيات الرياح

لا تنوحي ولا تقولي حرام ... فتزيدي متاعبي وجراحي

أنا ابن العذاب والالم المضني ... رفيق الاحزان والاتراح

ولدتني الحياة في ليلة خرساء ... ظلماء في الطريق المباح

ورمتني كأنني لست منها ... في صقيع الأسى وثلج النواح

عذبتني الايام . عذبني دهر ... عتي اقسى من السفاح

ابدا اسأل الدروب ولا شيء ... هنا في الدروب عن مصباحي

كلما مر في حياتي هناء ... خنقته جحافل الاشباح

* * *

لم انا لا اثور ، لا املأ الدنيا ... كفاحا يفوق كل كفاح

لم انا لا اكون ، خفقة قلب ... همس حب ، على شفاه الاقاح

وضلوعي تقتات شوق فؤادي ... لشموخ الذرى وكبر البطاح

* * *

سوف احيا وسوف ابني قصوري ... رغم انف الردى وانف الرياح

فالعظيم العظيم من يقهر الصعب ويبقى في لهفة للساح

دمشق ... الياس الفاضل



برنارد شـو ـ العقـل الساخر

لعبد اللطيف شرارة ـ ٢٥٠ صفحة ـ منشورات دار بيروت

صدر هذا الكتاب في لبنان منذ بضعة اشهر ، فاحببت ان اطالعه لانني من المعجبين بآثار شو وبسيرة حياته . وانا من رأي الاستاذ سلامة موسى الذي يرى ان افضل سفر يكتبه مؤلف هو حياته التي يحياها والمثل الذي يستطيع ان يعطيه من خلال تلك الحياة . وقد كانت حياة شو غنية حقا : بالامثلة السامية . وكنت قبل عامين قد درست جميع آثار شو وجميع ما وصل الي من الكتب عن سيرة حياته . قاصدا من ذلك ان اضع مؤلفا بالعربية عن هذا الانسان الفذ . ولكنني مع الاسف لم اوفق للعثور على دار نشر تقوم بطبع الكتاب .

اقول هذا لكي اؤكد سلفا للقراء وللاستاذ شراره انني ملم بموضوع شو الماما كافيا واود ان اسارع للقول بان كتاب الاستاذ شرارة هو دون شك افضل ما صدر عن حياة شو باللغة العربية . فكتاب العقاد الذي ظهر في سلسلة « اقرأ » هو كتاب مهلهل سخيف يستغرب الانسان المثقف صدوره عن قلم العقاد « الجبار » . وهناك كتابان اخران : « جورج برنارد شو » بقلم ميشيل تكلا ١٩٤٦ وفيه رسالة خاصة للمؤلف من شو و « جـورج برنارد شو ـ فلسفته وشخصيته » بقلم فله فهمي بـدوي ١٩٤٤ . ولكنهما لا يرتفعان الى مستوى كتب السيرة الجيدة .

ويبدو من الكشف الذي نشره المؤلف في مؤخرة الكتاب عن المصادر التي اعتمد عليها انه لم يطالع جميع مؤلفات شو ومنها ما هو غاية الاهمية كالسفر الضخم الذي تفرغ لتاليفه ثلاث سنوات كاملة « دليل المـرأة الذكية » ، كما يبدو انه اطلع على بعض مؤلفات شو في ترجمتها الفرنسية ومن اهمها سيرة حياته كما كتبها بنفسه « صورتي في ستة عشر رسما » والكلمة رسم Sketch ترجمها الاستاذ « خط » . ولعل سبب هذا نقله عن الفرنسية .

ثم من الواضح انه لم يطلع على افضل ما كتب عن شو ، ومن ذلـك كتاب « برنارد شو ـ حياته وشخصيته » تاليف هيكست بيرسون . وقد كتب الجزء الاول والاكبر منه خلال حياة شو . وكتب الجزء الثاني بعد وفاة شو . ولا شك في انه افضل ما كتب عن حياة شو من حيث الشمول وسعة المعالجة . وقد علمت ان سيرة حياة جديدة قد ظهرت في انجلترا مؤخرا بقلم سنت ارفين . وقيل لي ان هذا الكتاب الاخير ممتاز وثمين .

ولا ادري اذا كان المؤلف الفاضل قد قرأ جميع المقدمات التي كتبها شو لمسرحياته . والتي كانت تحتوي على ارائه في مختلف الشؤون ، وعلى حلوله للمشاكل الكبيرة التي كان يعرض لها في مسرحياته .

وفي المقدمة التي كتبها الاستاذ شرارة لهذا الكتاب ، اوضح لنا رايه في كتابة السيرة ، وهو يقسم السيرة ـ علميا ـ الى اربعة فصول : نحو .... من ... مع ... بعد ... وقد يكون رايي الاستاذ صائبـا (من وجهة نظر علمية) ولكني لاحظت ان هذه الخطة تستلزم توسعاعظيما قد يصل الاسراف فيها الى الجور على « السيرة » التـي هي موضوع الكتاب . وهذا ما فعله الاستاذ شرارة .

ففي الفصل الاول « نحو برنـارد شو » يستغرق المؤلف نحوا من خمسين صفحة في التحدث عن الثورة الفرنسية وآثرها في الفكر الاوروبي وعن المدارس الادبية المختلفة وعـن الجزر البريطانية وجغرافيتها وعن نوعية الجيل الذي عاش في العصر الذي نشا فيه شـو وينقضي الفصل دون ان يحظى القارىء بشيء كثير عن شو نفسه .

وفي الفصل الثاني « من برنارد شو » يستغرق المؤلف صفحـات عديدة في التحدث عن ارلندا وتاريخها ، وعن دبلن واحداثها . ثم يخلص الى التحدث عن اسرة شو ونشاته . وفي الفصل الثالث يحدثنا عن ابسن فنكاد نحسب ان المؤلف يكتب سيرة حياته لاسيرة حياة شو .

ولا بد ان يحتج المؤلف على هذا بقوله انه يريد الاحاطة بموضوعه من جميع الوجوه . وان الحديث عن شو يستلزم حتما الحديث عـن المؤلفين الذين تأثر بهم . وعن المؤثرات المختلفة التي فعلت فعلها في ادبه ونفسه . وجوابي على هذا ان اتباع هذه الخطة يقتضي المؤلف ان يضع كتابا في عدة مجلدات كي يفي السيرة المبحوث فيها حقها ايفاء كاملا . هذا مع العلم ان معظم ما جاء في هذا الكتاب عن شو لم يكن في الصميم بل كان يمس حياته مسا رفيقا (« من بعيد لبعيد ») ويصح ان يوصف بانه كتاب ، على هامش ، برنارد شو لا كتاب يؤرخ سيرة حياته وادبه ـ في المليان ـ

وهناك ملاحظات اخرى منها قوله : ان شو « قرر ان يكتب خمس صفحات كل يوم مهما كانت الموانع وقد وفق الى ذلك احسن التوفيق » ويخيل للقارىء ان شو اتخذ لنفسه هذه الخطة طيلة حياته ، ولكـن حقيقة الامر ان شو روى انه اتخذ هذه الخطة في السنوات التي كتب فيها رواياته الخمس فقط ، وذلك اول عهده بالكتابة . وقد روى ذلك في معرض السخرية .

وهناك هنات منها انه يعطي ترجمتين لاحدى مسرحيات شو « رجل القدر » ثم « رجل المصير » ولا ادري لماذا يصر على قـول « دجون » ترجمة لاسم جون Joan وهو قول ثقيل . ثم هو يترجم رتبة Major العسكرية « آمر لواء » . ان رتبة ميجر العسكرية يعادلها عندنا « رئيس اول » . واذا ترجمنا آمر لواء الى الانجليزية وجب ان نقول « جنرال » . لقد اعطى شو لبربارا رتبة ميجر لا رتبة جنرال ولم نسمع انه اوصـى بترقيتها ! وهناك ترجمته الحرفية لكلمة Room عندما قال شو « ليس في روما متسع لبابوين » . ان Room تعني هنا « مكان فـارغ » لا غرفة.والانجليز يستعملونها دائمابهذاالمعنى اوذاك. وكل معنى لهمناسبة.

وكنت ارجو لو ان المؤلف اثبت في مؤخرة الكتاب كشفا بمؤلفات شو باللغة الانجليزية وترجمته لها بالعربية كي يتاح للقارىء الذي يعـرف الانجليزية ان يتذوق المعاني الواردة خصوصا وان ترجمة بعض عناويـن الكتب لم تكن موفقة لصعوبة نقل المعنى في عبارة موجزة وافية . خذ مثلا Too True To Be Good وترجمتها «من الجودة لا يصدق» ثم Village Wooing وترجمتها «مناجاة قرية» ، بينما يجب ان تترجم « الغزل في القرية » لان المناجاة او الغزل لم تكن في شخص القرية ، بل دارت بين شخصين قرويين The Six Of Calais وترجمتها « ستة كاله » وهي ترجمة لا يفهم القارىء العادي منها شيئا . وكان يجب ان تترجـم « ستة رجال من كاليه » وهلمجرا .

انا لا انكر الجهد الطيب الذي بذله الاستاذ شراره . ولكن سيرة شو ضاعت بين مختلف التفاصيل التي لا ضرورة لها . ولو ركز المؤلف جهده في « سيرة » شو وحدها لقدم لنا صورة اكثر حيوية ووضوحا .

الاردن ـ المفرق — سليمان موسى

الكميت بن زيد الاسدي

للدكتور احمد صلاح الدين نجا ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات دار العصر بيروت ـ مطبعة الاتحاد بيروت

من الدراسات الادبية الصادرة في مطلع هذا العام كتاب « الكميت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة السياسي في عصر بني امية » وهو رسالة طريفة طرحت للمناقشة فنال بها المؤلف الاستاذ احمد صلاح الدين نجا شهادة الدكتوراه من احدى جامعات فرنسة .

تتميز هذه الدراسة من بين الدراسات الكثيرة التي تقدم هذه الايام « اطاريح » لنيل درجة علمية ما بمميزات وخصائص نوجزها في ما يأتي :

ـ جدة الموضوع فالابحاث عن الكميت لا تزال قليلة ، والاشياء التي يعرفها الناس عنه بحاجة الى مزيد من الغربلة والتمحيص .

ـ اهمية الموضوع بالنسبة الى عصرنا فالاتجاه العقائدي واتخاذ الادب منبرا للدفاع عن العقيدة ، والخوض في ميدان السياسة اشياء باتت تؤلف هما من هموم الاديب عندنا يجعله يقبل بشيء من الفضول على الوقوف على تجارب الاولين ونتاجهم في مثل هذا الموقف .

ـ لصوق الموضوع بحياة فترة غير قصيرة من تاريخ العرب في زمن بني امية الشيء الذي يطمعنا باكتشاف نوافذ جديدة نطل منها على حياة الاقدمين ومظاهر مجتمعهم .

هذه اهم المزايا التي تمتاز بها هذه الدراسة من حيث الموضوع فهل وفى صديقنا الدكتور نجا موضوعه حقه من حيث التناول وكشف الحقائق والخروج بنتائجتكفل لكتابهتلك القيمة العلميةالمتوخاة من مثله ؟

من الخير ان اوضح لك مقدما ان المؤلف قام في هذا السبيل بمحاولة جاهدة كان له فيها ـ على حد قول الاستاذ فؤاد افرام البستاني كاتب المقدمة ـ « لذة الاكتشاف ، ومفاجاة الارتياد » وفضل الجمع والتمحيص والغربلة ، وجراة السير على الطريق غير المعبدة . وهي صفات المحاولات الصحيحة في الادب والتاريخ والاجتماع وسائر مناحي البحث » .

وان كان لي من شيء اضيفه هنا الى هذه الشهادة فهي انني خرجت من قراءة الكتاب وانا اشعر بان المؤلف قد جلا لي بعض امور تتعلق اهمها :

ان الكميت بن زيد هو شاعر من شعراء المقاومة في الادب العربي واحد الذين ثاروا في وجه الحكم الطاغي والاستبداد المروع « ليدفعا مغرور ويشبع مرمل » ويصل الى الحكم « ساسة لا كمن يرى رعية الناس سواء ورعية الانعام » ووقف يفضح جشع الحكام بقوله :

فكيف ومن أنى واذ نحن خلفة فريقان شتى : تسمنون ونهزل ؟

فانقض الحرس عليه معملين رؤوس اسيافهم في بطنه ، وبزلوهحتى فاضت روحه .

ان الكميت هو اول من هجر النسيب وسخر بالاوضاع البدويةوبشر ضدها ـ قبل الشاعر النواسي ـ فكان الحافز الحق للثورة الادبية العباسية والسباق للتحرر والتجديد بدليل قوله :

- لا الدار ردت جواب سائلها ولا بكت اهلها اذا اغتربوا
- فدع ذكر من لست من شانه ...
- وهات الثناء لاهل الثناء
- ما انت والدار اذ صارت معارفها للريح ملعبة ذات الغرابيل
  تسدي الرياح بها نسجا وتلحمه ذيلين من معصف منها ومشمول

واظن القارىء يذكر اقوال ابي نواس في هذا الموضوع : « فدع ذكر من تهوى ... أثن على الخمر بالائها ... دع الاطلال تسفيها الجنوب ... يا من ينادي الدار هل تنطق ؟ » ان تأثر الكميت واضح في شعر ابي نواس هذا ولكن هل يعني ذلك ان الكميت افضل من ابينواس وان تجديده « لاسمى منزلة وابلغ هدفا من تجديد ابن هاني » كما يقول المؤلف (ص ١٠٨) ؟

ليسمح لي المؤلف ان اخالفه في الراي هنا فالعذوبة والرقةوالكلام السهل المانوس الذي اتصف به شعر ابي نواس كل ذلك رفع من منزلته وجعل شعره يدور على الالسنة بينما انكباب الكميت على حوشي الكلام وغريب العبارات وايثاره العويص على السهل ساعدا على خمول ذكره وحملا ابن سلام الجحي على ان يضعه في المرتبة العاشرة بينالشعراء على رغم سبقه الى هجر النسيب والسخرية بالاوضاع البدوية والتبشير ضدها . وعند المؤلف من آراء بشار والجاحظ وذي الرمة ونصيب وابي تمام وابن قتيبة في شعر الكميت الخبر اليقين (١١٠ ـ ١٢٢)

بقي شيء اخر هالني من الكتاب واستهجنته لدى الصديق الزميل هو ـ بالمناسبة ـ استعمال الغريب فهل هي العدوى ؟ ام ماذا ؟ لقد رأيته مثلا يستعمل كلمات ميتة ليس من الخير احياؤها كقوله :

« يأخذون على شاعرنا لاثمين .. ولكنهم ما فقهوا سخريته من القدماء ومن طريقتهم التي يتبعون وهم في تلال مبين » أي ضلال (ص٩٩) او قوله : « فابلى المتهم عذره » بدلا من ان يقول : قدمه » و « ان هذه الافكار لتبره » بمعنى تأتي بالبرهان .

ومثل ذلك كثير . يضاف اليه بعض اخطاء في الطباعة وضبط الشكل لا احمله تبعتها مثل « تشفي من العضد » بضم التاء والصواب تشفي بفتحها غير انها هنات لا تقلل من شان الكتاب ولا تصرف ابصارناعن القضايا الجوهرية التي استطاع المؤلف ان يثيرها في اذهاننا بحيث استحق شكرنا وتقدير الباحثين .

احمد ابو سعد

تاريـــخ ابن خـــلدون

يصدر في ٣٢ جزءا ــ ٢٥٠ صفحة الجزء ــ حجم كبير ــ منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت

قد لا يكون دليلا على حضارة شعب من شعوب العالم ، ما هو فيه من رخاء العيش وسعة الرقعـــة ، وتمكـــن اساليب الوقاية ، فالحضارة كما هي في حقيقتها ، تعبير الكائنات الحية عن تجرب العقل والشعور الرفيع ، ذلك يوفر في دقيق الاعمال وجليلها في المظهـــر والمخبر ، غير ان امورا هامه لا بد من تحققها في مدى حضارات الامم كيلا تبقى تلك الفجوات الراعبة فاغرة فمها كأنه باب العدم ، وعندئذ يتسرب عنصر الزوال الى بناء المدنية ، فيهدم حيطانها ، ويهوي بسلطانها .

لذلك فان الكتاب اهم عامل في بناء صرح الحضارة ، والدليـــل المباشر على مداها الصاعد ، فمن هنا يتبين لنا مقدار المؤلف والى جانبه التزام الناشر .

ان الذين درسوا مقدمة ابن خلدون ، ايقنوا ان هذا السفر النفيس واحد من كتب الطليعة في مكتبة العالم ، وانه قل لعصر من العصور ان يظفر بكتاب كالمقدمة ، فهو ذو ميزة خاصة يتفرد بها على سائر الاسفار النفسية ، فهو قد ولد شابا ، مكتمل الاداة موفور العطاء ، ليس له مثيل سابق في بابه ، ولما يخلفه لاحق يبزه بالشاو البعيد ، الى اسلوب طبع انيق ، وعبارة عذبة محكمة ، مما جعل لمؤلفه « عبد الرحمن بن خلدون » مكانة ادبية في قمم الفكر ، لا يعد ازاءها مواكبوه او منافسوه مـــن باحثي الا قلة في مدى التحضر .

اذا كان للمقدمة هذه القيمة من ناحية عـــلى التجمع البشري ، وتفاعله ، واذا تحقق للمكتبة العربية هذا المجد الرفيع ، فمن أيسر سبل حفظ الملكية ، ان تكون العناية بالنفائس والذخائر عناية تتناسب مـــع قـــدرها ومدى شعاعها .

هنا ، يحق لنا ان نقول بجراة صريحة ، ان مكتبة من مكتبات العالم العربي لم تقم بما يجب في هذا الحقل قياما لائقـــا ، ففي مصر وبغداد وبيروت ودمشق ، بعض نسخ اخرجت للناس على غرار المتون والشعبيات ، بل كان لكتب الزير سالم ، والهلالي ، وبيبرس حظ اوفر في الاخـــراج من حظ مقدمة بن خلدون مع ان تلك ارض وهذه سماء ، الى ان تاح الله للمكتبة العربية رجلا انطوى على حب المعرفة ، وتنظيم طرقها ، فشحـــذ همته في سبيل الكتاب مفهرسا ومخرجا ومبوبا ، فكان الاستاذ يوســف اسعد داغر حفظه الله من رواد التمدين الذين يداون شعوبهم عـــلى الجواهر النادرة ، ليقول للناس : ان الثقافة والزمان متلازمان فبمقدار ما نجعل الاستفادة من الزمان متوفرة ، بمقدار ما نغنم من بحار الثقافـــة اكثر ومن حسن الحظ ان تجاربه الخيرة لم تقف عند حدود دار الكتب اللبنانية ، بل امتدت لتساند شابا من خيرة شبابنا الطالعين في آفاق النشر ، وتزويد المكتبة العربية بخير نتاج في حقل التوزيع والتأليف ، فدل الاستاذ داغر صديقنا الاحب السيد حسن الزين صاحب مكتبـــة المدرسة ودار الكتاب اللبناني على اثار بن خلدون وضرورة نشرها فـــي ثوب جديد يليق بمكانتها ، وخاصة المقدمة ، التي تعد واحدة من اهـــم المراجع في تاريخ علم الاجتماع ، استقى منها مستانسا اقطاب هذا الفن من ايطاليين ، وفرنسيين وانكليز ، فكانا ــ ايدهما الله ــ كجناحي الطائر بهما يشارفان النجوم .

لقد اخرجا هذا الاثر في خمسة مجلدات انيقة ، بهيجة الحروف ، واضحة التقسيم مزخرفة الغلاف مظبوطة العبارة ، وكل هذا هام ، غير ان الاهم منه هو ذلك الفهرس الدقيق الذي يسهل للمراجع وقوفه على كل ما يتعلق بالمقدمة ، ساعة يشاء بايسر الطرق فكانـــه اصبح ينادي الطلاب والمعلمين ، ورجال البحث اليه ، ليكون في صدورهم وذاكراتهم في لمحات من الوقت ، وهنيهات من تقليب الصحائف ، نظم الاستاذ داغر فهرسا عاما للمقدمة بداه بفهرس الموضوعات مرتبة حسب العنوان على حروف المعجم ، ثم ثنى بفهرس للاعلام من الرجال والنساء حسب الشهرة ، وتبعا لاسم الشخص ، بعده فهرس لاسماء الشعوب والقبائل ، والدول ، والاسر التاريخية ، فالبلدان ، فالامكنة ، فالكواكب ، فالحيوان والنبات والمعادن ، كما صنع فهرسا للايات الكريمة ، واخر لمواد الكتاب .

لم ينس ايضا ان يوجد ثبتا بالمصادر والمراجع لدراسة بن خلدون ، بداه بالمصادر العربية وقفاه بالمصادر الاجنبية ودراسات المستشرقين ، « والانسكلوبيديات » .

ان التاليف في مادة من المواد ، يمكن للدارس المطلع ، وان اخراج المؤلف فن قائم بذاته يقتضي علما ، وذوقا ، ودراية ، ولخير الف مرة للمتهاونين في هذا المضمار ان يتركوا امر دراسة مؤلفاتهم وتبويبهـــا ، وتنظيم فهارسها للمختصين ، والرجوع الى الاصل مخطوطة كان اومحفورا او مطبوعة ، كما اخذ بتصوير مخطوطة المقدمة الموجودة في مكتبة باريس الوطنية ، كي تاخذ طريقها المعبد للذيوع والانتشار .

علي شلق

حبـــر عـــلى ورق

لمارون عبود ــ مجموعة مقالات ــ ١٧٣ صفحة ــ المطبعة التجارية ببيروت

رغم تقدمه في السن ، ما برح الاديب الكبير ، والنقادة اللامـــع ، مارون عبود ــ جاحظ القرن العشرين ــ يتحفنا بمؤلفاته الشيقة الانتقادية ، التي قامت عليها شهرته الواسعة النطاق ، والتي وطـــدت له منزلة اولية في دنيا الادب العربي .

مارون عبود واحد من كتاب لغة الضاد الظرفاء ، الذين ما اعتنقـــوا مذهب الكتابة الا ليكونوا قدوة لجتمعهم المتقلب ، ومدرسة ذات اهداف سليمة ، رائدها تهذيب النشء ودعمه بقوى الخير ، هذه القوى التـــي تؤهله لنوال حياة فضلى ، يرتسم على محياها طابع الرزانة ، والرصانة ، والاقدام لمناصرة المحتاجين .. ، وتشرق من جبينها انوار السعادة ...

هو واحد من عنديانتا ، حمل يراعه وراح يدق به ــ في كتابــــه « حبر على ورق » الذي نزل مؤخرا الى السوق ــ اعناق الفسادوالافساد ــ وذلك على عينك يا تاجر ــ ، وحمـــل به حملات قارصـــة على هؤلاء الجشعين الذين ما يزالون يرفعون رؤوسهم تعجرفا في عصر زاغت فيـــه اغلبية العناصر اللبنانية عن الصراط المستقيم ، متسترة باسمال الجشع ، والمكر ، والرياء ، والنميمة ، والاحتيال .. ، لا يهمها ، من هذه الغائية ، الا تامين مصلحتها ، مهما كانت الظروف التي تحيط بها .

وكتابه « حبر على ورق » ما هو سوى مجموعة مقالات موفقة توفيقا ممتازا ، ان كان من ناحية المبنى ، ام من ناحية المعنى . وغالبا مـــــا يبدأهـــا المؤلف بسرد الامثلة ... فعندما نقرأها ــ أي المقالات ــ فبلذة زائدة ، دون تافف او تذمر ، ودون ان يهيمن علينا ارتباك او ملل ، ولم ارتباك او ملل ... انها تدعنا نشعر ، بانفسنا ، بارتياح عميق الغور لا نظرا لاسلوبها الرائق ، المتين الدعائم في جمل انتقادية لاذعة ، قصيرة الباع اجمالا ، سلسة الالفاظ ، جلية التركيب ، نائية عـــن الحشو ، والذبذبة ، والكلفة ، والابهام .. ، متلاحمة الاوصال ــ اكثرية الاحايين ــ بشكل جذاب ، كلها مغزى وعظات سلخها الكاتب من اعمق الاعمـــاق ، شيدت حيطانها على اسس الصراحة ــ ميزة مارون عبود ــ التي يتحـــلى بها اينما كتب ، ومهما كانت عناوين كتاباته ...

فهذا الكتاب الدسم ، مادة حيوية لنا ، وصورة انتقادية ، حقيقية ، صارخة ، لوجه لبنان الداخلي ، لا بل مرآة مبروزة تنعكس عليها اوجـــه

النواب ، والطلاب ، والبؤساء ، والموسرين ، والفعلة ، والطماعين وحاملي الالقاب الطنانة ، وهاتكي الحرمات ، والسعداء ، والقابعين في زوايا دورهم بعيدا عن صخب البيئة المتكالبة ورنين فلوسها ، واصحاب الاراء الرعناء ، والسماسرة ، والمقامرين، والمنافحين عن القيم العليا رمز الحضارةوالمدنية، والمراوغين ، والفوضويين ، وقاطعي الوعود ، والاوفياء ، والمجرمين ...

ففي « شبابنا الحائر » يصور لنا المؤلف حياة الشبان لما يغادرون مقاعد الدراسة . فيهاجم منهم المتقاعسين عن الاعمال والفاشلين فيها مهاجمة صاعقة ... فواحد يتوصل بمقدرته العلمية الفائقة ان يبني مستقبلا محترما ، يكون بفضله عيشة ممزوجة بالمحبة والاخلاص واليمن. واخر ينزل الى معترك العمل نحيل البنية ، لا يفكر الا بلهوه ، وتنقلاته من مكان الى اخر ، تلك التنقلات التي تكسبه اخيرا ذل السؤال ، وعبث الناس به . وثالث يقضي اعواما عديدة دون عمل ، او قل دون ان يفتش عن عمل ، وعذره ان والده يتمتع بثروة لا باس بها . انه يتكل على ورثته غير عالم ان البطالة شر قبيح ، ومرض خبيث ، دواؤه الاوحد هو العمل مهما كان نوع هذا العمل . ورابع يخونه الحظ في عمله ، فيقعد يندب حظه المشؤوم تارة ، راميا مسؤولية فشله على الدهر الخائن ، الغدار ، وطورا يروح يحسد زميله الذي كتب له الدهر الفلاح السريع ، فصار اسمه على اسلة لسان المجتمع الادبي الراقي ، ناسيا انه ايام الدراسة ، امضى وقته باللعب ، والثرثرة ، والضحك على ذقن معلمه ، بينا رفيقه كان كله اذانا صاغية لشروحات الاستاذ ، وانه لم يدع دقيقة واحدة من ساعة الصف تمر دون ان تحمل له علما جديدا يتغذى به ...

هذا ولم ينس مارون عبود ان يهاجم الاباء الذين يفلتون الملق لاولادهم ، باعطائهم حرية واسعة ، واحشاء جيوبهم بالمال رغم كسلهم المخجل ..

وفي « الدنيا واسطة » يقود اديبنا المفضال حملة عنيفة علىصاحبي النفوذ الذين ينظرون الى الشعب المهضوم الرزق نظرة احتقار وغطرسة. ويهاجم الواسطة التي ورثناها عن اجدادنا ـ طيب الله ثراهم ـ والتي ما زالت تلعب دورا رئيسيا في اوساطنا ، ان عيلية او عملية ... فافراد العائلة يتوسط بعضهم لبعض : الاخ يتوسط عند ابيه لاخته ، وهكذا دواليك . والموظف يصبح موظفا بفضل الواسطة ، والمستخدم ما توصل ان يشتغل في ذاك المحل الا بفضل واسطة ابن عمه الوجيه الساحلي.. « واذا سالت احدهم : كيف وصلت الى هذ اوليس فيك الشروط المطلوبة؟ اجابك بعين مفتوحة : كله خلط ! الدنيا واسطة . واذا سالت غيره : كيف خلصت من تلك الورطة ؟ اجابك : واسطتي قوية جدا جدا ، والواسطة كما تعلم غير منكورة .

وفي « كالعيس في البيداء » ، يعطينا الكاتب صورة خاطفة عن القرية الضعيفة المصلحة التي لا يبالي بها المسؤولون عندنا . يريدون لها التقهقر بدلا من التقدم في عصر النور والعلم .. فاسلاك الكهرباء ما زالت غاضة النظر عن كثيرات من القرى بالرغم من مرورها على حدودها . فكهرباء نهر البارد قريبة من قرية صاحب « حبر على ورق ».

لكن الفانوس ما زال ينيرها .

وفي « الشجر تتهم البشر » نرى الشجرة ـ في الغابة ـ تقف بوجه الانسان محملقة به ، ثم تأخذ تكيل له التهم ، بانه يأتي في معظم سوانحه بفأسه ، يهوي به على اغصانها الوارفة ، او يسرق اثمارها اليانعة ، او ينزع عنها ثيابها ، او يقطعها من الارض ضاربا عرض الحائط بالمثل السائر « ازرع ولا تقطع » ، وناسيا انها تبعث اليه الفيء ساعة تسلط الشمس اضواءها على الغابة الفسيحة .. « الشجرة نعيم هذه الحياة ، وعروس الشعراء ، بل عروس كل ذي نفس تشعر . » انها قانعة بعيشتها ، راضية بمكانها . « لا تتنازع على الماء ولا على النور ولا على الهواء » فشريعتها ما هي الا شريعة السلام والوئام في دنيا « عم فيها الطمع والرياء ، واصيب اناسها بداء حب الثراء ، وانتشرت المداجاة حتى سموها سياسة عصرية » ...

وهكذا يسير مارون عبود في سرد بقية مقالاته بقالب طريف ممتع، اختلط فيه الجد والهزل ، قالب يرأسه النقد ، وتدخله الامثال البديعة في محلها .

ولا يسعنا في النهاية الا ان نبدي اعجابنا بهذا الكتاب ، ونطلب من صاحبه ان يظل دائما يقدم لنا تحفا ادبية نفيسة ، ترتكز اول ما ترتكز على الاصلاح ...

ابراهيم عبدو الخوري

شلال الاسود

لمحمد الصباغ ـ ١٢٤ صفحة ـ المطبعة المهدية بتطوان المغرب

أخي محمد : شكرا لك على رسالتك الاخيرة ... واذا انا لم اجبك في الحال فلانني كنت أترقب وصول كتابك « شلال الاسود » الذي تلطفت وأهديت الي نسخة منه . اما وقد وصل الكتاب ، وقرأته ، فانه ليسرني ان اشهد قبل كل شيء بحسن ذوقك في اختيار عنوانه . فشلال من الاسود ليس بالصورة الفاترة التي يمر بها القارىء مرور الكرام . بل ان فيها ما يهمز الفكر والخيال همزا ، ويدغدغ العاطفة الشعرية والقومية . وهذه العاطفة تبدو في كتابك نارا مشبوبة تلتهم بعضها بعضا فلا تشبع ولا ترتوي ولا تهدأ. بمثل هذه العاطفة تقوم الثورات ، وبمثل هذه النار تلتهب صدور المظلومين والمحرومين متى بلغ الظلم والحرمان درجة لا تطاق . وعمل الشاعر اذ ذاك هو ان يذكي النار وان يكون ترجمان القلوب المستعرة بها الى القلوب التي حرارتها فيدرجة الصفر . وذلك ما يفعله قلمك حيث يقول :

« طوبى لي بك يا بلادي. هذا عمري، ان لم اخدمك به فليس بعمري
وهذا شبابي . ان لم اعصر دماءه في راحتيك فسحقا له من شباب.
وهذا قلمي . ان لم اقفه عليك فسأخرقه في قلبي .
وهذا لساني . ان لم يكن حربا على عداك ، فساقلعه بعروقه من اعماق رجلي .
اسمك على لساني صلاة ليل كامل. ولقمتك في فمي غذاء لعام باجمعه
وضوؤك في عيني رؤية الله في جلال نوره . وغصنك المثقل بندى رضاك رحمة على قبري . »

فزدنا من نتاج قلمك ، والى الامام .

بسكنتا ـ لبنان **ميخائيل نعيمه**



● الحضارة المصرية ـ تاليف الدكتور جون ولسون ـ ترجمة احمد فخري استاذ تاريخ مصر والشرق القديم بكلية الاداب بجامعة القاهرة ـ ٥٣٧ صفحة ـ حجم كبير ـ مع عدة صور فوتوغرافية للآثار والاماكن الاثرية وغيرها ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ في سلسلة مشروع الالف كتاب باشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● القلق ـ تاليف الدكتور ابو مدين الشافعي ـ ١٦٠ صفحة ـ الجزء ١٧ من سلسلة « اقرأ » ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● قصائد اولى ـ شعر ـ لادونيس ـ ١١٠ صفحة ـ رسم الغلاف بريشة هلن الخال ـ منشورات مجلة شعر ـ مطابع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● ماذا حدث في التاريخ ـ دراسة لتطور الحضارة منذ العصر الحجري حتى نهاية العصور القديمة ـ تاليف جوردون تشايلد ـ ترجمة الدكتور جورج حداد استاذ ورئيس قسم التاريخ في الجامعة السورية ـ تقديم الدكتور حسين مؤنس الاستاذ بجامعة القاهرة والمدير العام لادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ٢٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ في سلسلة مشروع الالف كتاب ـ منشورات الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ طبع دار الطباعة الحديثة [؟]

● خطوط وظلال ـ مجموعة قصص ـ تاليف روز غريب ـ ٩٨ صفحة ـ سلسلة الروائع العالمية : كتاب الشهر رقم ٨ ـ منشورات دار الريحاني للطباعة بيروت .

● القصة العراقية قديما وحديثا ـ الجزء الاول وهو مقدمة تاريخية موجزة ـ بقلم جعفر الخليلي ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● جبروت العقل ـ تاليف جلبرت هايت ـ ترجمة فؤاد صروف نائب رئيس الجامعة الامريكية بيروت ـ تقديم الدكتور احمد زكي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ ١٨٠ صفحة ـ رسم الغلاف بريشة الفنان حسين بيكار الاستاذ بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

● اللوائح ـ مجموعة قصائد غزلية بريشة لانطوان عبد المسيح الحايك ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة الاتحاد ببيروت .

● نصف العالم الحي ـ مجموعة شعرية ـ لمحمد رضا الاسود ـ ٨٠ صفحة ـ رسم الغلاف بريشة الفنان اكرم شكري ـ دار مطبعة التمدن ببغداد

● ادارة الناس فن ـ تاليف جورج د. هالسي ـ ترجمة احمد زكي محمد مدير معهد الادارة العامة [؟] ـ تقديم قائد الجناح حسن ابراهيم وزير الدولة لشؤون الانتاج ـ ٢٧٥ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● اللحن الثائر ـ شعر لجليلة رضا ـ ١٤٦ صفحة ـ الغلاف والرسوم الداخلية بريشة الفنان طلعت المصري ـ منشورات الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ طبع دار مصر للطباعة .

● تنظيم مخيمات العمل الدولية ـ بقلم ويلي بجيرت [لم يذكر اسم المترجم] ـ ١٢٥ صفحة ـ منشورات اليونسكو ـ طبع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة .

● سقراط الرجل الذي جرؤ على السؤال ـ تاليف الدكتورة كورا ميسن ـ ترجمة محمود محمود ـ تقديم حسن جلال العروسي ـ ١٧١ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ في سلسلة مشروع الالف كتاب ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● غرباء ـ مجموعة شعرية ـ لصلاح لبكي ـ تقديم يوسف غصوب ـ ١٢٥ صفحة ـ نشر وطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● نقل الاديب لاديب العربية محمد اسعاف النشاشيبي ـ قدم له وترجم لمؤلفه الدكتور اسحق موسى الحسيني ـ ١٤٧ صفحة ـ نشر وطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت

● نساء صغيرات ـ الجزء الرابع ـ تاليف لويزا م. الكوت ـ ترجمة امينة السعيد ـ ٢٧٠ صفحة ـ الصور الملونة والرسوم بريشة الفنان الامريكي لويس جامبور ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● اثر الاسرة والمجتمع في الاحداث الذين هم دون الثالثة عشرة من العمر ـ [لم يذكر اسم المؤلف او المترجم] ـ ٦٢ صفحة ـ الحلقة الرابعة من سلسلة « في سبيل التفاهم الدولي » ـ منشورات اليونسكو ـ طبع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة .

● القوميات [في جزءين] ـ بقلم امين الريحاني ـ تقديم البرت الريحاني ـ الجزء الاول ـ ٢١٦ صفحة ـ الجزء الثاني ـ ١٦٩ صفحة ـ منشورات وطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● التعليم الثانوي في العراق : فلسفته واهدافه ومفاهيمه . علاقته بالتعليم الجامعي وبالمجتمع . تنظيمه ومناهجه وشهاداته . نظام الامتحانات فيه . مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والفنية . اتجاهاته الحديثة ـ تاليف الدكتور نوري الحافظ مدير المناهج والكتب بوزارة المعارف العراقية ـ تقديم الدكتور محمد حسين آل ياسين ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● زهر وقفر ـ مجموعة شعرية ـ لاسحق محمد الخليفة شريف « الشاعر السوداني » ـ تقديم كرم ملحم كرم ـ ١١٠ صفحة ـ رسم الغلاف واللوحات الداخلية بريشة المؤلف ـ منشورات وطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة لابن شداد ، عز الدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم المتوفي سنة ٦٨٤ هـ . ـ تاريخ مدينة دمشق ـ عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ٤٧٣ صفحة ـ حجم كبير ـ ورق فاخر ـ مع ٨ لوحات ـ منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● Mélanges — par Louis Massignon — Tome II — 386 pages gd. f. — Publiés sous le patronage de l'Institut d'Etudes Islamiques de l'Université de Paris et de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● La Critique Poétique des Arabes : jusqu'au 5e siècle de l'Hégire — par Amjad Trabulsi, docteur de l'Université de Paris, professeur à la Faculté des Lettres de l'Université syrienne à Damas — 304 pages gd. f. — Editions de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

اخبار علمية

اعلى مختبر في العالم

انه ثمرة تعاون العلماء في عدد من الدول وغيرة بعض رجال الفيزياء فكان هذا المختبر الجديد القائم اليوم على قمة جبل عال بالقرب من مدينة لاباز عاصمة بوليفيا وهو مختبر تشاكالتايا اعلى مختبر من نوعه في العالم

على مسافة ساعة ونصف الساعة من مدينة لاباز في طريق صاعدة متعرجة يقوم على ارتفاع ١٧٤١٠ قدم فوق سطح البحر في بلدة تشاكالتايا عدد من الابنية الحجرية يؤلف مجموعها مختبرا علميا هو واحد من اعظم مختبرات العالم تجهيزا واستعدادا . وتفترش مباني المختبر الجديدة مساحة من الارض تبلغ ٢٥٠٠ قدم مربع كما انها تضم اجنحة خاصة لسكن ١٢ عالما وخبيرا يعملون فيه . ويمد المختبر تيار كهربائي من لاباز بقوة ١٢٠٠ كيلوواط تكفي لانارة المختبر وتدفئة مبانيه وحجراته وحماماته ودائرة مطبخه . وقد تم اخيرا تامين طاقة كهربائية مباشرة قوتها ٤٢ كيلوواط تكفي لمد اضخم حجرة مغنطيس كما ان الترتيبات اللازمة تتخذ لتامين اماكن السكن لفريق من ثمانية عشر عالما من علماء الابحاث العلمية .

والعمل في هذا المختبر لا يفتر فهو في حركة دائمة بحيث تجده في أي يوم من ايام الاسبوع ناشطا في البحث حول ثلاثة مشروعات علمية على الاقل . وتاريخ نشأة المختبر يعود الى عام ١٩٤١ يوم قام نادي اندينو بوليفيا نويروج لرياضة التزلج على جبال الاندلس فحانت لاحد اعضائه المدعو اسماعيل اسكوبار، استاذ الفيزياء المتيورولوجيا في جامعة لاباز الفرصة المؤاتية للقيام بارصاد جوية على قمة جبل تشاكالتايا التي وقع عليها الاختيار لتكون مركزا للتزلج ، وهو جبل لا يبعد كثيرا عن مدينة لاباز نفسها عاصمة البلاد واكبر مدنها . وقد عرف النادي ان يثير اهتمام الحكومة بالمشروع فجعلت الجبل المذكور في عداد متنزهاتها الوطنية وشقت للسيارات فيه طريقا معبدة فانفتح امام اسكوبار مجال الرصد العلمي الذي طالما راوده .

وقد قضى اسكوبار بعد ذلك السنة المدرسية ١٩٥٠-١٩٥١ يتخصص في معهد ماستشوستس التكنولوجي بالبحث عن الاشعة الكونية بفضل منحة مالية نالها من مؤسسة غوجنهايم فاستطاع ان يثير بدوره حماس استاذه مرونو روسي مدير الابحاث الخاصة بالاشعة الكونية بعد ان اطلع على المشروع بحذافيره وعمل على تزويد تلميذه بالالات والاجهزة العلمية ليقيس ما يلاحظ من التشويش الشرقي الغربي في قوة الميزونات الملحوظة في بوليفيا . وعند عودته الى بلاده عمل اسكوبار على ايجاد بناء في الجبل يتسع لايواء الاجهزة والمولد الكهربائي فوجد مرآبا من الالومنيوم اقيم على ارض وزارة الزراعة في المنطقة فعمد الى اصلاحه وجعله ملجا للمتزلجين . ثم اقنع اولي الامر في الجامعة بتجهيز الموضع بمولد كهربائي استطاع معه الانصراف الى تجاربه العلمية حول طاقة الميزونات وما فيها من تشويش في سماء بوليفيا .

واتفق في ذلك الحين ، أي في عام ١٩٥٢ ان المعهد البرازيلي للابحاث الفيزيائية كان يهتم بانشاء مركز علمي خاص على ارتفاع عال للكشف عن اسرار الاشعة الكونية . وقد تمكن اسكوبار من حمل الفريق البرازيلي الناهض بالمشروع المذكور على اقامة المركز المطلوب في جبل تشاكالتايا لخلو البرازيل من جبال عالية لها مثل ارتفاع جبال بوليفيا . وعقد اتفاق بين جامعة بوليفيا والفريق العلمي في البرازيل لعشر سنوات نص على التعاون المتبادل بين البلدين . وقامت بفضل هذا التعاون مجموعة من الابنية تؤلف اليوم نواة المختبر العلمي المذكور .

ونهوضا بالابحاث العلمية وتوسيعا لها ، تمكن القائمون على ادارة المختبر اثارة اهتمام بعض الجامعات الاخرى في اميركا فامدته باجهزة جديدة والات جديدة للرصد وبفرق من العلماء المختصين جاؤوا من جامعة شيكاغو ومعهد ما ستشوستس التكنولوجي وجامعة البرازيل .

ولما كان العمل في المختبر يشق على علماء يعملون في مثل هذا العلو غير المألوف لندرة الهواء وعسر التنفس فقد عمدت ادارة المختبر باتخاذ التدابير العلمية التي تحول دون اعاقة العمل في مثل هذه الظروف الصعبة مع العلم ان عددا كبيرا من العلماء العاملين فيه يسكنون مدينة لاباز نفسها التي تعلو ١٢٤٠٠ قدم فوق سطح البحر .

ان وجود المختبر على مثل هذا العلو الشاهق وانصرافه للابحاث العلمية منذ تاسيسه عام ١٩٥٢ لدليل ساطع على ما يمكن ان يحققه التعاون النزيه بين علماء ينتمون لدول عديدة وكلهم جاد ليفيد من الظروف والفرص المؤاتية على ضوء المساعدات والتبرعات المالية التي يجود عليهم بها افراد عديدون من الشعب والحكومة والمساعدة الدولية . وادارة المختبر برئاسة اسكوبار نفسه هي اليوم مستعدة لوضع امكانيات المختبر وخدماته الممكنة تحت تصرف من يرغب فيها من العلماء الذين يرغبون الاستفادة منها في ابحاثهم العلمية .

ثيودور بوين

الجمال المجسم في الانشاءات الهندسية

هل الجمال البادي شيء يستقر في عين الرائي ام انه شيء ملموس تستطيع ان تتبينه في واقع محيز امامنا له مقاييسه الخاصة ؟ فالبت في القضية امر مرهون بالتحديدات النظرية . ان مظاهر الجمال في الطبيعة تبدو على اشكالها المختلفة . الا ان الجمال المجسم على اتمه هو في ما يصدر عن الانسان من انشاءات فنية مجسمة في هذه التماثيل التي ينحتها ، وهذه المباني التي يرفعها والجسور التي يقيمها يبدو على روعته الاخاذة في مثل هذه المآتي العظام . فهذا الجسر الكبير الذي ينبسط امامك فوق ركائزه وقناطره وزواياه ، أليس معجزة تتحدى بقيامها وارتفاعها ناموس الجاذبية نفسه وتشهد عاليا على جهاد الانسان وكفاحه في سبيل النمو والرقي والسيطرة على الطبيعة والتحكم بمظاهرها ؟ وهذا المهندس الذي رفع ناطحة السحب الجبارة عاليا يقيم للعظمة هيكلا ويصدر عن منهل واحد من الفن يصدر عنه النقاش الفنان نفسه الذي يعمل في تحلية كاتدرائية ما وتزويقها حفرا ونقشا . ففي عمل الاثنين نشوة روحية وتعبير رائع عن الجمال الاسمى .

اكتب هذا وامام عيني مائل الجسر الجبار الذي اقامه المهندس روبلنغ ليربط بين بروكلين ومنهاتان فارى ما فيه من الوف الاسلاك الفولاذية التي تتشابك فيه كنسيج العنكبوت لها من المتانة والقوة ما تحمل هذا الجسر معلقا بين الماء والسماء تعبره مئات السيارات في وقت واحد فاهتف مكبرا لهذا العقل البشري يأتي مثل هذه العظائم .

ومثل هذا الجمال نراه ممثلا في ما تخرجه احواض السفن على اختلافها من تلك القوارب النحيلة الى عابرات المحيط ، او في ما تخرجه صناعة الطائرات اليوم من طيارة ليوناردو ده فنشي الى الطائرة التي وضعها الاخوان رايت.

وهذه البناية الجميلة هي الاخرى اختبار يشع الغبطة في النفس ويملؤها حبورا ليس فقط بما فيها من خطوط هندسية متناسقة ومواد مختلفة دخلت في تكوينها بل ايضا في

ما تبديه من مشاهد لا حد لها مع الفجر الطالع وغياب الشمس وطلة القمر من وراء الافق . فالمباني الهندسية اسوة بغيرها من صنائع الانسان كالقوارب مثلا او الكبارى - الجسور - تتمتع بشخصياتها المميزة وتوحي للرائي انطباعات مدهشة مثيرة وهي في ما تنعم به من قوة الاحتمال والبقاء تغالب الزمن ويغالبها في حرب سجال من كر وفر ، وهي حرب لها فتنتها كما للجسر فتنته وفائدته وكما للبناء او للقوارب من فتنة وجمال .

والمدن نفسها لها شخصيتها التي تعرف ان توفق بين عناصر الجمال وهزة الطرب والرضى عن اثر صنعته يد الانسان ، اذا ما عرفت ان تتبين مصادر هذه الشخصية المفردة واصولها. فعندما تتصور لندن مثلا يطالعك نهر التيمس وهذا العدد العديد من السفن الماخرة فيه تحت عدد لا يحصى من الكباري الضخمة التي تمور بالحركة والحياة . ومنهاتان - نيويورك - تجمع في روعة واحدة العظمة التي توحيها مبانيها الهندسية الضخمة وفتنة النهر المنساب وانسجام ناطحات السحاب والكبارى الضخام القائمة على مقربة منها .

من المبادىء الاولية التي لا بد منها لمبنى كبير ليبدو جميلا السذاجة والصدق مع جمال الخطوط والشكل والانسجام . فاسمع مايقوله بهذا الصدد فرا فيليوليي « فان تم لك الجمال الساذج ليس الا كان لك اروع ما خلق الله وابدع » . قد يختلف الناس حول تقويم الاشياء التي تحيز الجمال في الجسر المنصوب كما يختلفون تبعا لذلك حول الوسائل التي تحققه ، وكل وسيلة منها .

من يمر فوق جسر اسكندر الثالث القائم على نهر السين في باريس يؤخذ بما لقنطرته من جمال التناسب والانسجام وقد زادها روعة به الجسر نفسه من اسباب التحلية والتزويق وما يحمله من تماثيل . وعلى هذا النحوتأخذ الروعة المنطلقة من جسر خط الحديد في البولا في سويسرا ، بما فيه من بساطة وبما يبدوعلى قناطره المحدودبة وانسابه من جرأة وعظمة تتحدى النظر .

فعلى المهندسين الذين يعملون في هندسة الجسور ان يراعوا في التصاميم التي يضعونها لها العناصر التالية ، الانسجام مع المحيط والانسجام في الداخل ، والتاليف والسيمتريه والوضوح والسذاجة والتدرج والتناسب ، والروعة ، والتنوع ، والانحناء ، والاستمرار ، والفائدة ، والنور والظل ، واللون والتجميل .

وكل هذه العناصر الجميلة اساس الاستتيكا هي قريبة الصلة بالجملة الموسيقية وتاليف النغم . وهذا ما حدا باحدهم للقول : « ما الهندسة سوى موسيقى متجمدة » . ان جسرا جميلا ليس سوى سمفونيا موسيقية

وقبل ان يدخل الفولاذ في صناعة البناء كان اعتماد المهندسين في بناء الجسور على الحجم وحده كأساس . وكل مهندسي القرن التاسع عشر كانوا يختارون الحجر قبل كل شيء ثم دخل في روعهم ان يتخذوا من اسلاك الفولاذ مادة للتزيين والتحلية في هندسة الجسور .

اما الان فقد اخذنا نستشرف عهدا جديدا في هندسة الكبارى يدخل فيها الفولاذ ليس كعامل تزويق وتحلية بل كعنصر جديد من عناصر البناء الاساسية فعلى بناة الجسور اليوم ان يكونوا في آن واحد مهندسين وفنانين ويعرفوا ان يوفقوا الى حد بعيد بين مقومات الهندسة ومقومات الجمال . ولعل نوعي نماذج الكبارى لمقومات الجمال هما النوعان المعروفان اللذان يبديان جمال الشكل والخط والتناسب اي جسر القنطرة والجسر المعلق .

لم تكن لتسمع في مدارس الهندسة من نحو ٥٠ او ٢٥ سنة كلمة : « جميل » يؤتى بها وصفا او تعبيرا عن رسم لجسر ما . ومعظم ما كنا نتلقنه يتعلق خاصة بعنصر التحليل وقوة مواد البناء وتناسب الاجزاء ونتيجة التجارب والتنويع والاشادة وغير ذلك . فلم يكن ليطرق اذننا كلمة ما تم عن التصميم الفني ولم يكن استاذ هندسة ان يهمس في اذن تلاميذه ان الجسور يمكن ان توخي مبانيها الجمال والروعة .

وقد دخل في روعي وانا بعد طالب هندسة ان الكباري يمكن ان توضع رسومها وتشاد على اسس من الجمال والفتنة . فقد قرأت كل ما ظهر حول الموضوع من دراسات وبحثت مع كثير من اصدقائي المهندسين هذه الناحية الفنية ورحت اتبين وافحص عن كثب عددا كبيرا من الكباري والجسور القائمة دارساكل

زاوية من زواياها لارى ما الذي يجعلهاقبيحة المنظر ، او عادية او تبعث في النفس السام ، بينما غيرها هي متعة للنظر . وقد تبين لي من هذا كله ان عنصرين اساسيين يهمان اليوم كل فرد اولهما بساطة الرسم والتصميم وثانيهما جماله بالاضافة الى قوته طبعا .

ان رجل الاعمال لا يحتاج قط ليعتذر عما يبذل كل يوم في سبيل الربح والكسب من باب تحويل المواد الاولية الى مصنوعات تدخل في خدمة الانسان ومنفعته . فاذا لم يفطن للتشويه الذي يحدثه في محيطه من جراء المباني السمجة التي يقيمها وضرب جمال الطبيعة بعرض الحائط في عبثه بالاشياء الطبيعية القائمة حوله ، لوقف موقف المحكوم امام العالم الذي يطمع اكثر فاكثر بمجالي الجمال بعد ان قويت في الانسان طاقته على الفهم والخلق والابداع .

فالنظرة الى الجمال من زاوية الحرفة او المهنة ، تستدعي حتما مجتمعا متفتحا متفهما تعكس المصنوعات التي تقدمها له كل هذه العوامل سواء أكان ما تقدمه له محطة على خط حديدي او مصنعا ، او مخزن تموين او جسر .

دافيد ستينمان

المبضع الاشعاعي

قال لنا بافل مينابيف المجاز في العلوم البيولوجية :

ـ اليكم كلبا اجريت له البارحة عملية معقدة جدا ، هي عملية استئصال قسم من الدماغ .

ان هذا الكلب لا يختلف عن سواه بشيء . فهو يركض مثلهم ويبص بذيله ويأكل . ويجب ان نلاحظ ان العملية الجراحية داخل الجمجمة لم تؤثر ابدا على مسلك الحيوان .

ـ ولماذا لا نرى اي اثر لثقب الجمجمة ؟

فقال لنا الباحث :

ـ لقد استخدمنا هذه المرة آلة غير مرئية هي المبضع الاشعاعي . لذلك فقد جرت العملية بدون نزيف ولم تترك أثرا ...

ان مختبر البيولوجيا الاشعاعية التابع لمعهد البيولوجيا الفيزيائية في اكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي الذي يعمل فيه بافل مينابيف ، يطبق بنجاح مبدأ المبضع الاشعاعي في دراسة الجهاز العصبي المركزي لدى الحيوانات . وفي ذلك مثل ملموس لاستخدام طاقة نواة الذرة في الطب .

ولكن العلماء السوفياتيين قد قاموا بالوف التجارب وتطرقوا الى هذه القضية من عدة اوجه قبل توصلهم الى هذه الطريقة .

لقد مضى زمن طويل منذ عاين العلماء تعدد مفاعيل اشعة الفا وبيتا وغاما ، ومفعول النيترونات والاشعة السينية على الانسان والحيوان . فبامكان الاشعاع المدلف (الايوني) الناتج عن تفكك العناصر الاشعاعية ، ان يثير في الابدان تغيرات بيولوجية ملحوظة .

وقد تبين ان المقادير القليلة من الاشعاع تؤثر تأثيرا حسنا على الحيوانات . فهي تثير عند الكلاب والفئران والارانب شهية حسنة تؤدي لارتفاع الوزن وزيادة نشاط الغدد الجنسية . وهي تزيد انتاج البيض لدى الطيور .

اما المقادير الكبيرة من هذه المادة فتؤدي الى نتائج معاكسة على طول الخط . ويلاحظ في هذه الحالة حصول « مرض الاشعة »الذي يصيب الجهاز العصبي ، وجهاز الدورة الدموية والجهاز الهضمي وغيرها .

فما الذي يحدث لخلايا الجسم وانسجته لدى هؤلاء المرضى ؟ وما هي التغيرات الفيزيائية والميكانيكية التي تحصل فيها والتي تؤدي في النهاية الى اصابات عميقة تصيب الجسم باسره ولا يمكن اصلاحها غالبا ؟ ولا حاجة للقول ان حل هذه المسائل هو عظيم الاهمية بالنسبة للعلم والتطبيق .

ان مختلف انواع الاشعاعات تؤثر على الانسجة الحية بصور مختلفة . فان اشعاعات الفا بيتا مثلا تتوقف على عمق قليل تحت سطح الجلد ، في حين ان النيترونات واشعة غاما والاشعة السينية تنفذ في الجلد والعظام والاعضاء الداخلية . والنوعان الاخيران من الاشعاعات يستعملان في الطب على مدى واسع من اجل الكشف عن مختلف الامراض ومعالجتها .

وقد اختار مينابيف الاشعة السينية في تجاربه ، تلك الاشعة التي لها ميزة النفاذ عميقا في البدن . وهي مشابهة في مفعولها البيولوجي لاشعة غاما .

وقد وضع هذا العالم فرضية جريئة . فقد قال في نفسه انه اذا ما وجه حزمة من الاشعة السينية الى هذا الجزء او ذاك من الدماغ فبامكانه ، بواسطة مقدار كبير من الاشعاع ، ان يحصل على نفس النتيجة التي يحصل عليها بواسطة البتر الجراحي لهذا القسم من الدماغ .

وسرعان ما طبقت فكرة المبضع الاشعاعي في مختبر التجارب . وبوسع الشخص الذي يقوم بالتجربة دون ان يمس الجلد والجمجمة والسحايا ، ان يلاحظ بعد توجيه الاشعاع وقفا تدريجيا في عمل اجزاء الدماغ التي وجه اليها الاشعاع . وفي هذه الحالة لا تحصل نوبات الصرع والتشنجات التي تحصل عادة لدى الحيوانات على أثر العمليات الجراحية في الدماغ بسبب تكون نسيج الالتئام

وللمبضع الاشعاعي ميزة طريفة اخرى بالنسبة للمبضع العادي . فان الاضطرابات التي تسببها حزمة الاشعة السينية تتضاءل مع الزمن ويمكن ان تزول نهائيا . وبامكان القائم بالتجربة اذن ان يتابع بصورة منهاجية « احتضار » جزء من الدماغ ، كما يستطيع ان يتابع ايضا النتائج الحاصلة خلال « استعادة » هذا الجزء من الدماغ «الحياة» واستعادته وظائفه .

لقد اجرى مينابيف اكثر من ٣٠٠ عملية بواسطة المبضع الاشعاعي . وقد نجح بهذه الطريقة في خلق نماذج بيولوجية تجريبية لمختلف الامراض ، وفي ان يثير لدى الحيوانات من اجل ابحاثه مختلف الامراض العصبية ، وامراض الدم ، واختلالات الجهاز العصبي ، مما اتاح تجربة طرق ووسائل جديدة للمعالجة ، وسهل وضع مجموعة من التدابير الشفائية والوقائية . وسألنا العالم ونحن نستودعه :

ـ ما هي آفاق المبضع الاشعاعي المقبلة ، وماذا تنوون عمله قريبا ؟

فاجاب :

ـ ان ما تم عمله حتى الان ليس سوى البداية . فهي اول مرحلة في مباحثنا . ولا يزال امامنا الشيء الرئيسي . وسوف يصبح لدينا قريبا مبضع اشعاعي جديد متقن . فسوف نستعمل نظائر الكوبالت الاشعاعية .

واختتم مينابيف حديثه قائلا :

ـ وهكذا ترون اننا نعمل في ميدان علمي جديد : الجراحة الاشعاعية . اما في الوقت الحاضر فلا نزال في الصفحة الاولى من كتاب الحياة المتع ...

نيقولا شيبابيف

اطلاق القمر الاصطناعي

عما قريب سينتهي العمل في الدوائر الفنية في اميركا من « القمر الاصطناعي »وهو اغرب وادهش ما تفتح عنه عقل البشر منذ ان نشط العقل الانساني للخلق والابداع .

وفي خلال الشهور القليلة المقبلة سيطلق في الجو هذا « القمر » الاصطناعي فينطلق صعدا الى طبقات الجو العليا حيث يندر الهواء

ويتلاشى ويأخذ في الدوران حول الارض في هذا الفضاء الذي لا حد له ولا حصر ، وهكذا يتاح للناس ان يشاهدوا في خلال السنة الجيوفيزيقية الدولية مظهرا من اروع واوقع ما قد يخطر على بال بشر .

وعندما خطر للولايات المتحدة الاميركية منذ سبعة عشر شهرا ان تطلق في الجو عددا من الكواكب الاصطناعية جاء قرارها هذا يحقق امرا طالما حلم به الناس من قبل دون ان يجسر احد على تنفيذه . فلم يكن لاحد ان يتصور كيف يمكن تصميم مثل هذا « القمرالاصطناعي» وبنائه وما هو الصاروخ الذي سيقذف به الى الفضاء اذ كان من الصعب العسير جدا تنفيذ الشروط الفنية المتعلقة به . وكان مفروضا على هذا الكوكب السيار الاصطناعي ان يجمع الى صفر الحجم خفة الوزن وان يكون له من الطاقة والقدرة ما يساعده على حمل الالات الراصدة والمسجلة فترسل الى الارض ما تسجله من غرائب الطبيعة ومظاهر الفضاء على علو ٣٠٠ ميل فوق سطح الارض . وكان على الصاروخ المعد لاطلاق « القمر » ان يرتفع به الى علو شاهق ، ثم يطلقه بين طبقات الفضاء البهيم لينفدع بسرعة ١٨،٠٠٠ ميل في الساعة ، ولو قلت سرعته عن ذلك لسقط الى الارض ، كما انه لو زادت سرعته عن هذا الرقم لانفجر وتناثر حطامه في الجو .

ولكي يجد العلم حلا لمثل هذه المشكلات وغيرها صنع مثل هذا الكوكب الاصطناعي وبناء ١٢ ـ ١٥ قمرا اصطناعيا فقد تعاون العلم والصناعة والحكومة في اميركا على وضع مشروع جبار لتذليل العقبات التي تعترض تنفيذ الخطة الموضوعة . والان ، بعد مرور سنة ونصف على تعهد الخطة المرسومة والعمل على تنفيذها بدقة ودهاء ، نرى هيكلي قمرين من هذه الاقمار الاصطناعية ينجز العمل منهما كما ان آلات الرصد والتسجيل الجوي قد تم صنعها ويجري تركيبها بنشاط في الهيكلين المذكورين . كذلك اجريت من جهة اخرى التجارب المتعلقة بالمرحلة الاولى من المراحل الثلاث التي يجب ان يمر بها صنع الصاروخ المعد لاطلاق الكوكب الاصطناعي .

واول الاقمار التي سيجري اطلاقها هو عبارة عن كرة قطرها ٢٠ قيراطا ووزنها ٢١رطلا انكليزيا ونصف . والهيكل الخارجي للسيار الاصطناعي يزن ١١ رطلا ومادته متخذة من المغنيزيوم المصفح من الخارج بصفائح من النحاس والزنك والنيكل والفضة واخيرا الذهب والصفيح الخارجي من شانه ان يقي آلات الرصد والتسجيل المجهز بها القمر من عوامل حرارة الشمس وقر البرد عندما تكون

كرة القمر الى جانب الارض تعزلها عن الشمس

وتقوم في داخل الكرة آلات الرصد والتسجيل وهي غاية في الصغر كما هي آية في الدقة ، والضبط والاتقان ، بحيث تسجل بمنتهى الدقة المعلومات التي تتعلق بالعوامل والعناصر المسيطرة على الفضاء وأثرها على الكرة الارضية والجو الهوائي المحيط بها . وهذه الاجهزة الدقيقة تسجل بدهاء حرارة الجو ودرجة ضغط الهواء ، ومظاهر الاشعة الكونية واشعة ما وراء البنفسجي والجاذبية والنيازك والشهب الفلكية وغير ذلك من الظواهر الجوية وكل ما يتصل بقشرة ارضنا البرانية .

وعندما يأخذ القمر الاصطناعي بالطيران والدوران حول الارض سيجهز بآلات ارسال خاصة ترسل الى الارض المعلومات والافادات التي تكون سجلتها بدقة ودهاء فتلتقطها المحطات اللاقطة في ٢٥ مرصدا كبيرا من المراصد الشهيرة التي تفترش اديم كرتنا الارضية . وتوزع هذه المعلومات فيما بعد على كل المراكز بحيث يستفيد منها من يرغب فيها

اما نقطة اطلاق القمر الاصطناعي السيار فهي رأس كمافيرال في ولاية فلوريدا . والصاروخ الجبار المعد لاطلاق الفلك الاصطناعي السيار ليدور دورته حول الارض كل تسعين دقيقة يبدو محدد الرأس (مروس) طوله ٧٢ قدما . ويسزن مع ما فيه من وقود ١١ طنا . وهو سيتألف من ثلاثة اقسام متميزة يمثل كل منها مرحلة من المراحل الثلاث المعينة للصاروخ . فالمرحلة الاولى المعينة للصاروخ هي الارتفاع بالقمر الاصطناعي الى علو ٣٦ ميلا فتبلغ سرعته اذ ذاك ٥٥٠٠ قدم في الثانية الواحدة . واذ ذاك ينفصل هذا الجزء الخاص بالمرحلة الاولى ويهوى الى البحر ، ثم تبتدىء المرحلة الثانية حيث تصبح سرعة الصاروخ ١٣٤٤٠ قدم في الثانية الواحدة . والجزء الخاص بهذه المرحلة يرفع الصاروخ الى علو ٢٦٠ ميلا ثم ينفصل عنه ويذهب الى المصير الذي سار اليه القسم الاول . واذ ذاك تبتدىء المرحلة الثالثة ويأتي دور الجزء الثالث الذي يدفع القمر الاصطناعي الى علو ٣٠٠ ميل فينطلق في الجو ويسير في مداره حول الكرة الارضية بسرعة ١٨٠٠٠ ميل في الساعة الواحدة .

ولما كان لم يسبق للطيران ان بلغ مثل هذا الارتفاع البعيد فقد يكون من الضروري لبلوغ مثل هذا العلو تجربة عدة اقمار واطلاقها في الجو . والعلماء الذين يشرفون على النهوض بهذا المشروع الجبار وتأمين نجاحه في مختلف المراحل المرسومة له هم على يقين وطيد بان كرة ذهبية ستنطلق في الفضاء البعيد قبل مرور سنة لتسبح في ثناياه في دورتها حول الكرة الام فترسم دورة كاملة حول الارض كل ٩٠ دقيقة ، وبذلك تتحقق الخطوة الاولى من هذه الخطى التي يرسمها الانسان في ريادته الفضاء الاوسع .

مجدد للخلايا يطيل عهد الشباب

●

تحقق اخيرا الحلم القديم الذي يتوق اليه الناس : اطالة الشباب النضر . فقد اكب على هذا الموضوع عن قرب العالمان البير شوفو وروجين رافارن . لماذا تأخذ الاغشية في الذبول وتجف وتعلوها التجاعيد او تنتفخ بالماء فتصبح رخوة متلاشية ؟ لماذا لا تتجدد خلايا الجلد ، في بعض مراحل العمر ، الا في قياس بطيء فتتلاشى وتموت بسرعة ؟

لقد اجاب العالمان شوفو ورافارن عن هذه الاسئلة بقولهما : يعود سبب ذلك الى افتقار في مادة الاوليجو Oligo-éléments وهذه المادة عبارة عن اجزاء معدنية صغيرة مركبة بدقة قصوى ولكنها في غاية الضرورة للحياة . ويدرك العالمان بان اختفاء هذه المادة من التربة التي تأكلتها المناجم يحرم مادة الاوليجو كما ان الجهاز الانساني المفتقر الى هذه المادة تعتوره الفوضى فيتشمع ويصيبه النشاف ويصبح سريع الحساسية على البنية . ومن هنا تقتحم الكهولة الجسم . واذن فالبنية البشرية تتقهقر بسبب افتقارها الى مادة الاوليجو .

لفت الدكتور جي لومان في بحث علمي الانتباه الى تمضية فترة النقاهة على شاطىء البحار منوها بانه لا يمكن حدوث شلل الاطفال في مياه البحر ومشيرا بذلك الى الحياة الزاخمة التي تزخر بها مياه البحر .

ان الحيتان الهائلة التي نراها احيانا على الشاشة . انها من الحيوانات ذات الثدي وتتنفس مثل البشر ولها جلد لا يختلف عنا ولها رئتان ودمها حار . وهذه الحيوانات هي من اقوى واكبر المخلوقات على الكرة الارضية . فالحوت يزن ١٥٠ طنا وطوله ٢٥ مترا ويعيش الف سنة . وهو على نصيب كبير من الليونة والسرعة والخفة العجيبة . والحوت في منجى تام عن الامراض . يموت دون ان يتعذب : لا مقاومة ولا احتضار ولا يعرف الكهولة ولا الشيخوخة . فما هو سر هذه الحياة الطويلة وتلك العافية الدائمة والشباب النضر لحيوان من ذوي الثدي مثلنا ؟ انه ولا شك وجود هذا الحيوان من ذوي الثدي بصورة دائمة في مياه البحر ، ذلك المصل الوثيق بيلاسما الدم البشرية الغنية بمادة الاوليجو . وانها لكذلك الغذاء المكون كله تقريبا من البلانكتون . في ان نعرف ما هو البلانكتون .

انه تلك المجموعة من الحيوانات الصغيرة التي تعيش في البحار ولا تراها العين المجردة . وقد تمكن الوصول الى حصر ثلاثة ملايين منها في كل متر مكعب من الماء . ويتكون البلانكتون من نصف حيواني ونصف نباتي في البراعم وفي الاجسام اللزجة وبيوض الاسماك الصغيرة ، وهي غنية بمادة الاوليجو التي تجدد الخلايا الحية . ان البلانكتون ولا شك البرعم لكل حياة على الارض .

وقد كشف الدكتور المغامر الن ومبار الذي عاش على زورقه ثمانية وخمسين يوما في اجتياز المحيط الاطلسي ، كشف عن الثروة الحياتية الموجودة في البلانكتون اذ انه امضى رحلته الطويلة على تناول البلانكتون والسمك النيء .

وقد نجح العالم شوفو وزميله رافارن بعد سنين من الدراسات في اعداد علاج مجدد للخلايا المتعبة بفضل هذه الملاحظات التي اوردناها اعلاه وبفضل جهود العلماء امثال بلجفار ودرومون وغيرهما . والواقع ان النتائج قد فاقت آمال اكثر المتفائلين وقد سمي هذا

في كلمات ...

● نشرت مجلة لانست الطبية البريطانية تقريرا لاحد مشاهير الاطباء تنبأ فيه ان مليون شخص على الاقل في انكلترا ويلز سيموتون خلال هذا القرن من جراء اصابتهم بسرطان الرئة الا اذا امتنع الناس عن التدخين . وكان الدكتور هوارس جول قد تنبأ بهذا الامر في تقرير قدمه في اجتماع عقدته الجمعية الطبية الملكية في انكلترا . وتكلم الطبيب ريتشارد دول احد الخبراء في المسائل الطبية فقال ان الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع كشفت عن وجود علاقة كبيرة بين التدخين وسرطان الرئة .

● اعلنت مؤسسة الابحاث لمكافحة الادمان على المسكرات بكندا في تقرير رفعته الى المجلس التشريعي لولاية اونتاريو ان الابحاث في جامعة تورنتو ادت الى اكتشاف دواء جديد لمكافحة الادمان على المسكرات سمي سي سي سي . وجاء في تقرير المؤسسة ان النية متجهة الى انزال سي سي سي الى الاسواق الا انه لا يجوز استعماله الا تحت اشراف طبيب .

الاكتشاف : مجدد انيجور Enigor

ومنذ عامين عولج نحو خمسمائة حالة فاعطت نتائج باهرة لا مثيل لها . فقد استعاد الكهول قواهم ومرحهم واندفاعهم والضعفاء باسهم وشجاعتهم وسرعان ما وجد المرضى الاتزان ونساء في الاربعين كن يحملن الهموم وعلى سيماهن طلائع الهرم عدن الى البهجة التي تتألق بها الفتاة في الخامسة والعشرين وجميع الحالات بكاملها كانت ناجحة . وبكلمة اخرى دفع هؤلاء الكهولة خمسة عشر عاما الى الوراء !

ويعمل الان شوفو وزميلته رافارن للحصول على البلانكتون من البحر في ساحل مدينة دييب شمالي فرنسا على عشرين كيلو مترا من اليابسة وعلى عمق ٢٠ مترا . وتعمل المختبرات على قدم وساق لاعداد انيجور ، ذلك انه يغذي الاغشية المتعبة ببراعم جديدة . وحين يتقدم العمر بالانسان او يرزح تحت اعباء مجهدة من هموم وامراض تظهر عليه علائم الكهولة من تجاعيد ولون كالح وخفقان قلب وافكار سود وصداع وعدم شهية . واذن فعلاج انيجور يعيد التوازن الى الخلايا ويعمل على تكوين خلايا جديدة غيرها ، وبذلك يعيد الى الانسان النشاط والشباب والنضارة .

احمد عويدات

● أعلن الجنرال جيمز كوني نائب رئيس اطباء الجراحة في الجيش الاميركي في لوس انجلوس ان مراكز الابحاث الطبية للجيش تقوم الان بتجربة مصل جديد ثبتت فعاليته حتى الان بنسبة ٩٠ بالمئة في القضاء على الجراثيم التي تسبب الزكام . واضاف يقول انه يجري الان تلقيح ١٠٠٠٠ جندي بهذا المصل في محاولة للقضاء على جرثومة خاصة تصيب اربعة من كل خمسة من الجنود في كل شتاء . هذا وسيوضع المصل تحت تصرف المدنيين اذا نجحت هذه التجارب .

● اعلنت شركة « ابجون » لانتاج الادوية والمواد الطبية امام مؤتمر طبي عقد مؤخرا في سانت لويس نبأ اكتشافها علاجا جديدا « شديد الفعالية » لداء التدرن الرئوي واسم هذا الدواء «ستربتوفاريسين» وقد اجريت بواسطته عدة تجارب ناجحة على الحيوانات الاختبارية وتقول الشركة انها قد بدأت في تجربة هذا الدواء على الاشخاص المصابين بهذا الداء ولكنها لم تعلن بعد نتائج تلك التجارب . ويقول الاختصاصيون ان التجارب تشير الى ان الدواء الجديد سيكون له فائدة عظيمة عند استعماله مع الادوية الاخرى المضادة لداء التدرن الرئوي .

● كانت صدفة محضة عندما توصل الدكتور فرديناند هونكه الذي اصبح اسمه اشهر من نار على علم في المحافل الطبية فيما بعد ، الى معالجة الصداع النصفي وازالة الامه بظرف ثانية واحدة . فقد حدث ذات مرة عندما اراد في عام ١٩٢٥ حقن ساعد سيدة بمادة تعمل على تخفيف الم الصداع النصفي الذي كانت تشكو منه ، ان دخل رأس الحقنة في وريد الساعد خطأ وتسربت المادة الى الدم مباشرة . ولشدة ما كانت دهشة دونكه عندما لاحظ ان الام المرض قد زالت فجأة في نفس اللحظة التي حقن فيها المريضة في الوريد . وجعل منذ ذلك الوقت يكرر العملية مرارا ويعتمد ارتكاب نفس الخطأ ، فكان يحرز دائما على نفس النجاح الذي حصل في المرة الاولى.

وقد قامت علية حملة عنيفة من قبل زملائه الاطباء لكن بعد دراسات لم يجد الطب المدرسي من مناص من الاعتراف بمفعول هذه المادة التي اخذ الدكتور هونكه يعالج مرضاه على الدوام بها . وهذه المادة تدعى امبليتول وهي تتكون من النوفوكائين الكوفيئين وكانت تقتصر وجهة استخدامها في اول الامر على التأثير على الاعصاب التي تنقل شعور الالم فتقوم بتخديرها فقط ، ولم تستعمل في ازالة المسببات كما حدث فيما بعد . ومما زاد في دهشة رجال الاختصاص ملاحظاتهم ان الـ « امبليتول » لا تقتصر فائدته على القضاء على الصداع النصفي فقط ، بل انه يصلح لمعالجة العدد الكبير من الامراض المستعصية مثل التهاب حوض الكليتين ، وثقل السمع ، وبعض الامراض الجلدية .

● أعلن الدكتور ونستون برايس احد اساتذة جامعة جون هوبكنز ، نبأ اكتشافه لقاحا يحمي الانسان من انواع من التهابات المخ التي قد يكون بعضها مميتا . وقال الدكتور

[تتمة المنشور في صفحة ٢٥]

العقد الاخير

– الا من يستخدمني لديه ؟

هذا ما كنت اردده ، عاليا ، في الصباح ، وانا اسير في الطريق المعبدة الحجرية. ومر ملك مستقلا مركبته، وفي يده سيفه .

وامسك بيدي ، ثم قال : انني استخدمك ، على ان ادفع اجرتك ، مشاركتك لي في سلطاني .

ولكن سلطانه لم يكن يحتوي على شيء ، ومضى الملك بمركبته .

وفي الظهيرة القائظة ، كانت ابواب الدور القائمة مغلقة . واخذت اضرب ، هائما ، في درب ملتوية .

وتقدم شيخ يحمل سفطا مليئا بالذهب وفكر ثم قال: انني استخدمك على ان انقدك اجرتك من مالي .

وجعل يعد نقوده ، قطعة ، قطعة ، ولكنني انكفأت راجعا .

وكان الوقت مساء ، وكان وشيع الحديقة كله مزهرا .

وتقدمت الفتاة الوسيمة وقالت : انني استخدمك ، على ان امنحك اجرتك ابتسامة . غير ان ابتسامتها شحبت ، واطردت دموعها ، باكية ، وعادت ، وحدها ، وغابت في الظلام

وكانت الشمس تتالق فوق الرمال وكانت الامواج تتلاطم جامحة وكان ثمة طفل جالس يلهو بالاصداف

ورفع راسه وبدا كأنه يعرفني وقال : انني استخدمك ، على الا ادفع شيئا ، اجرة لك .

ومنذ ان تم الاتفاق على هذا العقد الذي جرى وانا الهو مع طفل، فقد اصبحت رجلا حرا .

استانبول — **بديع حقي**

برايس انه استخرج اللقاح من نوعين من الفيروسات التي يكثر وجودها في منطقة الشرق الاوسط واسمها « فيروسات غربي النيل » التي تؤدي بعض الاحيان الى موجات من الامراض البسيطة تجتاح مصر والبلدان المجاورة . وان هذه هي المرة الاولى التي يكتشف فيها لقاح واحد يعطي مناعة ضد عدة انواع من الفيروسات التي تؤدي الى التهاب المخ وهو داء قد يجلب بعض المرات مرض النوم والشلل . وفي الماضي لم يوجد أي علاج واق من بعض هذه الامراض .

وقال الدكتور برايس ان اللقاح الجديد ، على الرغم من كونه في طور التجربة سيكون له تأثير هام على صحة شعوب اسيا وافريقيا ومنطقة البحر المتوسط واميركا الجنوبية حيث يكثر انتشار التهاب المخ من وقت الى اخر . وبالاضافةالىصفته الوقائية ضد عدة انواع من التهاب المخ فان اللقاح يمنع ايضا حمى الدانغ (ابو الركب) المزعجة . وقد نصح الدكتور برايس الاستمرار في البحث عن نوع افضل من الفيروسات المذكورة قبل البدء في استعمال اللقاح على نطاق عالمي . واضاف ان التجارب التي اجريت على الناس قد برهنت ان اللقاح مفيد .

● اتضح لفريق من الخبراء في جامعة ويسكونسن ان صوامع القمح المخزون يتصاعد منها غازات مؤذية وضارة تسبب في المتنشق لها من المزارعين مرضا لم يفطن له الطبيب كثيرا حتى الان . وهذه التصعدات تتألف من غاز النتروجين ، فتنبعث من صوامع القمح بعد خزنه ببضعة ايام حتى اذا ما نشقه المزارع اصيب بمرض اقعده عن العمل . ومع ان المرض الجديد جرى الكشف عنه من مدة قريبة فهؤلاء الخبراء يعتقدون ان المرض موجود منذ ان اخذ المزارعون بانشاء مثل هذه الصوامع في مزارعهم واعراضه شبيهة باعراض داء الخبب تقريبا .

● تبين من تصوير عدد كبير من الناس باشعة اكس في المانيا ان ٤٨ شخصا من اصل ٤٤،٠٠٠ كانت قلوبهم على جهة اليمين بدلا من الشمال . وكانت الاحصاءات قبل الحرب قد دلت على ان المانيا واحدا من كل خمسة الاف الماني كان قلبه على جهة اليمين فضلا عن اعضاء اخرى كانت في غير مواضعها العادية ويصح القول اليوم ان هناك عشرة الاف شخص في المانيا الغربية فيهم مثل هذه الظاهرة الغريبة . ومما يذكر ان هذه المظاهرة انقذت حياة شخص في برلين وذلك عندما طعنه احدهم بخنجر على جهة الشمال ظنا منه بانه يصب القلب . ولكن القلب كان في الجهة الاخرى ولم يقتل المعتدى عليه .

● يقول تقرير للهيئة الطبية الوطنيةالاميركية ان حوادث مرض السفلس قد ازدادت بشكل هائل في الولايات المتحدة عام ١٩٥٦ بعدما كان قد خف نسبيا في السنوات التسع السابقة . ويضيف التقرير قائلا ان الشبان اليافعين اصبحوا يشكلون قضية كبرى في مراقبة الامراض الجنسية وان مئة وستة وعشرين الفا ومائتين وتسعة عشر شخصا قد اصيبوا بالسفلس في العام الماضي ، أي بزيادة اربعة الاف ومئة واربعة واربعين شخصا عن العام الاسبق . ثم يقول ان احدى عشرة ولاية وثماني عشرة مدينة قد ازداد فيها انتشار هذا المرض وبين اليافعين من ابنائها . ففي ولاية اوكلاهوما فان اربعين بالمئة من المرضىبالسفلس هم من الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين . وظهر ان هناك استعدادا كبيرا من الشبان اليافعين لالتقاط هذا المرض في ولايات مسيسيبي وكنساس وانديانا .

● نجح كيميائي اميركي شاب في استخراج مادة من الاسماك المجففة ، اذا اضيفت لاي طعام ، منحته كمية من البروتينات تعادل ما في اللبن واللحوم ، في حين ان نفقات استخراج هذه المادة واعدادها لا تزيد عن ٥ بالمئة من ثمن اللبن واللحم . ويأمل الكيميائي الشاب « ليفين » ان ينجح اكتشافه هذا في انقاذ كثير من المناطق العالمية التي تشكو نقصا في التغذية . وقد وفق الى جعل المادةالمستخرجة من الاسماك خالية من كل طعم او رائحة تنتمي الى السمك حتى يمكن للاشخاص تناولها دون غضاضة اما الاشخاص الذين يحبون اكل السمك ، فقد اعدت لهم وجبات خاصة تحتفظ بمذاق الاسماك ونكهتها . وقد اعد السناتور الاميركي بول دوجلاس وليمة خاصة حفلت بانواع الطعام المختلفة ، التي استخدمت المادة المستخرجة من السمك في صناعتها ، حتى الخبز كان هو الاخر مصنوعا من بروتينات الاسماك ، ودعي لهذه الوليمة مندوبون من ثماني سفارات اجنبية في اميركا .

وقد اعجب الجميع بمذاق الاطعمة التي

قدمت اليهم فضلا عما تحويه من مواد غذائية

● ورد في أنباء فرصوفيا ان بولين ريبكا ، وهي فلاحة بولندية قد توفيت في السابعة والاربعين من عمرها بعد ان عاشت ٢٢ سنة في غيبوبة شبه دائمة . وقد ترددت بين الحياة والموت طوال ٢٢ سنة في قرية نائية في جنوب غرب بولندا . وعندما توفي والدها تولى شقيقها وعائلتها العناية بها بعد ان وعدوا بان لا يرسلوها الى المستشفى مطلقا . وقالت الانباء انها كانت تعيش على ارغفة الخبز المبللة بالحليب .

وقبل وفاتها ببضعة اسابيع في ٢١ فبراير استيقظت ذات مرة وعرفت شقيقها وبقيت واعية وعيا تاما حوالي ثلاثة اسابيع لكنها كانت ضعيفة جدا وتمكنت ان تتكلم فقالت يبدو لي كانني نمت الليلة الماضية .

وجاء في نبا وفاتها الذي وصل الى وارسو انها اصيبت بهذا المرض سنة ١٩٣٥ وبدت عليها عوارض تشبه تلك التي تنتاب المصابين بالالتهاب السحائي وظهر عليها عدة مرات خلال غيابها الطويل عن الوعي على انها ستعود الى وعيها لكنها لم تكن لتعي على شيء مما كان يدور حولها .

● جاء في تقرير وضعته الهيئة الصحية في مدينة كلكوتا ان شخصا واحدا يموت بمرض الجدري بمدينة كلكوتا كل ساعة ونصف .

● نقل طفل بريطاني عمره سنتان مع والدته وطبيبه على طائرة من لندن الى نيويورك لمعالجته من مرض السرطان الذي استفحل به ولن يدعه يعيش ، كما يقول الاطباء ، اكثر من ايام معدودة . وستجري معالجة الطفل في مركز ابحاث مرض السرطان الذي يعالج عادة فيه المرضى الميئوس من شفائهم ، ولا تجري معالجتهم بواسطة العمليات الجراحية او اشعة الراديوم وانما باعطائهم حبوب وحقن من تركيب كيميائي توصل اليه الاخصائيون الاميركيون .

وقد دفعت نفقات سفر الطفل ووالدته وطبيبه جمعية خيرية بريطانية ، ويعالج في اميركا مجانا وعلى نفقة محامية اميركية هي الانسة فاني هالتز من التي زارت بريطانيا اخيرا ، وكتبت مقالا عن ابحاث الدكتور ايمانويل ريفيسي المشرف على مركز ابحاث السرطان في نيويورك .

● وقعت في قرية الحوامدية بمصر ظاهرة حيرت العقول . اذ توجد في البلدة بنت في الشهر الثامن عشر من العمر ظهرت عليها منذ ولادتها عوامل السمنة المفرطة . اما اليوم فانها تزن ٣٧ كلغ وتلتهم خمسة ارغفة واربع بيضات وتظل جائعة .

● شاهد سكان مدينة ديترويت جراحة قلبية دقيقة على شاشة التلفزيون اجريت على مريض شاب لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره . وقد كان الطبيب يشرح للمتفرجين مراحل الجراحة خطوة فخطوة وعرض عليهم عضلات القلب المختلجة . والجدير بالذكر ان عملية اصلاح احد صمامات القلب هذه تمت بنجاح

● تبرعت السيدة فرنكلين روزفلت ارملة رئيس الولايات المتحدة السابق بعينيها الى بنك العيون الاميركي حين توافيها منيتها . والمعلوم ان ١٥٠٠٠ شخص تبرعوا عام ١٩٥٦ بعيونهم الى هذه المؤسسة بعد وفاتهم .

● حاز احد هواة الراديو على جائزة اديسون للهواة لسنة ١٩٥٦ وذلك للخدمة التي اسداها الى طفل مريض في الكونغو البلجيكي . فقد التقط السيد هاري فندت من جزيرة ستاتن بولاية نيويورك اشارة استغاثة من احد الهواة في الكونغو البلجيكي بافريقيا يطلب فيها دواء خاصا لمعالجة طفل مريض فقام فندت عندها باذاعة الطلب من محطته الصغيرة على جميع الهواة في الولايات المتحدة مما ادى الى ارسال الدواء بالطائرة الى افريقيا . وقد وصل الدواء في الوقت المناسب وهكذا ساهم فندت بانقاذ حياة الطفل الصغير ونال الجائزة .

● طلبت هيئة الدفاع المدني الدنمركية من الحكومة منحها مبلغا يعادل ١٢٥٠٠٠ جنيه استرليني للشروع في انتاج كميات كبيرة من نوع خاص من الاقنعة الشعبية الواقية من الغازات . وتمتاز هذه الاقنعة ، التي سيزود بها جميع افراد الشعب الدنمركي ، بانها تقي حامليها من اخطار الغبار الذري والغازات السامة

● اعلنت الصين الشعبية انها ستبدأ برنامجا واسعا لتحديد النسل وذلك لحصر عدد سكانها الهائل . وبالاضافة الى ذلك سيسمح النظام الشيوعي الان للاطباء بالقيام بعمليات الاجهاض والتعقيم اذا اراد الناس ذلك . وقد قام وزير الصحة السيد لي تيه شو ان باعلان ذلك في خطاب القاه امام اللجنة الوطنية للمؤتمر السياسي الاستشاري للشعب الصيني .

ويقدر عدد سكان الصين بستمائة مليون نسمة يزدادون كل سنة حوالي ١٥ مليونا .

● يبني الروس الان سفينة لتحطيم الثلوج تسير بقوة الطاقة الذرية وهي اول سفينة من نوعها في العالم ، وستستطيع هذه السفينة ان تواصل السير في البحار سنة كاملة دون ان تحتاج للتزود باي وقود . وقد اطلق على هذه السفينة اسم « لينين » ، ويامل الروس ان ينزلوها الى البحر في اكتوبر القادم ويبلغ طول هذه السفينة ١٣٤ مترا ، وحمولتها ١٦ الف طن ، وقوة محركها الذري ٤٤ الف حصان

● اعلنت البحرية الاميركية ان خمس غواصات ذرية جديدة ستصبح قسما من الاسطول الاميركي في نهاية العام القادم . والمعلوم انه لدى الولايات المتحدة الان غواصتان ذريتان وهما « نوتيلوس » و « سي ولف » وقد قطعت نوتيلوس حتى الان ما يزيد عن الستين الف ميل قبل ان تزود مرة اخرى بالوقود الذرية . وسيتم في عام ١٩٥٨ بناء الغواصات الذرية الجديدة التالية كاكت وسيوردفش وسارغو . وقد اعلنت البحرية كذلك توسيع برامجها لصنع الغواصات التي سيصل عددها الى ٦ غواصات في السنة ، اما مجمل الغواصات الذرية التي تم بناؤها والموجودة قيد البناء فهو ٢٠ غواصة ذرية .

● القى الدكتور تشارلز دنهام رئيس فرع علم الحياة والطب في لجنة الطاقة الذرية الاميركية ، القى خطابا بمناسبة الذكرى المئوية لكلية الطب في سنسيناتي اعلن فيه ان الولايات المتحدة تقوم الان ببناء اول جهاز تفاعل ذري جرى تصميمه خصيصا لاجراء الابحاث الطبية ويجري بناؤه الان في مختبرات بروكهافن الذرية الوطنية في لونغ ايلاند بنيويورك هو اول جهاز في العالم وضعت تصاميمه خصوصا لاجراء الابحاث ومعرفة امكانية استعمال النيوترونات التي يولدها في معالجة داء السرطان .

واضاف الدكتور دنهام قائلا ان العلماء في مختبرات بروكهافن قد تقدموا في ابحاثهم المتعلقة بالسرطان . وباستعمال الاجهزة الموجودة استطاع الباحثون تقديم العلاج الذري للطلوعات العميقة المقر بواسطة ادخال النيوترونات المنبعثة من تفاعل معدن بورون - ١٠ الى الدورة الدموية . والجهاز الجديد قد يمكن علماء مختبرات بروكهافن من ايجاد علاج للطلوعات الدماغية والطلوعات الاخرى في الجسد بواسطة زيادة كمية النيوترونات لاجراء المزيد من التجارب والابحاث . وقال ان النظائر المشعة تستعمل الان بشكل واسع في الحقل الطبي في الولايات المتحدة وخصوصا في معالجة بعض ميكروبات الدم وفي تشخيص الطلوعات الدماغية وغير ذلك . وقال الدكتور دنهام ان الولايات المتحدة قد ارسلت منذ عام ١٩٤٦ حتى الان ٥٢٥٨ شحنة من النظائر المشعة الى ٥٤ دولة لتستعمل في الابحاث الطبية والزراعية والصناعية .

● اذاع راديو موسكو تصريحا لرئيس لجنة الابحاث الذرية السوفياتية جاء فيه ان العلماء الروس حققوا خلال السنة الماضية نتائج مهمة في ميدان السيطرة على التفاعل الهيدروجيني

اد تمكنوا من السيطرة على قوة القنبلة الهيدروجينية . وقال المسيو الكسندر توبيتشف سكرتير لجنة الابحاث الذرية ان العلماء السوفيات اثبتوا ان الاشعة الكونية خارج نطاق اجواء الارض تتركب في معظمها من ذرات هيدروجينية وان هذه الذرات تدور بسرعة تعادل الضوء .

● شاهدت الملكة اليزابيت تجربة ذرية طريفة في معهد الابحاث الذرية في مدينة هارويل قام بها زوجها الامير فيليب . اما التجربة فهي عبارة عن آلة صغيرة تدعى « الالة العبد » وتستطيع ان تحلق شعر الرأس بتوجيه من المحرك الذري الذي يسيطر عليها. ولما لم يكن الامير فيليب خبيرا بمثل هذه الامور فقد اكتفى بتجربة بسيطة جعل « الالة العبد » تلتقط له انبوبا معدنيا وتنقله الى موضع اخر . اما تجربة الحلاقة فقد اجراها عالم من علماء المعهد . ومن الطريف ايضا ان الالة المذكورة تستطيع بتوجيه خاص التقاط علبة الثقاب واشعال احد عيدانها ثم اضاءة عدد من الشموع .

● صرح السيد الفرد شاو المهندس المشرف على بناء المركز الذري في معهد الابحاث النورولوجية بفنزولا بان المركز المذكور سيكون اضخم مركز من نوعه في العالم بني حتى اليوم . ذلك بانه سيكون مقرا لتركيز كافة المشاريع المهيئة للابحاث في المعهد المذكور . وسيجري تعميم استخدام الطاقة الذرية بواسطة انابيب لنقلها تعمل في آن واحد باتجاهين افقي وعمودي ويضيف السيد شاو قائلا بان لجنة الطاقة الذرية قد عممت استخدام الذرة لدرجة اصبحت معها هذه الاداة لا تسبب أي خطر فالخطر ينتج عادة من الاشعاع ولهذا اتخذت الاحتياطات اللازمة .

● اعلن المستر لويس ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية في اميركا ان الحكومة الروسية قامت في ٩ الشهر الماضي بتجربة ذرية جديدة لسلاح من حجم الاسلحة التي اجريت تجاربها خلال الفترة الاخيرة . ولم يذكر البلاغ الاميركي نوع التجربة الجديدة ولكنه اوضح ان الانفجار الاخير كان مشابها للانفجارات التي اجراها الروس في الايام الاخيرة ومن نفس الحجم

● عرضت اخيرا شركة وستنجهوس الكهربائية الاميركية نوعا جديدا من الالات الحاسبة الالكترونية تفحص المعلومات التي تعطى لها ثم تقرر ما تراه بشأن حل المشكلة المقدمة لها. وقد صمم هذا « العقل » الالكتروني لحل العمليات الكيماوية المعقدة التي يصعب على الانسان القيام بها . فتعطى الالة تفاصيل السؤال ، او المسألة بواسطة اجهزة قياس العمليات الكيماوية ، وتقوم هي بالحل بطريقة التجربة والخطأ بدلا من حل المعادلات الكيماوية حلا مباشرا كما هي طريقة معظم الالات الالكترونية وتتلخص طريقة التجربة والخطأ هذه بان تقوم الالة بمحاولة اعطاء الجواب على حد الاسئلة فاذا لم يصلح اعادت التجربة من جديد . وعند حصولها على احسن جواب قامت بتدقيقه والتحقق منه بان ترتكب اخطاء صغيرة عن عمد ، للتأكد من نتيجة عملها .

● اعلن السلاح الجوي الاميركي عن بناء فرن شمسي ضخم لدراسة اداء الطائرات في درجات الحرارة العالية جدا . ويقال ان الفرن الجديد سيشع حرارة تقرب شدتها من حرارة سطح الشمس ، وسيستخدم الفرن في الابحاث الجارية لتحسين صناعة الطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت .

● قررت مصلحة السكك الحديدية في بريطانيا اعداد قطار خاص بصورة دائمة بالاجهزة التلفزيونية لتسلية الركاب والمسافرين . وسيكون هذا القطار جاهزا للعمل خلال شهر ابريل القادم وسيكون فيه عربة مجهزة باستديو لهذا الغرض . وستعرض البرامج على جدران قطارات المسافرين لمشاهدتها .

● ستبدأ الصين في انتاج ما تحتاج اليه من ساعات اليد في نهاية هذه السنة في مصنع يتم انشاؤه في شنغاي . وان المقرر ان يعمل في هذا المصنع خمسمئة عامل يشرفون على ثلاثمئة الة تنتج ثلاثمئة ساعة يوميا .

● اخذت تغزو المصانع الاميركية اخيرا موضة استعمال الملابس المصنوعة من الالومنيوم لوقاية العمال من الحرارة ولهب المصانع ، ولهذه الملابس طاقة على تحمل درجة حرارة عالية جدا تصل الى ١/٨ درجة حرارة سطح الشمس وهي مصنوعة من نسيج مكسو بالالومنيوم الذي يعكس الحرارة الاشعاعية ، وتمتاز فضلا عن خاصيتها هذه بانها مرنة للغاية وخفيفة الوزن ومتينة بحيث يستطيع العامل الذي يرتديها العمل بكل راحة في الافران الصناعية التي تصل حرارتها الى ١٤٠٠ درجة فهرنهايت

● وتستعمل لوقاية العمال ايضا معاطف ومرايل واغطية للاحذية وقفازات وقبعات مصنوعة من القطن المكسو بالالومنيوم لحماية رجال الاطفائية وعمال الفولاذ وعمال الطوارىء في المطارات وحقول الزيت وغيرهم من الذين يقتضيهم عملهم مواجهة النيران او الحرارة العالية لانقاذ الارواح والاموال . وتقول مئات المصانع التي تستخدم هذه الملابس الان ان ابتكارها يحول دون وقوع تلف كبير في ممتلكات هذه المصانع كما انها وفرت مئات الالوف من الدولارات بتمكين لابسيها من دخول « المناطق الحارة » في المصانع بسرعة

● تعمل احدى مصانع السيارات الانكليزية حاليا في صنع السيارة المنزل وهي لا تكبر سيارة الستايشن كثيرا وتضم غرفة نوم فيها سريران ومطبخا صغيرا وحماما للمياه الباردة والساخنة ، وقد ابتكر هذه السيارة مدير احدى الشركات الكيمائية ولا يتعدى ثمنها تسعمئة ليرة استرلينية .

● نشرت شركة دي هافيلاند البريطانية كلمة عن صنع محرك تربيني نافوري جديد يعرف باسم جيرون ويعتبر هذا المحرك من اقوى المحركات النافورية في العالم اذ تصل قوة دفعه الى ٢٥ الف ليبرة ويعتبر انه ارقى طراز تم احداثه في ميدان تطبيق الغاز التربيني على المحركات وكتب مراسل جوي يقول ان هذا المحرك عندما يكون في اقصى دفعه الجوي سيطلق من القوة الميكانيكية الدافعة اكثر من محركات السفينة كوين ماري . ومن الممكن ان يستخدم لقاذفات القنابل التي تصنع لتجتاز سرعتها سرعة الصوت او في الطائرات المحاربة العظيمة السرعة التي تستخدم لماكسة فعل المقاتلات الحربية الاخرى ومعارضة سبيلها . وقد وضعت تصاميمه كي يستخدم عندما نرغب في الحصول على سرعة تتجاوز سرعة الصوت ثلاثة اضعاف .

● افتتح خط جوي جديد بطائرات الهيليوكوبتير بين مدينة بركسل ومدينة باريس وتحط هذه الطائرات في قلب المدينتين.

● ابتكرت شركة ادميرال جهاز راديو فونوغراف يدور بالتيار الكهربائي المحول من نور الشمس بواسطة بطارية سليكون شمسية والجهاز مزود ايضا بست بطاريات صغيرة بحجم بطاريات اليد تختزن من التيار ما يكفي لادارة الفونوغراف مدة ساعتين ، والراديو مدة عشر ساعات. ولا يزال الابتكار في طور التجربة

● ابتكرت شركة هوفمان للالكترونيات بوشنطن بطاريات شمسية لاستعمالها في اجهزة الراديو وبطاريات اليد واجهزة التحذير على الطرقات .

● منحت مصلحة التبوغ العراقية عقدا بأربعمائة الف دينار لشركة هاوتي الالمانية الغربية لانشاء اول مصنع حكومي للسجائر في العراق .

● صرح السيد حمد الفرحان ، وكيل وزارة الاقتصاد الوطني الاردنية ، بان كميات وفيرة من النحاس قد اكتشفت في منطقة العقبة .

وقال ان لدى وزارة الاقتصاد عددا من الطلبات قدمتها مؤسسات ترغب في استثمار مناجم النحاس التي اكتشفت اخيرا في تلك المنطقة ، ولم يكشف السيد الفرحان النقاب عن الكمية المقدرة للنحاس في تلك المناجم او مدى نقاوته من الشوائب .

● اشار المستر بتلر حامل اختام الملكة في مجلس العموم البريطاني الى امكان مد خط انابيب جديد من شمال العراق الى شواطىء البحر الابيض المتوسط عبر تركيا . وقد نوه بان المسائل المتعلقة بالتخطيط والتمويل والتنفيذ الخاصة بهذا المشروع هي من اختصاص المصالح التجارية التي تتشاور مع حكومات البلدان المعنية التي سيمر في اراضيها خط الانابيب المزمع انشاؤه .

ومما قاله: لقد جرت فعلا مباحثات في المدة الاخيرة بين شركة نفط العراق والحكومات المعنية بصدد امكان مد خط انابيب من الحقول الواقعة شمال العراق عبر الاراضي التركية الى شاطىء البحر الابيض المتوسط واتخذت في الوقت ذاته الترتيبات لابقاء الحكومة البريطانية مطلعة على سير هذه المباحثات .

● اعلن رسميا ان انتاج الفوسفات في الاردن قد تضاعف خمس مرات خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، وفي النية مضاعفته خمس مرات اخرى خلال السنوات الاربع القادمة ليبلغ مليون طن في السنة .

وكان انتاج شركة الفوسفات الاردنية في العام الماضي ٢٠٨ الاف طن مقابل اربعين الفا في العام ١٩٥٣ وازداد الانتاج الى ٨٠ الف طن في العام ١٩٥٤ والى ١٦٠ الف في العام ١٩٥٥ . وتسعى الشركة الان لزيادة انتاجها بمعدل ٢٠٠ الف طن في السنة اعتبارا من العام الجاري حتى يصل الى مليون طن في العام ١٩٦٠ وعندئذ يكون انتاج الفوسفات الاردني جزءا من ٢٥ من انتاج العالم الذي يبلغ الان عشرين مليون طن ويزداد بمعدل ١٠ بالمئة في السنة . وقد قدرت المصادر الرسمية قيمة المليون طن من الفوسفات التي ينتظر انتاجها عام ١٩٦٠ بنحو اربعة ملايين ونصف مليون دينار .

وقارنت هذه المصادر بين دخل الفوسفات ودخل البوتاس من شركة البوتاس العربية ، فقالت ان الانتاج الاولي لشركة البوتاس يقدر بمئة الف طن في السنة ثمنها مليون ونصف مليون دينار وتقول مصادر وزارة الاقتصاد ان هناك تقارير فنية وضعتها شركة ماكاي وستلمان الهندسية البريطانية تدل على ان نصف مساحة الاردن تغطيها طبقة ممزوجة بالفوسفات اما موارد الفوسفات المكتشفة في الاردن حتى الان فتقدر بخمسة عشر مليون طن .

● بينما كان العمال يقومون باستبدال بلاط احد المحلات التجارية في سوق سرسق ببيروت فوجئوا بوجود قبو تحت ارض الدكان فنزل بعضهم الى داخله حيث وجدوا بعض القطع الحجرية الاثرية فابلغوا مديرية الاثار التي باشرت بنقل الاثار الى المتحف .

● عثرت دائرة الاثار الاردنية على عدد من القبور الاثرية في ضواحي مدينة جرش المعروفة باثارها التاريخية والتي تبعد نحو ٥٩ كيلو مترا عن عمان . وتفيد المعلومات الاولية التي توفرت حتى الان ان هذه التوابيت الحجرية تعود الى حوالي الفي عام .



محمد حسين هيكل لطه حسين

●

قال الاستاذ رضوان ابراهيم مراسل الاديب بمصر :

اهتزت الاوساط الادبية في مصر لما نعي اليها فقيد الادب والصحافة والسياسة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، واقيمت حفلات لتابينه تبارى فيها الشعراء والخطباء ، وتحدث عنه جل اصدقائه وزملائه الا واحدا كان اولى الناس بالحديث عن هيكل هو صديقه وزميله الدكتور طه حسين ، فقد افتقده الناس في هذه الحفلات فلم يروه ولم يسمعوه ، وتساءلوا .. ولكن الدكتور طه حسين اسكته هول المصاب ، فاستانى حتى تهدأ فورة الحزن ليقيم ماتما وحده ، يشيع فيه صديقه الراحل ، فاقام حفلة لتابين هيكل كان هو خطيبها الاول والاخير .

وفي قاعة المجمع اللغوي وقف طه حسين يتحدث عن هيكل ساعة ، وما راى الناس طه حسين يبكي فتفضحه دموعه ، وما عهدوا صوته المجلجل يحتبس كما شاهدوه اليوم وهو ينثر الدموع على قبر هيكل ...

★ ★ ★

انا لله وانا اليه راجعون .. وقد اصبح حزني عليك الوانا .

في هذا اليوم اتمثل وقفة استاذنا لطفي السيد منذ نصف قرن يرثي فقيدا عظيما هو فقيد مصر مصطفى كامل .

واليوم اقف هذا الموقف لاتحدث عن اخي وصديقي وزميلي محمد حسين هيكل رحمه الله .

وعزيز علي ان اذكر هذا الزميل العزيز وان اقرن ذكره بهذا الدعاء الذي نذكره حين نسمي من سبقونا الى الاخرة .

وكم كنت اتمنى ان اذكره دائما وان اضيف (حفظه الله) ، ولكن قضاء الله لا يرد ، وليس بد مما ليس منه بد

لا بد للقرناء ان يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار

لقد كان هيكل زميل الشباب ، وصديق الكهولة ، واخا الشيخوخة ، تعارفنا حين كنا ناشئين في مكتب استاذنا احمد لطفي السيد عندما كان مديرا للجريدة ، كنا نختلف اليه في الضحى فنشهد عمله في ادارة الجريدة وتحريرها ونسمع احاديثه العذبة في السياسة والفلسفة والمنطق وفي الادب العربي ايضا ، وكنا نتخذه نموذجا لانفسنا ، ونقيس المثل الاعلى به عندما نطمع للمثل العليا في الحياة.

وعرفته حين كناتلميذين في الكتابةالسياسية والادبية على استاذ لطفي السيد . كان طالبا في الحقوق ، وكنت مجاورا في الازهر ، ثم طالبا في الجامعة ، وافترقنا حين بعث لدراسة الحقوق ، ثم اجتمعنا ، ثم افترقنا حينما سافرت الى فرنسا ، ثم التقينا ، ثم اشتركنا بالعمل في جريدة السياسة . كان لي رئيسا ، ولكنه كان زميلا لم يعرف للرياسة معنى ، كان صديقا لكل من يعمل معه . كنا نلتقي مساء كل يوم فنتحدث ، ويجادل بعضنا بعضا في تحرير صحيفة الغد ، ثم نقتسم الفصول ، ويخلو كل منا الى فصله ، حتى اذا اتمه التقينا فقرأ كل منا ما كتبه للاخر ، وربما اصلحنا في هذا الفصل او ذاك ، ثم تصدر جريدة السياسة ، يراس تحريرها هيكل ، ويشترك فيها نفر من زملائه واصدقائه .

وكانت هذه الفترة خطيرة في تاريخ الحياة المصرية ، فترة الصراع المر بين المصريين والانجليز ، وفترة الاختلاف بين المصريين حول وسائل الصراع والتخلص من الانجليز ، كنا نخاصم الانجليز احيانا ، ولكنا كنا نخاصم المصريين في تلك الايام اكثر مما خاصمنا الانجليز ، صرفتنا الخلافات بين الاحزاب عن الانجليز المحتلين ، وكنا نختلف حتى في سياسة الحزب الواحد ، وكنا نتسابق : اينا امضى لسانا واشد قلما من خصمه ، وكنا نساق للمحاكم ، فيقضى علينا او نبرأ ولكنا كنا نعود فنشتد في الخصومة .

وعرفت هيكلا وزيرا للمعارف ، وعملت معه زميلا صديقا وكثيرا ما كنا نختلف ، واذكر اني كنت معه ذات يوم في مكتبه ، ورايته متبرما ضيق الصدر ، لان احد كبار الموظفين في وزارته لا يستطيع ان يقول له لا : . فقلت له : ارايتني قلت لك يوما : نعم ؟ فقال اما انت فما قلت لي : نعم ، ابدا ، فقلت له : تعز عن هذه بتلك .

وكثيرا ما اختصمنا ، وكانت الخصومة التي كنا نؤثرها هي الخصومة حول كتابتي وكتابته، كنت اتهمه بانه لا يحسن العربية ، وكان يتهمني بانني احسن العربية واخطىء المعاني، وكان يقول لي ان تنميق العبارة يصرفني عن الاهتمام بالفكرة ، وانني استولي على قرائي بزينة اللفظ وروعة العبارة ، ولم تكن نمل هذه الخصومة ، وكان اخر عهدنا بها حين التقينا وقد اصدر قصته الاخيرة « هكذا خلقت » فقلت له ساكتب عن هذه القصة ، فقال : ساحتاط لما تكتب ، فقلت له : ساهاجم لغتك ، فقال : اما هذه فدعها سرا بيني وبينك .. هكذا كنا .

قلما تفرقنا كاني ومالكا
لطول افتراق لم نجد ليلة معا

وحديث الاخاء بين هيكل وبين اصدقائه طويل ، ولكنه لا يغنى شيئا الا عن الذين ظفروا منه بهذا الاخاء .

يا ويح الانسان حين يتاح له ان يحيا ، وان يتخطف الموت من دونه اصدقاءه واحدا واحدا يذهب الموت بهذا ، ولا يكاد يفيق شيئا من حزن عليه ، حتى يفجعه الموت بصديق اخر ، وهو قائم كانما نصب في هذه الحياة ليتلقى مقدمة هذه السهام التي يصيب الموت بها الاحياء ، ويقدم بها بين يدي هذا السهم الاخير الذي يصيبه هو ذات يوم ، فيكون مصدرا لحزن من بقي من الاصدقاء والاخوان .

هذه حالي مع نفر من الاحباء والاصدقاء ، ذهبوا فاصبحوا بعيدين .. بعيدين جدا ..

لعمركما ان البعيد لمن مضى
وان الذي ياتي غدا لقريب

انما يغني الاحياء من الذين عرفوا هيكلا من بعيد وقرأوا له ، وسمعوا به وانتفعوا بسيرته او حياته وتجاربه هو ان نحدثهم عن هذه الحياة ، وعما انتج فيها من الاثار الباقية التي لا يستطيع الموت ان يبلغها .

وقلوب الاصدقاء قبور حية ، بينها وبين تلك القبور المجتمعة او المنتشرة في الصحراء فرق واحد ولكنه عظيم ، تلك تضم اجساما يدركها البلاء والبلى ، وتدركها الوان من الفناء ، وهذه تضم ذكريات حية لا يدركها الموت الا حين يموت اصحابها .

لكل واحد من اصدقائنا الذين سبقونا الى جوار الله مكان في قلوبنا ، يحيا فيه بقدر ما نحيا نحن ، فهو بعيد جدا ، ولكنه في

الوقت نفسه قريب جدا . بعيد حين نريد ان نلقاه كما كنا نلقاه من قبل ، قريب حين نخلو الى انفسنا ونستحضر ذكرياتنا ، ونسمر الى اصدقائنا الذين لا نجد سبيلا الى ان نلقاهم مصبحين او ممسين .

وهيكل — ايها السادة — قد سلك في حياته طرقا مختلفة اجدرها بالعناية ، واجدرها ان يفرض نفسه على الاجيال — ما حضر منها وما يستقبل — انما هو طريقته الادبية في هذه الحياة التي تخرمها الموت قبل الاوان .

فهيكل كان من هؤلاء الادباء الذين فتحوا للشباب ابوابا من الفن الادبي ، لعله لم يسبق الى بعضها وشارك بعد ذلك في ابواب اخرى مشاركة فيها غيره من زملائه واصدقائه وهيكل مهما تكن ظروف الحياة ، ومهما تختلف ، ومهما يختلف تقدير الاجيال للناس ، ومهما تكن الاحداث والخطوب — هيكل اساس من اسس الحياة العقلية في عصرنا هذا الحديث ، فهو قد فتح لشبابنا باب القصة لا شك في ذلك ، فتح لهم باب القصة بقصته « زينب » . وهو قد فتح لهم باب التفكير في الادب من حيث ان الادب في نفسه موضوع للتفكير يتحدث الناس فيه على انه شيء يقبل الحديث والجدل والمناقشة .

والذين يحاولون الان في الادب الواقعي وغير الواقعي ، ويظنون انهم يبتكرون شيئا جديدا لم يبتكروا ، فهيكل قد سبقهم في هذا التفكير في كتاب اصدره ، ولعل الذين يجادلون اليوم لم يكونوا قد عرفوا انفسهم بعد ، وهو كتاب « ثورة الادب » عرض فيه نظرية الادب الواقعي ونظرية الادب والحياة ، والادب للحياة .

ولا اريد ان اتحدث عن هيكل الصحفي السياسي ، فهذا الحديث لا سبيل الى ان ينقضي ، فقد انفق اكثر حياته صحفيا كاتبا في السياسة ، ومخاصما للساسة ، ومجاهدا في سبيل ما كان يؤمن بانه الحق، وفصوله السياسيةلاتحصى بالمئات بل بالالوف،والحديث عنها يحتاج الىان نعودالىها ونقرأها ، ونستخلص منها خصائصه التي لا شاركه فيها غيره ، ولاني رافقته وزاملته وشاركته في خصومة سعد استطيع ان اقول : ان اخص ما يمتاز به ، هو انه جمع بين خصلتين قلما تجتمعان للصحفي السياسي ، وهما البراعة وتنزه القلم عن الشطط وعن الخوض فيما لا يليق بكرام الرجال ، فلا يستطيع خصم ان يقول انه اذاه بلفظ جارح ، وانما يستطيع خصومه ان يقولوا انه تفوق عليهم في الراي .

ولكن هيكلا لم يكن كاتبا سياسيا فحسب وانما كان صاحب سياسة ، وصاحب تاريخ ، ورحم الله المؤرخ العظيم الطبري الذي يقول الشاعر في رثائه :

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهدا
حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وكذلك هيكل ، فهو قد حاول ان يؤرخ ، فارخ للنبي ولابي بكر وعمر ، ثم ارخ للحياة المصرية المعاصرة اعمق تاريخ واصدقه على شيء الاختلاف في ذلك بين الذين يشاركونه في الراي والذين يخاصمونه فيه .

والذين يقراون المذكرات التي اصدرها في جزءين يرون انه قد اتخذ نفسه محورا لتاريخ مصر في العصر الحديث ، حاول ان يكتب مذكراته كما كان المؤرخون القدماء والمعاصرون من الاوروبيين ، ولكنه كثيرا ما كان ينسى نفسه ويمضي في الاحداث التي الت بمصر منذ اوائل هذا القرن الى ان ادركه الموت او قبله بقليل ، فهو يصور الحياة المصرية قبل الحرب الاولى يصورها حين كان المصريون يحاولون الخروج من الركود السياسي بمقاومةالاحتلال، وحين كانوا يحاولون ان يخرجوا من الركود الادبي ، ومن هذا الادب الذي عرفناه في اواخر القرن التاسع عشر الى ادب جديد فيه الاحتفال بالقديم من ناحية ، وتعمق الادب الغربي من ناحية اخرى .

وادبنا الحديث يستمد مقوماته من تيارين تيار الادب القديم الذي نشر من جديد في كتب القدماء ، وتيار الادب الحديث الذي عرفناه حين اخذت بعوث المصريين تذهب الى اوروبا فتترجم للمصريين .

ولكن ادب القرن التاسع عشر لم يتعمق قديما ولا جديدا ، وانما راى ادب القدماء فقلده شعراؤهم ، وراى ما كتبه القدماء فقلده كتابهم ، والذين يقراون شعر البارودي وشوقي وحافظ يستطيعون ان يفكروا في النموذج العربي القديم الذي كان امام الشاعر وهو ينشيء قصيدته ، والذين يقراون للكتاب في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين يدركون ان ادب هؤلاء ادب عربي يحاول اصحابه ان يقلدوا ما يكتبه الاوروبيون ولم يكونوا يبتكرون شيئا ذا بال ، انما كانت شخصياتهم تضيع بين تقليد العرب القدماء والاوروبيين المحدثين .

ولكن هيكلا كان كما كان بعض زملائه يحاولون الخروج من هذا الركود ، فلا يقلدوا قديما ولا جديدا ، وان ينشئوا في مصر ادبا مصريا لا يخرج عن الفصحى السمحة ، ولا يتكلف الاغراب فيها ، ولكنه في الوقت نفسه لا يقلد القدماء تقليدا حرفيا ، فلا يتخذ المتنبي وابا تمام ولا الجاحظ وابن المقفع نموذجا له ، وانما يحاولون ان يكتشفوا انفسهم ، وان يتعرفوا على شخصياتهم ، وان يوجدوا ادبا يدل على هذه الشخصيات ، وتضطرب فيه نفوسهم لا نفس مسلم ولا ابي تما ولا ابي نواس ، ولا فيكتور هوجو او لامرتين ..

بهذه الميزة امتاز الجيل الذي نشا فيه هيكل ، واشهد لقد كان هيكل من ابرع الجيل الذي نشا فيه ، فما اسرع مااستكشف شخصيته وفرضها على قرائه وعلى العصر الذي عاش فيه ، وهيهات ان يستطيع المؤرخون للادب المصري الجديد بل للادب العربي كله — جهل هذا الاثر العظيم الذي اسهم به هيكل في انشاء الادب المصري والعربي الحديث ، فقد ذلل القصة لكتابها ، وذلل الكتابة السياسية الصحفية ، وشارك زملاءه ومعاصريه في تذليل اللغة العربية لتكون ملكا لكتابها ومتكلميها ، وشارك في الاتاحة لكتاب العربية ان يهجروا انفسهم من العبودية والاذعان للغة ، وان يطوعوا اللغة لافكارهم لا ان يكونوا هم الذين تطوعهم اللغة لما بقي فيها من اثار القدماء .

اذا كتب تاريخ الادب الحديث في مصر فلن يستطيع هذا التاريخ ان ينسى فضل هيكل وفضل زملاء لهيكل سبق الموت الى بعضهم ، وارجو ان تمتد حياة الباقين منهم ، كلهم حاول ما حاول هيكل ، وكلهم جاهد

[تتمة المنشور من صفحة ٢٣]

المنكوبة وهي تغادر بيتها الحبيب . وكلما امضها الحزن واضنتها الهواجس ، كلما ازداد زوجها عنادا وامعانا في العمل . وراح يستعين باكداس من الكتب والمجلات الزراعية وادخل احدث وسائل الزراعة . واخيرا تحققت احلامه الزراعية الى حد يحق له ان يفخر ويزهو به ، فزاد هذا من سخريته لعائلة مخالوف .

واخذ يردد على مسامع زوجته : ها انت ترين بنفسك انني لست بمخالوف . ستعرفين كيف تكون ادارة المزرعة !

وكان اول شيء لفت نظر فيروكا عندما حلت هي وزوجها في بيت ميخالوف المهجور ، تلك الاثار التي خلفتها الاسرة وراءها : جدول مدرسي مكتوب بخط صبياني ، دمية مقطوعة الراس ، طبلةمهشمة ، كتابات صبيانية تغطي الجدران:«ناتاشا حمارة » وما شابه ذلك من عبارات الصغار . وهكذا يتطلب البيت وما حوله عمليات شتى من الطلاءوالكسوة بالورق ، والترميم والبناء .. قبل ان يتمكنا من نسيان « متاعب الغير»

حسن السعران

جهاد هيكل واتيح لبعضهم انتصارات ، ولكن حظ هيكل من هذه الانتصارات كان اعظم .

كتب تاريخ الاسلام الاول بلغة لا غبار عليها ولكن يستطيع كل قارىء معاصر ان يتذوقها ويسيغها في غير جهد ولا مشقة ، على حين لم يبق الا القليلون الذين يحصون على اصابع اليدين من الذين يستطيعون ان يقرأوا كما كان هيكل واصحابه يقرأوان كتب المؤرخين القدماء وان يطوعوها ويسيغوها ويستخلصوا منها التاريخ صحيحا صادقا ليقدموه الى الاجيال الناشئة ، وبذلك تبقى الصلة متينة بينهم وبين قديمنا الذي لا يجوز التفريط فيه .

لو لم يكن لهيكل الا انه شارك في هذا البناء الضخم الذي بناه هذا الجيل من كتاب اوائل هذا القرن ـ لكان هذا جديرا ان يفرض اسم هيكل على تاريخنا الادبي الحديث

وهيكل مع انه قد عنى بادبائنا المقلدين فشارك في نشر اثارهم وقدم لدواوينهم ، فقدم للبارودي وشوقي ، وكان من المعجبين بهما ـ ولكنه لم يكن يستطيع ان ينشىء ادبا كالذي ينشئه هذا او ذاك الا انه يعيش في عصره ، وهما يعيشان في عصور مضت ، عصور ابي تمام ومسلم وربما عاش البارودي في العصر الجاهلي ، اما هيكل فكان يعيش في عصرنا الذي نعيش فيه .

ولو لم يكن لهيكل الا ان الاحكام العرفية المتصلة ، والنيابة التي كانت شرا واقسى من الاحكام ، وبطش الحكام ، وبطش المسؤولين، كل ذلك لم يستطع ان يكفه وزملاءه عن الكتابة الحرة الصريحة ـ لكان من الحق على التاريخ الادبي ان يضع هيكلا بين الذين مهدوا طريق الحرية للاجيال المقبلة وحرية الراي وحرية التفكير وحرية التعبير ايضا .

وكل من ظن او قدر غير ذلك فهو لا يظلم هيكل وانما يظلم نفسه ، ويكفي ان تقرأوا في مذكرات هيكل ، واذكر لكم انها تقرأ كما تقرأ قصة من القصص الطوال التي لا يجد فيها القارىء مشقة ، قد يتفق القارىء مع المؤلف وقد يخالفه ، ولكن هيكل كان ينعم بخلاف المخالفين كما يرضى بموافقةالموافقين .

كان هيكل كاتبا حرا باوسع ما في الكلمة من معان ، وكان اديبا حرا بأوسع معاني الحرية ، ثم اتيح له ان يبتكر في ادبه وفي قصصه بنوع خاص ، واتيح له ان يكون مؤرخا للقديم والحديث ، ثم اتيح له ان يكون وصافا من الطراز الاول ، وما اشك ان المعاصرين لم يعرفوا وصافا كهيكل ، فلم يصف احد طبيعة الدنيا كما وصفها هيكل ، لم توصف الجبال والبحار والانهار .. كما وصفها هيكل في كتابه «ولدي»كيفولماذا كتبه؟ دفعته الى كتابته عاطفة الحب وعاطفة الحزن وعاطفة الحنان ، اجتمعت عليه فدعته الى السفر ليسري عن زوجه الكريمة وعن نفسه بعد ان رزئا بفقد ولدهما ، فكان سفره الى اوروبا مصدرا لما في هذا الكتاب الرائع من اوصاف لا نكاد نعرفها في ادبنا من قبل .

واقرأوا كتابه الصغير « عشرة ايام في السودان » ففيه وصف رائع للصحراء والسودان لا نظير له في ادبنا الحديث .

وقد لا تكون لغة هيكل جاحظية لانه من جيل ثائر على القديم يبغي انشاء ادب جديد فلا غرابة ان يكون اسلوبه معاصرا ، ولا بأس عليه ان يكون اسلوبه مخالفا للجاحظ وابن حيان والهمذاني حسبه ان يكتب بلغته واسلوبه الذي لم ينحرف عن لغة القرآن واسلوبه .

وكان هيكل زميلا في المجمع اللغوي فشارك فيه مشاركة مثمرة ، لم يشارك في جلساته فحسب ، بل شارك وقتا غير قصير في معجم الفاظ القرآن وكانت احاديثه ومناقشاته خير غذاء لزملائه ، وكانت فكاهاته روحا وريحانا لزملائه . كان في هذا المجمع كما كان في كل مكان عمل فيه ، اخا كريما وزميلا عزيزا ، واديبا يسبق حديثه الى النفوس .

فليس غريبا ان يكون الخطب فيه فادحا ، وليس غريبا ان ياسى زملاؤه كما اسى قراؤه واصدقاؤه لهذا الخطب ، وان تكون المصيبة عظيمة بفقده ، ولكن متى نفع الاسى ومتى اغنى الحزن عن الذين يحزنون ؟ انما نحن اغراض لسهام لا نستطيع ان نجد عنها محيدا ولا تستطيع هي ان تجد عنا محيدا ، الم يقل الله عز وجل : « لكل اجل كتاب » ؟ واذا كان الله قد قدر فكيف السبيل الى المهرب وقديما قال ابو العلاء :

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

ونحن كما قال هيكل : هكذا خلقنا . اسبغ الله على الفقيد الكريم واسع رحمته ، وهيأ لنا صبرا وعزاء .

القاهرة — طه حسين

برق

تصدير لصالون القاهرة الثالث والثلاثين

للدكتور بشر فارس

●

في عهد لفت فيه الافق الشرقي ملاءات من السحاب اقبلت من جهات بعيدة فحجبت النور عن قلوب من آمنوا بالخير والعدل حتى انها حرمت الانفس لذة الانس بالسكينة والفرح بالحياة ، في هذا العهد الذي كتبه علينا القدر ليغمسنا في لجة من التجارب القومية والذهنية والارادية : لجة ركبت ماءها الطاغي شهوات الطامعين في ارض الشرق ، ايا كانوا ومن أي جحر وثبوا ، في هذا العهد المحفوف بتلال العتمة يلمع برق .

برق الفن ، يثقب ركام السحاب فيفتح لسر الانسان كوة يصل بها الى اديم السماء . هل لوجود الانسان معنى اذا هو قطع ما بينه وبين ذخائر العلا ؟ ولولا مدار النجوم هنالك يتنفس بها بصره حينا بعد حين لهلك في مسارب ارضه . قتلت المادية التي اصبحت تهجم علينا من منازل الجشع والجور ،تحاول ان تسلبنا ايماننا بمثل طالما استخرجنا من طيبها غذاء زكيا !

أهلا بالبرق ! حان لبصائرنا ان تهنأ بتلك الكوة النافذة الى مصاعد الخلاص الاسمى . وشكرا لاهل الفن من ابناء مصر ونزلائها . ما اجمل سعيهم في هذا المعرض الثالث والثلاثين تقيمه جمعية محبي الفنون الجميلة على عادتها الصالحة . اراهم مستمسكين بحقائق الروح ، منصرفين الى لقف اللطائف ، لا يصدهم عن نعومة الحس الصرف صيحات البطش ولا يعجزهم عن تفتيش كواكب الذوق ظلمات الغدر . هم جند البشرية العاملة ، يعزونها عن آلامها ويطردون من اغوارها مفاسد الرذيلة ويذكرونها بان الله اوجدها لكي تحسن وتعشق الحسن .

وانما الحسن بين أيدي هؤلاء الفنانين . لاحسن الموضوع الذي تقبل عليه اناملهم ـ فطبيعة الموضوع تتردد من اقصى القبح الى اقصى الجمال ، بل حسن المعالجة ، حسن مزج التصور بالتفهم في أثناء التعبير . وعند

النعبير يقف المتأمل في التحفة ، وعلى قدر ما تورث فيه من خيالات وفكر ينبسط وجدانه .

وقد عبر الفنانون في هذا المعرض عن الوان شتى من الخلجات والخطرات ، كل باساوبه . ومما جاء وليد السنة ان بعض الناقشين والنحاتين المصريين نفضت دخائلهم ما أصاب القطر العزيز من عدوان فاجر ، فقيدو اشمئزاز قومهم ونطقوا بغضبهم للحق، تارة في هيجان واقعي وتارة في سكون رمزي، ومع الطريقتين دلوا على ان الفن حديث بليغ اذا اهملته امة سدت دونها منفسا من ارقى منافس الشعور وانقاها .

القاهرة **بشر فارس**

عضو الجمعية الدولية لنقاد الفن

على هامش فيلم « الى أين »

●

بعد ان بلغت السينما في اكثر بلاد الدنيا شأوا بعيدا ما زلنا نحن في هذه الزاوية من الشرق متخلفين عن الركب يحز في قلوبنا الم شديد ويعتري نفوسنا شعور الانقباض والخجل فكم نتمنى في بعض الامسيات ونحن نمشي لحضور فيلم اجنبي لو كان لنا ان نرى شيئا من بلادنا ونسمع صوتا من عندنا ولحنا من وحي سمائنا ومشكلا من صميم واقعنا .

لكن يا للاسف ان الفيلم العربي ـ بالرغم من بضع من اطلالات حالفها شيء من التوفيق في مصر ـ ما زال بعيدا عن ارواء عطش نفوسنا الى النتاج الطيب والى العطاء الكبير.

واما الفيلم في لبنان ، واما الافلام اللبنانية التي ظهرت على الشاشة الى الان فماذا اقول فيها وكيف اوفق بين حقيقة رأيي فيها ورغبتي في الا اثبط من همة القائمين على احياء هذه الصناعة في بلادي فآثر السكوت ولو على مضض .

ويلوح في الافق امل بل لقد اصبح اكثر من امل هو حقيقة ثابتة الم نسمع بفيلم « الى أين » هو فيلم من لبنان نقولها بلا خجل وعسانا لا نخفض رأسنا عندما يعرض في « كان » مع افلام الدنيا ـ بعد ان تبنته الجهات المسؤولة لهذا الفرض .

ان هذا الفيلم جمع كل المؤهلات التي تجمله عند حسن ظننا فيه . فموضوعه من صميم الواقع اللبناني انها الهجرة وهو من المشاكل التي تشغل بال اللبنانيين . ان نصف لبنان هو مهاجر بعيد عن الارض التي تحن اليه عن العيال الذين يقض مضاجعهم مر الفرقة . هي قصة الانسان مع البر ، رواية اللبناني المعتملة فيه ، حب المغامرة والطموح الى اكتشاف المجوول .

واما مناظره فمن قلب هذا الجبل ماخوذة في الاماكن نفسها (خاصة في درعون) هي الروائع الطبيعية تمر امامك ومعها الوان مختلفة من حياتنا المستحبة في الجبل ايام الزهو ايام الشقاء .

واما الموسيقى فهي من امل لبنان في التاليف الموسيقي ـ وان جرحت تواضعه ـ عنيت به الاستاذ توفيق سكر . وللموسيقى في هذا الفيلم اهمية خاصة فهو حديث موضوعه mélodrame فهي تعبر عن حالات داخلية يعجز الكلام عن الافصاح عنها

وقد لجأ الاستاذ سكر الى استعمال الفولكلور اللبناني (مثل ابو الزلف والدبكة والدلعونة) في عدة اماكن مما جعل للمشاهد لونا محليا شيقا وهو يتبع في ذلك الطريقة الجديدة التي استحدثها من حيث الهرمونيا واستعمال ربع الصوت .

واما التكنيون والمثلون فهم من صفوة الشباب الذين تخصصوا في الخارج وقضوا السنوات الطول في البحث والتدقيق .

افلم تسمع بجورج نصر وهو مخرج الفيلم الذي قضى اربع سنوات بين هوليود واوروبا دارسا الاصول النظرية والتطبيقات العملية والذي اظهر في اخراج هذا الفيلم القدرة والدقة التي تحملان على التفكير بالمستقبل الزاهر .

واما صديقنا جورج ابو سليمان مساعد المخرج الذي بقي في فرنسا ست سنوات قضاها في التحصيل فلم يوفر في سبيل نجاح هذا الفيلم قلبه ومعارفه ونشاطه .

وروديرك دحدح وريمون عواد الذين قاما بالتصوير وتوزيع الانوار خير قيام .

اما المثلون والمثلات لور عازار ، شكيب الخوري ، رؤوف الراوي ، ونزهة يونس ، فاكتفي بالقول انهم عاشوا ادوارهم وفهموا معنى التمثيل (ومفهوم التمثيل ما زال عند اكثر المثلين في هذه البلاد وما جاورها بدائيا يعتمد على كثرة الحركات واعلاء الصوت اكثر من اعتماده على التعبير النفساني باقل حركة ممكنة .

« الى اين » هذا الفيلم اللبناني المستمد من الواقع والمعتمد على الواقعية والحقيقة الذي بحث مشكلا من اهم مشاكلنا الاجتماعية وما تترك من نتائج مؤلمة في المجتمع والذي تحضيره على ايد اختصاصيين من النخبة فاذا لم يأت بالنتيجة المرجوة فماذا عسانا ننتظر .

« ابن انا شار »

الفنان في بلادنا

●

نشرت مجلة « لا ريفو دي ليبان » التي تصدر في بيروت باللغة الفرنسية هذه القصة الطريفة التالية :

تلقينا رسالة مؤثرة موقعة بامضاء س. سينفي « صوت الفنان » . ويروي صاحب الرسالة باسلوب بسيط وشيق قصة صديقه اللبناني مازمانيان عازف الجيتار المعروف يقول :

التقيت صدفة بعازف الجيتار الشهير وبعد التحية المعتادة بادرته بقولي :

ـ لقد مر زمن طويل ولم نسمع انغام جيتارك !

فكان جواب مازمانيان بحسرة :

ـ من المحزن ان يجعلنا الزلزال من المنكوبين !

سيتبادر الى ذهنك بان العازف الشهير قد فقد جيتاره وان س. سينفي يدعوك الى مساعدته بالبذل والعطاء . لا ، لقد اخطأت الظن . فها هو س. سينفي يواصل كلامه :

وحين رأى على محياي علائم الدهشة ، واصل مازمانيان قصته قائلا :

ان ضريبة « الاغاثة والتعمير » التي تطبق على حفلات الكونسير والمهرجانات الفنية تمنعني من تقديم الحاني كما كان الامر في الماضي ، لانه ، كما تعلم ، يتوجب علي ان ادفع مسبقا لوزارة المالية ‎٢٥٠‏ ليرة لبنانية ليسمح اي بطبع ‎٥٠٠‏ بطاقة .

ثم استطرد مازمانيان بقوله :

الفنان مبدئيا وواقعيا لا يملك قرشا واحدا ... فلا يمكنه الانتاج ، وهو من فئة المنكوبين ... المنكوبين ... غير المغاثين ..

واني اعرض الحالة المؤثرة لهذا الفنان الشهير ليتأمل اولئك الذين يتفانون في اغاثة منكوبي الزلزال .

فأي شيء ادعى الى البهجة او اكثر شرقية كحفلات الجيتار ؟ اغنية خفيفة ، تؤثر وتفرح ذات انغام رقيقة كتغريدة العصفور..

بكل اسف ، لقد اهتزت الارض واثقلت الرسوم كاهل الفنانين وسكت جيتار مازمانيان

قد لا تصدق هذه القصة في أي مكان .

والواقع انه اذا لم يكن بوسع عازف الجيتار قبل حفلته ان يدفع الرسم الباهظ البالغ ‎٢٥٠‏ ليرة لبنانية ليؤذن له بطبع ‎٥٠٠‏ بطاقة ـ يأمل في بيعها ـ فلا اقل من السماح له بدفع هذا المبلغ بعد الحفلة !

الا يمكن ان نكون اكثر سخاء فنعفي الموسيقي المسكين !



١٦ فبراير ١٩٥٧ ـ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع قرار بشأن الجزائر ينص على ان الجمعية تعرب عن املها في ايجاد حل سلمي ديموقراطي عادل وفقا لمبادىء ميثاق الامم المتحدة وذلك بالطرق المناسبة والصحيحة وبالتفاهم المشترك .

ـ رفض البنديت نهرو مشروع القرار المعروض على مجلس الامن بخصوص مشكلة كشمير .

ـ اعلن رئيس وزراء الباكستان حسين سهروردي ان القوات الهندية تقوم بنشاط وتحركات كبيرة على طول الحدود الباكستانية .

١٧ ـ وصل الملك سعود الى الرباط في زيارة رسمية للمغرب بعد ان انتهت زيارته لاسبانيا وقد صدر بلاغ مشترك اسباني سعودي عن المحادثات التي جرت لا سيما التي تتعلق بالحالة الراهنة في الشرق الادنى .

ـ وصل الى لندن الامير عبدالاله في طريق عودته من واشنطن الى بغداد .

ـ اجرى الرئيس ايزنهاور عدة اتصالات لمعالجة تعنت اسرائيل ورفضها الانسحاب من غزة وسيناء .

١٨ ـ اعلن في القاهرة ان سلطان «مسقط» اعلن ضم امارة عمان الى امارته بعد ان خلع الامام غالب امام عمان .

ـ نفذ اليوم حكم الاعدام في سجن بيروبي بزعيم منظمة الماو ماو الشهيرة ديدان كيماتي

١٩ ـ اعلن المستر دالس ناظر الخارجية الامركية انه نقل للامين العام للامم المتحدة وجهة نظر امريكا في مشروع موقت لادارة قناة السويس حالما يتم تعزيلها .

٢٠ ـ استعمل الاتحاد السوفياتي حق الفيتو في نقض مشروع الدول الغربية الخاص بكشمير الذي يدعو الى ارسال رئيس مجلس الامن الى الهند والباكستان لاجراء محادثات على اساس نزع السلاح من كشمير تمهيدا لاجراء استفتاء شعبي .

٢١ ـ وصل الملك سعود الى تونس في سلسلة زياراته للشمال الافريقي حيث يجري محادثات على مستوى عال مع المسؤولين .

ـ وجه الرئيس ايزنهاور خطابا خطيرا الى الشعب الامريكي مؤكدا فيه وجوب انسحاب القوات الاسرائيلية من منطقتي غزة وخليج العقبة . كما وجه ايضا مذكرة اخطار اخرى الى بن غوريون يطلب اليه فيها تقرير سحب القوات الاسرائيلية قبل ان يعرض الامر على الامم المتحدة .

ـ القى بن غوريون خطابا اعلن فيه رفض اسرائيل الانسحاب دون تامين حرية ملاحتها وسلامتها .

٢٢ ـ قدم الدكتور شارل مالك وزير خارجية لبنان طلبا باسم الكتلة الاسيوية الافريقية الى الجمعية العمومية للامم المتحدة بفرض العقوبات على اسرائيل بسبب اصرارها على عدم الانسحاب .

ـ اعلن الامين العام للامم المتحدة ان مصر ترغب في ان يتم تسلم قطاع غزة من اسرائيل من جانب القوات الدولية وحدها وان مصر اعترافا بالمشاكل الراهنة في القطاع ومسؤولية الامم المتحدة فانها مستعدة لوضع ترتيبات بالاتفاق مع الامم المتحدة لتخفيف حدة التوتر كوضع ترتيب خاص بالقوات الدولية لتكون في مركز يفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية

ـ وصل الملك سعود الى طرابلس في زيارة رسمية لليبيا .

٢٣ ـ استقالت الوزارة اليابانية التي يرأسها تانزان ايشيباشي بسبب المرض .

ـ اقال الجنرال فرانكو الوزارة الاسبانية بسبب خلافه مع الكتائب

٢٥ ـ بدأ في القاهرة مؤتمر الرؤساء الملك سعود والملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر والرئيس شكري القوتلي .

٢٦ ـ اصدرت المحكمة العرفية في دمشق قرارها في قضية التآمر على سلامة الدولة التي اتهم فيها ٤٧ شخصا من النواب والوزراء السابقين والزعماء السياسيين والضباط السابقين وهي تقضي باعدام ١٢ متهما وبالاشغال على الباقين

ـ اتهم وزير خارجية يوغسلافيا الاتحاد السوفياتي بمحاولة عزل يوغسلافيا وتشويه سمعتها امام العالم وخلق المتاعب الكثيرة لها.

٢٧ ـ انتهى مؤتمر الرؤساء في القاهرة وصدر بيان مشترك بتاييد مصر والجزائر واليمن بنضالها وتأكيد ابتعاد العرب عن الحرب الباردة والتزام سياسة الحياد الايجابي

ـ اعلنت حكومة الارجنتين عن اكتشافها مؤامرة واسعة لقلب نظام الحكم كان يعدها انصار الجنرال بيرون .

٢٨ ـ صدر بلاغ مشترك عن محادثات الرئيس ايزنهاور وغي موليه رئيس الوزارة الفرنسية وقد اعرب الرئيسان فيه عن اقتناعهما بان ازمة الشرق الاوسط يمكن ان تسوى بالوسائل السلمية وبما يتفق مع مبادىء العدالة والقانون .

ـ عاد الملك سعود الى العربية السعودية من رحلته .

اول مارس ١٩٥٧ ـ اعلنت اسرائيل موافقتها على الانسحاب سريعا من قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ دون قيد ولا شرط . وقالت غولدا ماير وزير خارجية اسرائيل عند اعلانها النبأ في هيئة الامم ان اسرائيل تحتفظ بحرية العمل للدفاع عن حقوقها اذا تطورت الاوضاع في غزه .

ـ اعلن الرئيس سوكارنو عزمه على الغاء نظام الحكم البرلماني واقامة حكومة جديدة برئاسته تمثل جميع الاحزاب السياسية .

٢ ـ استولى جماعة من الضباط على الحكم في اندونيسيا الشرقية بقيادة الكولونيل فانتي صموئيل

ـ وصل المستر ريتشارد نيكسون نائب الرئيس ايزنهاور الى الدار البيضاء وقد اعرب عن ارتياحه للمحادثات التي جرت بينه وبين الملك محمد الخامس الذي ابدى موافقته على مشروع الرئيس ايزنهاور .

٤ ـ اعلن رسميا ان بن غوريون اعطى اوامره لبدء ترتيبات انسحاب القوات الاسرائيلية نهائيا من قطاع غزة وساحل سيناء المشرف على العقبة .

٦ ـ اقر مجلس الكونجرس مشروع الرئيس ايزنهاور الخاص بالشرق الاوسط

ـ بعث الكولونيل صموئيل قائد الانقلاب في اندونيسيا الشرقية باندار الى الرئيس سوكارنو يطلب اليه اقالة حكومة علي حميدو جوجو الائتلافية وتشكيل حكومة عسكرية واطلاق سراح الضباط المعتقلين . والحالة متوترة بين الاحزاب الاسلامية والمسيحية في جانب والاحزاب اليسارية والشيوعية في جانب اخر .

– اعلن اليوم استقلال ساحل الذهب واصبحت تعرف باسم دولة غانا ورئيس وزراء الدولة الافريقية الجديدة الدكتور نكروما وتدخل غانا في الكمنولث .

– اعلن وزير الدفاع السوري استبدال احكام الاعدام الصادرة وجاهة عن المحكمة العرفية العسكرية بحق الزعماء السياسيين الى عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة

– اعلنت الحكومة السورية السماح لشركة نفط العراق بالمباشرة في اصلاح خط انابيب النفط التي جرى تخريبها اثناء معركةالقنال.

– بدات القوات الدولية تدخل مدينة غزة في نفس الوقت الذي كانت فيه القوات الاسرائيلية تنسحب .

٧ – فاز حزب ديفاليرا بكثرة مقاعد البرلمان الارلندي متغلبا على حزب رئيس الوزراء الحالي كوستيلو

– اعلن الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة متمسكة بموقفها من مشكلة الملاحة في خليج العقبة وانها تعتبره ممرا مائيا دوليا الا اذا اصدرت محكمة العدل الدولية قرارا مخالفا لذلك .

– ووافق مجلس الامن على الطلب الذي تقدمت به دولة غانا للانضمام الى هيئة الامم

٨ – اتمت القوات الاسرائيلية تسليم منطقة شرم الشيخ الى القوات الدولية

٩ – رفضتمصرالمشروع الامريكي البريطاني الفرنسي النروجي الرامي الى اقتسام رسوم المرور في قناة السويس بين مصر والمصرف الدولي الى ان يتم الوصول الى حل نهائي .

١١ – على اثر قيام مظاهرات صاخبة في غزة تطالب بعودة الادارة المصرية قررت مصر تعيين اللواء محمد حسن عبد اللطيف حاكما اداريا لقطاع غزة وان تتولى الادارة المصرية عملها فورا . وقد وصفت سكرتيرية هيئة الامم هذه الخطوة بانها مؤسفة وتناقض ما اتفق عليه الامين العام معوزيرخارجيةمصر.

– رفضت امريكا وبريطانيا وفرنسا مشروع روسيا الاخير لتهدئة الحالة في الشرق الاوسط الذي اعلنه شبيلوف قبل نقله من وزارة الخارجية .

١٢ – غادر وشنطن الى الشرق الاوسط المستر جيمس ريتشاردس موفد الرئيس الامريكي الخاص لشرح مشروع ايزنهاورالمتعلق بالشرق الاوسط .

– وقع انقلاب جديد في بورينو اكبر جزر اندونيسيا ويتزعم الانقلابالكولونيلبصري

– وصل الشاه محمد رضابهلوي امبراطور ايران الى الرياض في زيارة رسمية للمملكة العربية السعودية .

١٣ – قامت ثورة دامية في هافانا عاصمة كوبا لخلع رئيس الجمهورية الجنرال باتيستا وقد اخمدتها القوات الحكومية.

– قدم السيد علي حميدو جوجو رئيس الوزارة الاندونيسية استقالة حكومته

– اعلن رسميا الغاء معاهدة ١٩٤٨ الاردنية البريطانية بتوقيع اتفاق انهائها واقرار هذا الاتفاق في مجلس النواب الاردني واحتفلت الاردن احتفالا رائعا بذلك

١٤ – وصل الى غزة اللواء محمد حسن عبد اللطيف الحاكم الاداري المصري لقطاع غزة واكدت مصر انها ستتعاون تعاونا تاما مع القوات الدولية .

– انسحبت من الاراضي المراكشية اخر وحدات الفرقة الاجنبية الفرنسية وبذلك انتهى عهد الاحتلال الذي دام ٥٤ عاما .

– وصل الى بيروت المستر جيمس ريتشاردس مبعوث الرئيس ايزنهاور الى دول الشرق الاوسط للبحث مع حكوماتها في التصريح الخاص بسياسة الولايات المتحدة ازاء هذه المنطقة .

١٥ – كلف الدكتور سوكارنو السيد سويرجو رئيس الحزب الوطني الاندونيسي تشكيل الحكومة الجديدة على اساس السياسة التي تبناها رئيس الجمهورية اي حكومة لا تخضع للنظام البرلماني المعروف .

١٦ – ختم موفد الرئيس ايزنهاور المستر ريتشاردس محادثاته مع الحكومة اللبنانية وتم الاتفاق بين الجانبين على التعاون بموجب مشروعالرئيس الامريكي وعرض الجانباللبناني المشاريع المطلوب تمويلها والقضايا الدفاعية التي تضمن سلامة لبنان وصدر بيان مشترك بذلك .

– تخلت القوات الدولية عن شؤون الامن العام في قطاع غزة الى الادارة المصرية واصبحت مهمة القوات محصورة بالمحافظة على السلمعند خطوط الهدنةبين مصرواسرائيل

١٧ – توفي رئيس جمهورية الفلبين المستر ماغ ساي ساي في حادث سقوط طائرة في جزيرة سيبو .

– وصل الى ليبيا موفد الرئيس ايزنهاور المستر ريتشاردس

١٨ – وصل الى تونس المستر ريتشارد نيكسون نائب الرئيس ايزنهاور لزيارة اخر قطر افريقي في رحلته الطويلة التي حملته الى ثماني اقطار افريقية .

– اصبح السنيور كارلوس غارسيا نائب رئيس جمهورية الفلبين رئيسا للجمهورية .

١٩ – هدد بن غوربون في تصريح لهباعلان الحرب على مصر اذا هيمنعت سفن اسرائيل من الملاحة في خليج العقبة .

– اعلنت مصر ببيان رسمي ستة اسس لسياستها المتعلقة بالملاحة في قناة السويس ومنها احترام اتفاقية القسطنطينية وانتقبض مصر الرسوم . وصرح الرئيس عبد الناصر بانه لن يسمح لسفن اسرائيل بالمرور لانها في حالة حرب مع مصر .

٢٠ – اعلن وزير المستعمرات البريطانيان قضيةقبرص رفعترسميا الىحلف الاطلسي.

– افتتح الرئيس ايزنهاور والمسترهارولد مكميلان رئيس الحكومة البريطانية مؤتمرهما في جزيرة برمودا

– احتفلت تونس بالذكرى الاولى لاستقلالها احتفالا رائعا حضره ممثلون من جميع الدول العربية والاسلامية كما حضره المستر نيكسون نائب رئيس الولايات المتحدة

– وصل الى مصر المستر داغ همرشولد الامين العام للامم المتحدة لاجراء محادثات مع الرئيسعبد الناصر

٢١ – انتخب المستر دي فاليرا رئيسا لوزارة ايرلندا

– اعلنت ليبيا اشتراكها رسميا بمشروع الرئيس ايزنهاور المتعلق بالشرق الاوسط فقد صدر بيان مشترك امريكي ليبي يعلن الاتفاق . وقد سافر المستر ريتشاردس موفد الرئيس ايزنهاور الى تركيا .

٢٢ – سافر الاستاذ كميل شمعون الى المملكة العربية السعودية في زيارة رسمية

– صدر بيان مشترك يعلن اتفاق الحكومة التركية مع المستر ريتشاردس مبعوث الرئيس ايزنهاور وتاييد تركيا لمشروع الرئيس الخاص بالشرق الاوسط . وقد سافر ريتشاردس الى ايران .

– ابلغ الرئيس ايزنهاور المستر مكميلان رئيس الحكومة البريطانية استعداد امريكا للاشتراك باللجنة العسكرية التابعةلحلفبغداد

٢٣ – تجري في موسكو محادثات بين رئيس وزراء المجر جانوس كادار وزعماء الاتحاد السوفياتي .

مطبعة الشراع
بيروت – الحازمية